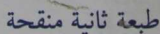


كَيْفَ دَاوُدَ الشَّيْخَ غَزَا لِمَغُولِ



كَيْفَ تَدْرُسُ الشَّيْعَةُ غَزْوَ الْغُورِ

بقلم

عَلِي كُرْدِ الْخَالِدِي

طبعة ثانية منقحة / ١٤٣١ - ٢٠١٠



مركز العبداء للدراسات والبحوث

محافظة بابل - الحلة - قرب الشركة العامة للصناعات النسيجية

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين .

وبعد ، فقد اجتاحت جيوش المغول أكثر البلاد الإسلامية ، وعاثوا فيها تفتيلاً وفساداً ، وحكم منهم واحد وعشرون ملكاً ، لأكثر من قرن ونصف .

يقول ابن خلدون في تاريخه: ٧/٧٢٦: « فانتظمت ممالك الإسلام في أيدي وُلْد جنكيزخان من المُغُل ثم من الططر ، ولم يخرج عن ملكهم منها إلا المغرب والأندلس ومصر والحجاز ، وأصبحوا وكأنهم في تلك الممالك خَلَفُ من السَّلْجُوقية والفُزّ ، واستمر الأمر على ذلك لهذا العهد » . انتهى .

كان جيشهم مئات الألوف ، وسكنوا في بلاد المسلمين وتكاثروا فيها ، ولم يرجع منهم إلى موطنهم الأصلي بَرّ الصين إلا القليل ، فما هو السبب الذي جعلهم يذوبون في بحر الأمة ، فلا نعرف أبناءهم وذريتهم إلا بصعوبة ، من التاريخ أو مما بقي من ملاحظهم ؟ ! لقد اعترفوا بأنها ظاهرة فريدة انخرمت بها قاعدة علماء الاجتماع في أن الأمة الغالبة

تفرض ثقافتها على الأمة المغلوبة ، ففي الغزو المغولي فرضت الأمة المغلوبة ثقافتها على المغول ، فأسلموا ! فما هو السبب !؟

السبب هو جهود مرجعين من كبار علماء الشيعة ، هما: محمد بن محمد بن الحسن ، المعروف بخواجة نصير الدين الطوسي رحمته الله ، ويوسف بن المطهر ، المعروف بالعلامة الحلي رحمته الله ! فقد واجه هذان المرجعان العبقريان المدَّ المغولي بحكمة وعمق ، وعملا في خطة موفقة ، حققت إنجازات عظيمة:

١ - فقد ركّزا عملهما على قادة المغول ابتداءً من طاغيتهم الأكبر هولاكو ، الى أبنائه وأحفاده ووزرائهم ، وأجادا معهم العلاقة والأسلوب ، وأثمرت جهودهما بسرعة نسبية ، فأسلم على أيديهما وأيدي تلاميذهما أبناء هولاكو وكبار قادة جيشهم ، وتغيرت نظرة المغول وشعورهم تجاه الإسلام وأمته ، وبعضهم حسن إسلامه ، وكان أولهم إسلاماً أحمد بن هولاكو ، بل ستعرف أن هولاكو نفسه أسلم شكلياً .

٢ - أقنعا المغول أن لا يحكموا بلاد المسلمين مباشرة ، وأن ينصبوا عليها حكاماً أكفاء من أهلها أو غيرهم ويطلقوا أيديهم ، ولا يتدخلوا في أمورهم الداخلية .

٣ - أقنعا المغول بتبني سياسة الحرية المذهبية والإعمار ، فكان ذلك برنامج الحكام المنصويين من قبلهم ، وظهرت ثماره خاصةً في العراق ، حتى شهد المؤرخون بأن نهضة الثقافة والإعمار كانت أفضل منها في عهد الخلافة العباسية !

٤ - اهتم المرجعان بالبحث عن الكفاءات العلمية والإدارية والسياسية ، في طول البلاد وعرضها ، وقاما بجذبها ورعايتها ، وإطلاق يدها في العمل والإبداع .

ونتيجة لذلك ظهر في مرصد مراغة وجامعتها ، وجامعات المستنصرية والنظامية ،
والحلة ، وغيرها من حواضر العلم ، عشرات الأطباء ، والمهندسين ، والفلكيين ،
والعلماء من كل نوع ، فآثروا بعملهم ومؤلفاتهم حياة الأمة .

كان عمل هذين المرجعين وتلاميذهما واسعاً ، شمل المناطق التي احتلها المغول وهي
أغلب العالم الإسلامي . ومتنوعاً ، فيه البعد العلمي والإجتماعي والسياسي والإداري .
وعميقاً ، في اختيار الكوادر ووضع الخطط ، وإقناع القادة بها ، وتوعية الناس عليها !
وكان الجزء الأصعب فيه عطف أذهان ملوك المغول وقلوبهم من الوثنية الى الإسلام ،
وتبديل تعطشهم للدماء والتدمير والسيطرة ، الى حب الهدوء والتقوى وخدمة الناس !
وهو أمر لم يتمكن منه إلا المرجع النابغة نصير الدين الطوسي وتلميذه العلامة الحلي
رضوان الله عليهما ، بآتاهما الله من شخصية جذابة حتى لأعدائها !



قد يرى البعض أن هذه الدراسة متحيزة للشيعه ، لأنها تخالف المعروف عند مؤرخي
الحكومات من أن الشيعة تأمروا مع المغول بشخص الوزير محمد بن العلقمي ،
والمرجع نصير الدين الطوسي ، الذي صار معتمد هولاكو ووزيره الخاص !
فيرون أن هذه الدراسة تُحمّل شخص الخليفة وبطانته وسلطين دولته ، مسؤولية
اجتياح المغول لبلاد المسلمين وإسقاط نظام الخلافة ! بل تجعلهم بسبب فسادهم
شركاء للمغول فيما ارتكبوا من مجازر ودمروا من معالم !

لذلك أنصح القارئ الذي تعود من نعومة مفاهيمه على تعظيم المؤرخ التابع للحاكم

والتلقي منه بدون تفكير ، أن لا يقرأ هذا الكتاب !

فهؤلاء النوع المقلدون ، يريدون أن تكون الحقيقة عن الخلافة العباسية حلوة دائماً ، ولا يحبون رؤية الوجه الآخر ، بينما أعظم حلاوة فيها رؤيتها على واقعها !

وسيرى القارئ أن الشيعة كانوا قارب النجاة للأمة من سوء أفعال الخلفاء وجهازهم ، وأن اتهامه بأن لهم يداً في غزو المغول من أكاذيب خصومهم !

وسيرى أن نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي ، قاما بدور البطليين المنقذين للإسلام والمسلمين من شر المغول ، واستطاعا تحويل بعض قاداتهم من وحوش مدمرين مخربين الى مسلمين يتبنون سياسة الحرية المذهبية والعامة ، وسياسة الإعمار ، وتشجيع العلم والعلماء ، وأن الحكم المغولي بتبنيه مذهب التشيع حقق في مدة قصيرة ما عجز عنه حكم الخلافة المترفة المتعصبة في قرون طويلة !

كتبه: علي الكوراني العاملي

بقم المشرفة ربيع المولود ١٤٢٨



خلاصة عن المغول

١- المغول قبائل من (منغوليا) شمال الصين

كانت الصين ستة أقسام يحكم كل قسم ملك ، وكان القسم الأكثر طموحاً المجاور لآسيا الوسطى ويشمل منغوليا الفعلية ، وعاصمته طوغاج ، والمسافة بينها وبين بخارى مسير ستة أشهر ، وشعبها قبائل التتار أو المغول أو المنجول .

واشتهر من ملوكهم في مطلع القرن السابع الهجري جنكيز خان ، المجاور للسلطان العام للخلافة العباسية محمود خوارزم شاه . (تاريخ أبي الفداء / ٧٤٤).

قال الذهبي في تاريخه: ٢٢ / ٤٤: «وجاءه من جنكس خان رسل وهم محمود الخوارزمي وخوارجا علي البخاري ، ومعهم من طُرِفُ هدايا الترك من المسك وغيره ، والرسالة تشتمل على التهنة بسلامة خوارزم شاه ويطلب منه المسألة والهدنة ، وقال: إن الخان الأعظم يسلم عليك ويقول: ليس يخفى عليّ عظم شأنك ، وما بلغت من سلطانك ونفوذ حكمك على الأقاليم ، وأرى مسالمتك من جملة الواجبات ، وأنت عندي مثل أعز أولادي ، وغير خاف عنك أنني ملكة الصين ، أنت أخبر الناس ببلادي وإنها مشاراة العساكر والخيول ، ومعادن الذهب والفضة ، وفيها كفاية عن طلب غيرها ، فإن رأيت أن نعقد بيننا

المودة وتأمّر التجار بالسفر لتعم المصلحتان ، فعلت .

فأحضر السلطان خوارزم شاه محموداً الخوارزمي وقال: أنت منا وإلينا ولا بد لك من موالة فينا ، ووعده بالإحسان إن صدقه ، وأعطاه معضدة مجوهرة نفيسة وشرط عليه أن يكون عيناً له على جنكز خان فأجابه ، ثم قال له: أصدقني أجنكز خان ملك طمغاج الصين؟ قال: نعم . فقال: ما ترى في المصلحة؟ قال الإتفاق . فأجاب إلى ملتمس جنكز خان .

قال فَسَّرَ جنكز خان بذلك ، واستمر الحال على المهادنة إلى أن وصل من بلاده تجار ، وكان خال السلطان خوارزم شاه ينوب على بلاد ما وراء النهر ومعه عشرون ألف فارس فشرهت نفسه إلى أموال التجار وكاتب السلطان يقول: إن هؤلاء القوم قد جاؤوا بزي التجار وما قصدهم إلا إفساد الحال وأن يجسوا البلاد ، فإن أذنت لي فيهم فأذن له بالاحتياط عليهم وقبض عليهم واصطفى أموالهم ! فوردت رسل جنكز خان إلى خوارزم شاه تقول: إنك أعطيت أمانك للتجار فغدرت ، والغدر قبيح ، وهو من سلطان الإسلام أقبح ، فإن زعمت أن الذي فعله خالط بغير أمرك فسلمه إلينا ، وإلا فسوف تشاهد مني ما تعرفني به ! فحصل عند خوارزم شاه من الرعب ما خامر عقله فتجلد ، وأمر بقتل الرسل فقتلوا ! فيا لها حركة لما هدرت من دماء الإسلام ! أجرت بكل نقطة سيلاً من الدم ! ثم إنه اعتمد من التدبير الرديء لما بلغه سير حنكز خان إليه أنه أمر بعمل سور سمرقند ثم شحنها بالرجال ، فلم تغن شيئاً وولت سعادته وقضي الأمر !

٢- دولة منغوليا ام المغول

موطن المغول الأصلي: جمهورية منغوليا ، وقد اهتمت بكتابة تاريخ المغول وقبائلهم . راجع موقعهم : [www.china.org.cn/http://](http://www.china.org.cn/html/neimeng/%Jl/%Jl/a-xibu/ nei-ban)

[html/neimeng/%Jl/%Jl/a-xibu/ nei-ban](http://www.china.org.cn/html/neimeng/%Jl/%Jl/a-xibu/ nei-ban)

ومما كتبوا فيه: «تقع منطقة منغوليا الداخلية في شمال الصين ، وتمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي على شكل مستطيل ، والمسافة المستقيمة من الشرق إلى الغرب ٢٤٠٠ كيلومتر ، ومن الشمال إلى الجنوب ١٧٠٠ كيلومتر ، تعبر منطقة شمال الصين الشرقي ومنطقة شمالها وشمالها الغربي . ومساحتها الإجمالية ١١٨،٣٠٠ كيلومتر مربع ، ومشكلاً ٣،١٢٪ من مساحة الصين . وتحتل مساحتها المركز الثالث بين المقاطعات والبلديات والمناطق الذاتية الحكم في الصين . وتتاخم ٨ مقاطعات ومناطق من جهات الشرق والجنوب والغرب ، وتتاخم من الشمال جمهورية منغوليا وروسيا . وطول خط الحدود داخل المنطقة ٤٢٠٠ كيلومتر» . انتهى .

راجع أيضاً موقع تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة:

family.php?fam=٧٨٧/www.hukam.net/

وكتاب تاريخ المغول لعباس إقبال:

[/Publications/new/web.cultural.org.ae/](http://Publications/new/web.cultural.org.ae/)

وقد صدرت في عصرنا عدة دراسات عن المغول لباحثين مسلمين وغربيين ، لأن حملة المغول على البلاد الإسلامية تزامنت مع الحملات الصليبية ، وحاول لويس التاسع ملك فرنسا ، وبابا المسيحية كليمنصو الرابع وغيرهما ، أن يتحالفوا مع المغول لاحتلال البلاد الإسلامية ، فلم يقبل المغول !

كما لف نظر الباحثين أن الفترة التي حكموا فيها العراق ، تميزت عما قبلها وما بعدها ، بالإزدهار العمراني والثقافي ، والحرية المذهبية والعامة .

كما ألفتهم أن المغول أسسوا في الهند دولاً ، كان لها تاريخها وثقافتها وعمرانها ، فصارت موضوعاً مهماً للدراسة من تاريخ المغول في الهند .

ولكن القليل من هذه الدراسات أنصف الشيعة ، واعترف بأن سبب الحرية والعمران في الدول المغولية أنها تبنت الفكر الشيعي ، الذي يؤمن بالحرية ويشجع العمران ، بينما قام حكم الخلافة على إجبار الناس على الرأي الواحد !



٣- جنكيز خان طاغية المغول ونبيهم !

الشخصية الأولى في المغول: جنكيز خان ، فهو أكبر ملوكهم الذي قاد حملتهم الأولى سنة ٦١٧ هجرية واجتاح أكثر بلاد المسلمين ، وكل بلاد القفقا ز وروسيا ، وأكثر أوروبا الشرقية ، وقسماً من الهند . ويعتبر نبي المغول المطاع ! وقد وضع لهم شريعة سماها (الْيَاسَة) فمشوا عليها في حياته وبعد مماته !

وقد استكثر جنكيز من الأولاد وأحاط نفسه بهالة من العظمة ، ففي صبح الأعشى: ٣١٢/٤: «وأما أولاد جنكز خان فقد ذكر في مسالك الأبصار عن صاحب علاء الدين الجويني المقدم ذكره ، أنه كان له عدة أولاد ذكور وإناث من الخواتين والسراري ، وكان أعظم نسائه أوبولي من تيكي ، ومن رسم المُغل تعظيم الولد بنسب والدته ، وكان له من هذه أربعة أولاد معدين للأمور الخطيرة هم لتخت ملكه بمنزلة أربع قوائم ، وهم: توشي ، وجفطاي وهو أصغرهم ، وأوكداي ، وأوتكين نويان ، وأنه جعل موضعه نقطة دائرة ملكه وبنيه حوله كمحيط الدائرة ، فجعل ابنه أوكداي ولي عهده ، ورَّبه لما يتعلق بالعقل والرأي والتدبير والولاية والعزل واختيار الرجال والأعمال وعرض الجيوش وتجهيزها ، وكان موضعه في حياة أبيه حدود أيملك وقراباق ، فلما جلس بعد أبيه على تخت الملك انتقل إلى الموضع الأصلي بين الخطا وبلاد الإيغور وأعطى ذلك الموضع لولده كيوك .

وجعل لابنه أوتكين حدود بلاد الخطا ، وعين لابنه الكبير توشي حدود قبالق

وإلى أقصى سفسفين وبلغار ، ورتبه على الصيد والقنص .

وجعل لابنه جفطاي حدود بلاد الأيغور إلى سمرقند وبخارا ، ورتبه لتنفيذ النائبات والأمور والمقابلات وما أشبه ذلك . قال ابن عطاء ملك: وكانت أولاده وأحفاده تزيد على عشرة آلاف !

وذكر عن الشيخ شمس الدين الأصفهاني أن جنكزخان أولد أربعة أولاد وهم جوجي وهو أكبرهم ، وكداي ، وطولي ، وأوكداي ، فقتل جوجي في حياة أبيه ، وخلف أولاداً . قال ابن الحكيم الطياري: وهم باتو ويقال باطو وأورده وبركه وتولي وحمتي . قال الشيخ شمس الدين: المذكور والمشهور باتو وبركة ، وأوصى بأن يكون تحتة لولده الصغير أوكداي ، وأن تكون مملكة ما وراء النهر وما معه لولده الآخر كداي ، وجعل لابنه جوجي دشت القبجاق وما معه ، وأضاف إليه إيران وتبريز وهمذان ومراغة ، ولم يحصل لطولي شيء ! فلما مات جنكزخان استقل أوكداي بتخت أبيه ، واستقل جوجي بدشت القبجاق وما معه ، واستقل باتو بن جوجي فيما جعله جده جنكزخان لأبيه جوجي من إيران وتبريز وما مع ذلك ، ولم يتمكن كداي من مملكة ما وراء النهر .. الخ.» .

وهلك جنكيز سنة ٦٢٣ هجرية ، واختلف أولاده من بعده على الملك رغم وصيته ، لكن اختلافهم لم يؤثر على قوتهم فواصلوا غزو شرق أوروبا وتركيا ، كما واصلوا غاراتهم على بغداد .

وقد اتفقوا سنة ٦٤٩ على تتويج حفيده منكوآن أو مونككا ، فأصدر أمره إلى أخيه هولوكو بأن يحتل بلاد المسلمين إلى مصر ، والهند ، وأوروبا !

قال ابن العربي في تاريخ مختصر الدول/٢١٧، و٢٣٢، ونحوه الذهبي: ٤٥/١٨٦: « وفيها (٦٤٨هـ) اجتمع أولاد الملوك وأمراء المغول ، فوصل من حدود قراقورم مونككا بن تولي خان ، وأما سيرامون وباقي أحفاد وخواتين قاآن ، فسيروا قنقور تقي وكتبوا خطهم أنه قائم مقامهم ، وأن باتوا هو أكبر الأولاد وهو الحاكم ، وهم راضون بما يرضاه . وأما أغول غانميش خاتون زوجة كيوك خان ومن معها من أولاد الملوك ، فوصلوا إلى خدمة باتوا ولم يقيموا عنده أكثر من يوم ، بل رجعوا إلى أوردوهم (معسكرهم) واستنابوا أميراً منهم يقال له تيمور نوين ، وأذنوا له أن يوافق على ما يتفق عليه الجمع كله وإن اختلفت الأهواء ، ولا يطيع أحداً حتى يعلمهم كيفية الحال . فبقي جغتاي ومونككا وسائر من كان حاضراً من الأولاد والأحفاد والأمراء يتشاورون أياماً في هذا الأمر ، وفوضوا الأمر إلى باتوا لأنه أكبر الجماعة وأشدّهم رأياً ، فبعد ثلاثة أيام من يوم التفويض قال: إن مثل هذا الخطب الخطير ليس فينا من يفي بحق القيام به غير مونككا ، فوافقوه كلهم على ذلك وأجلسوه على سرير المملكة ، وباتوا مع باقي الأولاد والأكابر وخدموه جاثين على ركبهم كالعادة . وانصرف كل واحد إلى مقامه على بناء أنهم يجتمعون في السنة المقبلة ويعملون مجعاً كبيراً ليحضره من الأولاد والأكابر من لم يحضر الآن . وفي سنة تسع وأربعين وست مائة في وقت الربيع حضر أكثر الأولاد مثل بركة أغول وأخوه بغاتيمور وعمهم الجتاي الكبير ، والأمراء المعتبرون من أردو جنكز خان . وفي اليوم التاسع من ربيع الآخر كشفوا رؤوسهم ورموا مناطقهم على أكتافهم ، ورفعوا منوككا على سرير

المملكة وسموه مونككا قا آن ، وجثوا على ركبهم تسع مرات ! وكان له حينئذ سبعة من الأخوة: قبلاي، هولاكو، اريغبوكا، موكا، بوجك، سبكو، سونتاي، فترتبوا جالسين على يمينه والخواتين على يساره ، وعملوا الفرحة سبعة أيام...».

٤- رفض المغول التحالف مع الصليبيين

كان الملك الجديد منكوقا آن يمثل طموحات جده الطاغية جنكيز ، ويخطط لاكتساح العالم كله ! من الصين الى السند والهند وآسيا وإفريقيا ، ومن الصين الى خراسان وبغداد والشام وسواحل المتوسط وأوروبا !

وفي ذلك الوقت كان لويس التاسع ملك فرنسا في قبرص ، يقود حملة صليبية ضد المسلمين هي الخامسة باسم تحرير القدس من أيدي الكفار ! فكتب له منكوقا آن يطلب منه أن يدخل في طاعته !

«يقول جان سيردي جوانفيل ، وهو الذي رافق لويس التاسع في حملته الصليبية فكان شاهد عيان، يقول في مذكراته في / ٨٤ من ط ١٩٦٨ ، التي عربها الدكتور حسن حبشي: «بينما كان الملك (لويس التاسع) مقيماً في قبرص (كانون الأول سنة ١٢٤٨ م). أنفذ إليه ملك التتار استعداداه لمعاونة الملك في غزو الأرض المقدسة ، وتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين. ولقد بالغ الملك في إكرام وفادة الرسل ، وأنفذ التاري سفارة من لدنه إلى ملك التتار عادت بعد عامين ، وأرسل معهم إليه خيمة على هيئة كنيسة ، وهي خيمة غالية لأنها مصنوعة بأكملها من القماش القرمزي الجميل الرائع ، وأراد الملك أن يرى ما إذا كان في قدرته اجتذاب

أولئك التتار للإيمان بديننا، فأمر بنقش الخيمة بصورة تمثل بشارة سيدتنا العذراء بالمسيح، وجميع أسس عقيدتنا، وأرسل الملك هذه الأشياء جميعها بصحبة أخوين من الجماعة المبشرين يعرفان لغة التتار ويستطيعان هداية المغول».

ويتحدث (جدانفيل) بعد ذلك في / ٢١٧، عن عودة رسل لويس التاسع قائلاً: «كان عدد شعب هذا الأمير (التتاري) المسيحي كبيراً، حتى لقد أنبأنا رسل الملك أنهم شاهدوا في معسكره ثمان مائة كنيسة صغيرة محمولة على عربات !

ثم يقول: «ويوجد بين التتار كثير من المسيحيين الذين يعتنقون عقيدة الإغريق». ويقول في / ٢١٨: «نذكر ما فعله الإيلخان بعد تلقيه رسل الملك وهداياه، من إرساله عهد أمان لجمع جميع الملوك الذين لم يدينوا بالطاعة بعد، فلما جاءوه أمر بنصب كنيسة الملك وخاطبهم بقوله: أيها السادة، لقد بعث ملك فرنسا إلينا ملتمساً عطفنا للدخول في طاعتنا، وهاكم الجزية التي أنفذهنا إلينا فانظروها، فإذا لم تستسلموا لنا فإننا مرسلون في طلبه عليكم، وإذ ذاك أعلن أكثر الحاضرين استسلامهم للملك التتاري، خوفاً من الملك الفرنسي».

ثم يقول جوانفيل: «عاد مبعوثو الملك وفي صحبتهم آخرون من قبل ملك التتار العظيم الذي حملهم كتباً منه إلى ملك فرنسا، جاء فيها: السلم خير فإنه إذا ساد أرضاً أكلت كل ذات أربع حشيش السلام، كما أن من يدبون على قدمين يفلحون الأرض التي تخرج كل طيب في سلام أيضاً. وإننا نقص عليك هذا الخبر لتزداد معرفتك، إذ لن تعرف معنى السلام إلا إذا عقدته معنا، فقد ثار بريسترجون علينا، كما ثار علينا فلان وفلان غيره من الملوك، فحكمنا السيف

فيهم جميعاً ! ثم راح يعدد له هؤلاء الملوك ، ثم قال: لذلك ننصحك أن تبعث إلينا عاماً بعد عام بشئ من ذهبك وفضتك ، وبذلك تبقينا أصدقاءك ، فإن لم تفعل هذا دمرناك أنت وشعبك ، كما فعلنا مع من ذكرنا لك من الملوك !

ويعقب جوفنيل على هذا الكلام قائلاً: «يجب أن تعلم أن الملك ندم أشد الندم على إرساله رسلاً إليه ! وكان قال في / ١١: إن سفر رسل الملك كان من أنطاكية وإن سفرهم منها إلى ملك التتار استغرق مدة عام كامل ، وكانوا يقطعون في كل يوم مسافة عشرة فراسخ». (الإساعيليون والمغول للسيد حسن الأمين/ ١٤٩).

أقول: كان المغول مغرورين بقوتهم كثيراً ، يرون أنفسهم أسياد العالم ، وكانت رسالة منكوقا آن الأولى إلى ملك فرنسا ، ثم رسالته الجوابية ، أمراً له بالطاعة ، ولم يعبأ بطلبه التحالف ضد المسلمين ، فهو لا يقيم وزناً للمسيحيين في العالم فقد اجتاحت بلاد مسيحية بلغاريا وأرمينيا والكرج أي جورجيا ، وبيزنطة الشرقية ، وأخضعهم وعاملهم كغيرهم بالقتل والتدمير .

وقد وصف ابن العبري/ ٢٣٤ ، مجئ هيتوم ملك الأرمن ذليلاً عندما طلب منكوقا آن حضوره ، قال: « توجه حاتم ملك الأرمن إلى خدمة مونكاكا آن ، أخذ قربان خميس الفصح ورحل عن مدينة سيس يوم الجمعة الصلبوت ، وخرج متنكراً مع رسول له بزي بعض الغلمان ، وأخذ على يده جنياً يجذبه خلف الرسول ، لأنه كان خائفاً من السلطان صاحب الروم » ! أي من حاكم تركيا المسلم .

أما قول مبعوثي لويس التاسع إنهم: «شاهدوا في معسكره ثمان مائة كنيسة صغيرة محمولة على عربات ، وأنه يوجد بين التتار كثير من المسيحيين الذين يعتنقون عقيدة

الإغريق». فهو كذبٌ لتقوية قلوب جنودهم ، فقد رجعوا بالخيبة وبرسالة تهديد للملك فرنسا إن لم يطع ملك الملوك المغولي !

فالمغول يتعاونون مع كل الأقوام على العدو الفعلي المشترك ، لكنهم لا يتحالفون مع أحد ! أما اتصال آباقا بالبابا كليمنضوس الرابع ، وتعاونه مع لاوون الثالث في حرب الممالك ، فكان تعاوناً موضعياً ولم يكن تحالفاً .

٥- (الياسة) شريعة جنكيز خان للمغول

قال الذهبي في تاريخه: ٤٥/١٨٦: «جنكز خان ، طاغية التتار وملكهم الأول ، الذي خرب البلاد وأباد العباد ، وليس للتتار ذكر قبله ، وإنما كانوا ببادية الصين فملكوه عليهم وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبي ، بل طاعة العباد المخلصين لرب العالمين !

وفي صبح الأعشى: ٤/٣١٤: «أما عقيدتهم فقد قال الصاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجويني: إن الظاهر من عموم مذاهبهم الإدانة بوحداية الله تعالى ، وأنه خلق السموات والأرض ، وأنه يحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع ، وأنه على كل شيء قدير ، وإن منهم من دان باليهودية ، ومنهم من دان بالنصرانية ، ومنهم من أطرحَ الجميع ، ومنهم من تقرب بالأصنام . قال: ومن عادة بني جنكز خان أن كل من انتحل منهم مذهباً لم ينكره الآخر عليه .

ثم الذي كان عليه جنكز خان في التدين وجرى عليه أعقابا بعده: الجُرِّيُّ على منهاج يأسه التي قررهما ، وهي قوانين كَمَنَّا من عقله وقرَّرها من ذهنه ، رَتَّب

فيها أحكاماً وحدد فيها حدوداً ، بما وافق القليل منها الشريعة المحمدية ، وأكثرها مخالف لذلك ، سماها الياسة الكبرى ، وقد اكتتبها وأمر أن تجعل في خزانته ، تتوارث عنه في أعقابها ، وأن يتعلمها صغار أهل بيته . منها: أن من زنى قتل ، ومن أعان أحد خصمين على الآخر قتل ، ومن بال في الماء قتل ، ومن أعطي بضاعة فخر ثم أعطي ثانياً فخر ثم أعطي ثالثاً فخر قتل ، ومن وقع حمله أو قوسه فمر عليه غيره ولم ينزل لمساعدته قتل ، ومن وجد أسيراً أو هارباً أو عبداً ولم يرده قتل ، ومن أطعم أسير قوم أو سقاه أو كساه بغير إذنه قتل.. إلى غير ذلك من الأمور التي رتبها عما هم دائنون به إلى الآن ، وربما دان به من أسلم من ملوكهم ! ومن معتقدهم في ذبح الحيوان أن تُلَفَّ قوائمه ويشق جوفه ويدخل أحدهم يده إلى قلبه فيَمْرِسُهُ حتى يموت ، أو يُجْرَج قلبه ! ومن ذبح ذَبْحَةَ المسلمين ذُبَحَ » ! (أقول: وإلى الآن مازالت هذه طريقة ذبحهم في منغوليا):

<http://t-13903.html/index.php/archive/vb/www.lahdah.com/>

«وأما عاداتهم في الأدب فكان من طريقة جنكزخان أن يعظم رؤساء كل ملة ويتخذ تعظيمهم وسيلة إلى الله تعالى ! ومن حال التتر في الجملة إسقاط المؤن والكلف عن العلويين ، وعن الفقهاء ، والفقراء ، والزهاد ، والمؤذنين ، والأطباء وأرباب العلوم على اختلافهم ، ومن جرى هذا المجرى .

ومن آدابهم المستعملة: أن لا يأكل أحد من يد أحد طعاماً حتى يأكل المطعم منه ، ولو كان المطعم أميراً والأكل أسيراً ، ولا يختص أحد بالأكل وحده بل يطعم كل من وقع بصره عليه ، ولا يمتاز أمير بالشعب من الزاد دون أصحابه بل يقسمونه بالسوية ، ولا يخطو أحدٌ مَوْقَدَ نار ولا طبقاً رآه ، ومن اجتاز بقوم

يأكلون فله أن يجلس إليهم ويأكل معهم من غير إذن ، وأن لا يدخل أحد يده في الماء ، بل يأخذ منه ملء فيه ويغسل يديه ووجهه ، ولا يبول أحد على الرماد .

ويقال إنهم كانوا لا يرون غسل ثيابهم البتة ، ولا يميزون بين طاهر ونجس . ومن طرائقهم أنهم لا يتعصبون لمذهب ، ولا يتعرضون لمال ميت أصلاً ، ولو ترك ملء الأرض ، ولا يدخلونه خزانة السلطان .

ومن عاداتهم أنهم لا يفخمون الألفاظ ، ولا يعظمون في الألقاب ، حتى يقال في مراسيم السلطان رسم القان بكذا ، من غير مزيد ألقاب .

وأما حالهم في طاعة ملكهم ، فإنهم من أعظم الأمم طاعة لسلطينهم ، لا لمالٍ ولا لجأه ، بل ذلك دأب لهم ، حتى إنه إذا كان أمير في غاية من القوة والعظمة وبينه وبين السلطان كما بين المشرق والمغرب ، متى أذنب ذنباً يوجب عقوبة ويبعث السلطان إليه من أخس أصحابه من يأخذه بما يجب عليه ، ألقى نفسه بين يدي الرسول ذليلاً ، ليأخذه بموجب ذنبه ولو كان فيه القتل !

ومن طريقة أمرائهم أنه لا يتردد أمير إلى باب أمير آخر ، ولا يتغير عن موضعه المعين له ، فإن فعل ذلك عوقب أو قتل ، وإذا عرضوا آلات الحرب على أمرائهم وفوا في العرض حتى بالخيط والإبرة ! ورعاياهم قائمون بما يلزمون به من جهة السلطان طيبة به نفوسهم . وإن غاب أحد من الرجال قام النساء بما عليهم .

وقال المقرئ في المواعظ والإعتبار / ١٤٤٥ : « وشرط أن لا يكون على أحد من وُلد علي بن أبي طالب رضي الله عنه مؤنة ولا كلفة ، وأن لا يكون على أحد من الفقراء ولا القراء ولا الفقهاء ولا الأطباء ، ولا من عداهم من أرباب العلوم

وأصحاب العبادة والزهد والمؤذنين ومغسلي الأموات كلفةً ولا مؤونة ، وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى . انتهى .

أقول: اتفقت المصادر التي روت نص اليااسة على أنها تعفي الأولياء ورجال الدين وأشباههم من الضرائب ، وفي أولهم أبناء علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهذا يدل على نظرة جنكيز الإيجابية الى السادة أبناء علي عليه السلام ، وأنهم عنده أولياء الله وليسوا من أجهزة الدولة ، وقد كان بعضهم يعيش في بلاد ما وراء النهر المحاذية لبلاد المغول .

وكان للمغول علاقة مع شيخ صوفي له نفوذ كبير في منطقة ما وراء النهر ، هو سعيد بن المطهر الباخريزي ، وكان يسكن بخارى ، ويعتقد به المسلمون ويحترمه التتار ، ومنهم جنكيز خان وابنه هولاكو ! وكذلك كانوا يحترمون تلميذه الجويني الحموي جد الجوينيين وقد اصطحب هولاكو أحدهم في غزوه لبغداد ، وجعله حاكم العراق . وسيأتي الحديث عن تشيع الجوينيين على يد نصير الدين قزويني .

أما سبب وجود بعض الصفات الإنسانية في هولاكو وأمثاله من الطغاة ، فهو قاعدة بينها الإمام الصادق عليه السلام فقال : « إن الله تبارك وتعالى أعار أعداءه أخلاقاً من أخلاق أوليائه ، ليعيش أولياؤه مع أعدائه في دولاتهم . وفي رواية : ولولا ذلك لما تركوا ولياً لله إلا قتلوه . » (الكافي: ٢/ ١٠١)

غزو المغول لبغداد قبل سقوطها بنصف قرن !

١- اخبر امير المؤمنين عليه السلام عن فتنة المغول !

من كلام له عليه السلام يخبر به عن الملاحم ، في وصف الترك المغول: «كأني أراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة ، يلبسون السرق والديباج ، ويعتقبون الخيل العتاق ، ويكون هناك استحراز قتل ، حتى يمشى المجروح على المقتول ، ويكون المفلت أقل من المأسور ! فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب ! فضحك وقال للرجل وكان كليياً: يا أخا كلب ، ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم ، وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ، فيعلم الله سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى ، وقبيح أو جميل ، وسخي أو بخيل ، وشقي أو سعيد ، ومن يكون النار حطباً ، أو في الجنان للنبيين مرافقاً . فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله ، وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه عليه السلام فعلمنيه ، ودعالي بأن يعيه صدري ، وتضطم عليه جوانحي» .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ، ما حاصله :

المِجَانَّ: جمع مِجَن بكسر الميم وهو الترس لأنه يستتر به . والجُنَّة: السترة والجمع جُنَن ، يقال استعجن بجُنَّة أي استتر بسترته . والمُطَرِّقَة المتخذة من حديد مطرق بالمطرقة . والسَّرَق: شقق الحرير . واعلم أن هذا الغيب الذي أخبر عنه ﷺ قد رأيناه نحن عياناً ووقع في زماننا ، وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا ، وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق ، حتى وردت خيلهم العراق والشام ، وفعلوا بملوك الخطا وقفجاق وببلاد ما وراء النهر ويخراسان وما والاها من بلاد العجم ، ما لم تحتو التواريخ منذ خلق الله تعالى آدم إلى عصرنا هذا على مثله ! فإن بابك الخرمي لم تكن نكايته وإن طالبت مدته نحو عشرين سنة ، إلا في إقليم واحد وهو آذربيجان ، وهؤلاء دوخوا المشرق كله ، وتعدت نكايتهم إلى بلاد إرمينية وإلى الشام ، ووردت خيلهم إلى العراق ! وبخت نصر الذي قتل اليهود ، إنما أخرب بيت المقدس وقتل من كان بالشام من بني إسرائيل . وأي نسبة بين من كان بالبيت المقدس من بني إسرائيل إلى البلاد والأمصار التي أخربها هؤلاء والناس الذين قتلوهم من المسلمين وغيرهم . (شرح نهج البلاغة: ٨/ ٢١٥).

أقول: هذه إحدى معجزات أمير المؤمنين ﷺ ، وعقيدتنا أن النبي ﷺ علمه الكثير ، ففي بصائر الدرجات/ ٣٢٦ ، والخصال/ ٦٤٤: أنه ﷺ قال على منبر المدائن في حديث: « يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ أسرَّ إليَّ ألف حديث في كل حديث ألف باب ، لكل باب ألف مفتاح ، وإني سمعت الله جل جلاله يقول: يَوْمَ نَدْعُو

كُلُّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ، وَإِنِّي أَقْسَمُ لَكُمْ بِاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَفَرٌ يَدْعُونَ بِإِمَامِهِمْ وَهُوَ ضَبٌّ ! وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَسْمِيَهُمْ لَفَعَلْتُ ! ثُمَّ حَدَقَ نَظْرَهُ إِلَى ثَمَانِيَةِ نَفَرٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، كَانُوا فِي مَجْلَسٍ خَرَّ ، وَقَدْ صَادُوا ضَبًّا حَيًّا فَبَايَعُوهُ سَخْرِيَّةً بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ! وَقَدْ أَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَغْيِبَاتٍ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَمِنْهَا خَبَرُ غَزْوِ الْمَغُولِ .

٢- حملة المغول الأولى على بلاد المسلمين

كانت حملة جنكيز خان الأولى على بغداد سنة ٦١٦ هجرية ، أي قبل غزو ابنه هولاكو لبغداد بتسع وأربعين سنة !

قال ابن خلدون: ٣/ ٥٣٤ ، يصف حملة جنكيز: «فسار إلى بلاد تركستان وما وراء النهر وملكها من أيدي الخطا ، ثم حارب خوارزم شاه إلى أن غلبه على ما في يده من خراسان وبلاد الجبل ، ثم تخطى أرائيه فملكها ، ثم ساروا إلى بلاد شروان وبلد اللان واللكز فاستولوا على الأمم المختلفة بتلك الأصقاع ، ثم ملكوا بلاد قنجاك . وسارت طائفة أخرى إلى غزنة وما يجاورها من بلاد الهند ، وسجستان وكرمان ، فملكوا ذلك كله في سنة أو نحوها ، وفعلوا من العيث والقتل والنهب ما لم يسمع بمثله في غابر الأزمان . انتهى .

وقد هرب سلطان سلاطين الخلافة محمد خوارزم شاه من جنكيز ، وكانت بيده إمكانات دول وجيوشها ، لكنه أصيب بالذعر فهرب من بلد إلى بلد وجيش جنكيز القليل يتبعه ، حتى وصل إلى البحر أو الهند ، وهلك وانقطعت إخباره ! قال عنه الذهبي في سيرة: ٢٢/ ٢٢٤: «وكان خوارزم شاه محمد قد عظم جداً ،

ودانت له الأمم ، وتحت يده ملوك وأقاليم .

وفي كامل ابن الأثير: ٣٦١/١٢: « وسيرَ عشرين ألف فارس وقال لهم: أطلبوا خوارزمشاه أين كان ، ولو تعلق بالسما ، حتى تدركوه وتأخذوه ! »

وقال عنه السبكي في الطبقات: ٣٢٩/١: « وأما خوارزمشاه فكان سعه قد تكامل ورأى من العظمة ما لم يعهد مثله للملك من زمن مديد وطالت مدته... ملك الخطا وما وراء النهر ، وخوارزم ، وأصفهان ، ومازندران ، وكرمان ، ومنجان ، وكش وجكان ، والغور ، وغزنة ، وأميان ، وأترار ، وأذربيجان إلى ما يليها من الهند وبلاد الترك ، وجميع ما وراء النهر إلى أطراف الصين ، وخطب له على منابر دربند شروان ، وبلاد خراسان ، وعراق العجم ، وغيرها من الأقاليم المتسعة والمدن الشاسعة ، مع المكنة الزائدة وطول المدة.. وقيل إنهم وجدوا في خزانة من خزائنه عشرة آلاف ألف دينار ، وألف حمل من الأطلس » .

وفي شرح نهج البلاغة: ٢٢٧/٨: « فكان كلما رحل عن منزل نزله التتار ، حتى وصل إلى بحر طبرستان فنزل هو وأصحابه في سفن ووصل التتار ، فلما عرفوا نزوله البحر رجعوا وأيسوا منه... ثم اختلف في أمر خوارزم شاه فقومٌ يحكّون أنه أقام بقلعة له في بحر طبرستان منيعة فتوفي بها ، وقومٌ يحكون أنه غرق في البحر ، وقومٌ يحكون أنه غرق ونجا عريانا فصعد إلى قرية من قرى طبرستان ، فعرفه أهلها فجاءوا وقبلوا الأرض بين يديه ، وأعلموا عاملهم به فجاء إليه وخدمه ، فقال له خوارزم شاه: إحملني في مركب إلى الهند ، فحمله إلى شمس الدين أنليمش ملك الهند ، وهو نسيبه من جهة زوجته والدة منكبوني بن خوارزم شاه

الملك جلال الدين ، فإنها هندية من أهل بيت الملك ، فيقال إنه وصل إلى أنليمش وقد تغير عقله مما اعتراه من خوف التتار ! أو لأمر سلطه الله تعالى عليه فكان يهذي بالتتار بكرة وعشياً !!

وقال في: ٢٣٨/٢٢: «ثم جهز جنكزخان خلف خوارزم شاه ، فعبروا جيحون خوضاً وسباحة ، فانهزم منهم وهم وراءه ، ثم عطفوا فأخذوا الريّ ، ومازندان وظفروا بأمر خوارزم شاه ومعها خزائنه ، فأسروها» .

وفي طبقات الشافعية: ٣٣٧/١: «فأروا في الطريق أم السلطان خوارزمشاه ، وكانت قد سمعت بهزيمة ابنها وهي في خوارزم ، وخوارزم دار ممكتهم العظمى ، فأخرجت من الحبس عشرين سلطاناً كانوا في سجن ولدها وقتلتهم ، وأودعت بعض القلاع من الأموال ما لا يدرك كثرة ، ثم سارت فرأوها ومعها من الأموال والجواهر والنفائس ما لا يعد كثرة ، فاستأصلوا ذلك كله» !

وفي سير الذهبي: ١٤٣/٢٢: «فمن ألقابها: عصمة الدنيا والدين ، ألغ ترکان ، سيدة نساء العالمين ! وكانت سفاكة للدماء ، وهي من بنات ملوك الترك ولها من الأموال والجواهر ما يقصر الوصف عنه ، فأخذت التتار الجميع ، ومما أخذوا لابنها صندوقين كان هو يقول: فيها ما يساوي خراج الأرض» .

أقول: كانت هذه الهزيمة بل الإنهيار للخلافة العباسية ، قبل غزو المغول لبغداد بتسع وأربعين سنة ، فأين كان الشيعة ، وأين كان الوزير ابن العلقمي ، ونصير الدين الطوسي ؟!

ثم انسحب المغول ، فماذا فعلت الخلافة لمنع تكرار الكارثة التي حدثت ؟!

عنهم، إن أبرز ما فعله الخليفة في بغداد أنه حل جيش الخلافة المكون من مئة ألف مقاتل ، وعندما تولى ابن العلقمي الوزارة بعد سنين طالب بإعادة الجيش لدفع غزو المغول ، واستعان بالجنود المسرحين فاعتصموا يوم الجمعة حتى عطلوا الصلاة ، فاتهمه حواشي الخليفة كالشرابي والدويديار قائد الجيش ، بأنه يريد أن يسرق من ميزانية الجيش ، ومنعوا إعادة تشكيل جيش الخلافة !

٣- احتل المغول روسيا وشرق أوروبا

روت مصادر التاريخ غزو جيش جنكيز لأرمينية والقفقاز وجورجيا وبلغاريا وبولونيا والمجر وروسيا ! ومن نصوصها ما في كامل ابن الأثير: ٣٨٣/١٢: «لما فرغ التتر من بلاد المسلمين بأذربيجان وأران ، بعضه بالملك وبعضه بالصلح، ساروا إلى بلاد الكرج من هذه الأعمال أيضاً ، وكان الكرج قد أعدوا لهم واستعدوا وسيروا جيشاً كثيراً إلى طرف بلادهم ليمنعوا التتر عنها ، فوصل إليهم التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولوا منهزمين ، فأخذهم السيف فلم يسلم منهم إلا الشريد . ولقد بلغني أنهم قتل منهم نحو ثلاثين ألفاً ، ونهبوا ما وصلوا إليه من بلادهم وخربوها ، وفعلوا بها ما هو عادتهم !

فلما وصل المنهزمون إلى تفليس وبها ملكهم جمع جموعاً أخرى وسيرهم إلى التتر أيضاً ليمنعوه من توسط بلادهم ، فرأوا التتر وقد دخلوا البلاد لم يمنعهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك ! فلما رأوا فعلهم عادوا إلى تفليس فأخلوا البلاد ! ففعل التتر فيها ما أرادوا من النهب والقتل والتخريب ! ورأوا بلاداً كثيرة

المضايق والدربنندات فلم يتجاسروا على الوغول فيها فعادوا عنها . وداخل الكرج منهم خوف عظيم حتى سمعت عن بعض أكابر الكرج وكان قدم رسولاً أنه قال: من حدثكم أن التتر انهمزوا وأسرّوا فلا تصدقوه ! وإذا حدثتم أنهم قُتلوا فصدقوا ، فإن القوم لا يفرون أبداً ! ولقد أخذنا أسيراً منهم فألقى نفسه من الدابة ، وضرب رأسه بالحجر إلى أن مات ولم يسلم نفسه للأسرة !

لما عبر التتر دربند شروان ساروا في تلك الأعمال ، وفيها أمم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك ، فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيراً وهم مسلمون وكفار ، وأوقعوا بمن عداهم من أهل تلك البلاد ، ووصلوا إلى اللان وهم أممٌ كثيرة وقد بلغهم خبرهم ، فجدوا وجمعوا عندهم جمعاً من قفجاق فقاتلوه فلم تظفر إحدى الطائفتين بالأخرى ، فأرسل التتر إلى قفجاق يقولون نحن وأنتم جنس واحد ، وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ولادينكم مثل دينهم ، ونحن نعاهدكم أننا لا نعترض إليكم ، ونحمل إليكم من الأموال والثياب ما شئتم ، وتتركون بيننا وبينهم... وساروا إلى قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر بينهم من الصلح ، فلم يسمعوا بهم إلا وقد طرّقوهم ودخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الأول فالأول ، وأخذوا منهم أضعاف ما حملوا إليهم !

وأقام التتر في بلاد قفجاق وهي أرض كثيرة المراعي في الشتاء والصيف... ووصلوا إلى مدينة سوادق وهي مدينة قفجاق التي منها مادتهم ، فإنها على بحر الخزر ، والمراكب تصل إليها وفيها الثياب فتشترى منهم وتباع عليهم الجوارى والمهاليك والبرطاسي والقندر والسنجاب ، وغير ذلك مما هو في بلادهم ، وبحر

خزيرة هذا بحر متصل بخليج القسطنطينية..

ثم إنهم ساروا سنة عشرين وست مائة إلى بلاد الروس ، فسمع الروس وقفجاق خبرهم وكانوا مستعدين لقتالهم ، فساروا إلى طريق التتر ليلقوهم قبل أن يصلوا إلى بلادهم ليمنعوهم عنها ، فبلغ مسيرهم التتر فعادوا على أعقابهم راجعين فطمع الروس وقفجاق فيهم ، وظنوا أنهم عادوا خوفاً منهم وعجزاً عن قتالهم ، فجدوا في أتباعهم ولم يزل التتر راجعين وأولئك يَقْفُونَ أثرهم اثني عشر يوماً ! ثم إن التتر عطفوا على الروس وقفجاق ، فلم يشعروا بهم إلا وقد لقوهم على غرة منهم ، لأنهم كانوا قد أمنوا التتر واستشعروا القدرة عليهم ، فلم يجتمعوا للقتال إلا وقد بلغ التتر منهم مبلغاً عظيماً ، فصبر الطائفتان صبراً لم يسمع بمثله ، ودام القتال بينهما عدة أيام ، ثم إن التتر ظفروا واستظهروا فانهزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة ، بعد أن أثنى فيهم التتر ، وكثر القتل في المنهزمين فلم يسلم منهم إلا القليل ، ونهب جميع ما معهم ، ومن سلم وصل إلى البلاد على أقبح صورة لبعد الطريق والهزيمة ، وتبعهم كثير يقتلون وينهبون ويخربون البلاد ، حتى خلا أكثرها ، فاجتمع كثير من أعيان تجار الروس وأغنيائهم ، وحملوا ما يعز عليهم وساروا يقطعون البحر إلى بلاد الإسلام...

وقصدوا بلغار أو آخر سنة عشرين وست مائة ، فلما سمع أهل بلغار بقريرهم منهم كمنوا لهم في عدة مواضع ، وخرجوا إليهم فلقوهم واستجروهم إلى أن جاوزوا موضع الكمناء ، فخرجوا عليهم من وراء ظهورهم ، فبقوا في الوسط وأخذهم السيف من كل ناحية ، فقتل أكثرهم ولم ينج منهم إلا القليل ! قيل

كانوا نحو أربعة آلاف رجل فساروا إلى سقين عائدين إلى ملكهم جنكزخان ، وخلت أرض قفجاق... واتصلت الطريق ، وحملت الأمتعة كما كانت .»

وفي سير الذهبي: ٢٤٢/٢٢: «كانت الواقعة بين التتار الداخلين من الدربند وبين القفجاق والروس ، وصبروا أياماً ثم استحر القتل بالروس والقفجاق.. وفيها رجعت التتار من بلاد القفجاق فاستباحوا الري وساووه وقم .»

٤- نماذج من فسوة المغول ووحشيتهم !

يتعجب الإنسان من سرعة موجة المغول واكتساحهم البلاد ، رغم بُعدها ووعورة طرقها ، ودفاع أهلها عنها ! لكن يبطل العجب عندما يقرأ عن الرعب الذي أصاب الشعوب والحكام والجيوش ، من مجرد إسم المغول !

وقد تعتمد قادة المغول شحن غرائز جنودهم الوحشية لتخويف الشعوب ! وهذه نماذج من وحشيتهم ، من تاريخ ابن الأثير الذي عاصر غزوهم:

قال في: ٣٥٨/١٢ ، وبعدها: «فلو قال قائل إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها ، لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ! ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر بن بني إسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس ، وما بيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف بيت المقدس ! وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا ؟ فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل ! وأما الدجال فإنه يُبقي على من اتبعه ويهلك من خالفه ، وهؤلاء لم يبقوا على أحد

بل قتلوا النساء والرجال والأطفال ، وشقوا بطون الخوامل وقتلوا الأجنة...

ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عدداً ، فقتلوا كل من وقف لهم
فهرب الباقون إلى الغياض ورؤوس الجبال وفارقوا بلادهم ، واستولى هؤلاء
التر عليها ، فعلوا هذا في أسرع زمان ، لم يلبثوا إلا بمقدار مسيرهم لا غير .

ومضى طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد
الهند وسجستان وكرمان ، ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء وأشد ! وهذا ما لم يطرق
الأسماع مثله ! فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا ، لم
يملكها في هذه السرعة إنها ملكها في نحو عشر سنين ، ولم يقتل أحداً إنها رضي
من الناس بالطاعة ، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأحسنه وأكثره
عمارة وأهلاً وأعدل أهل الأرض أخلاقاً وسيرةً ، في نحو سنة ! ولم يبق أحد من
البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف ، يتوقعهم ويتربص وصولهم إليه...

ثم إنهم لا يحتاجون إلى ميرة ومدد يأتيهم ! فإنهم معهم الأغنام والبقر والخيول
وغير ذلك من الدواب ، يأكلون لحومها لا غير ، وأما دوابهم التي يركبونها فإنها
تحفر الأرض بحوافرها وتأكل عروق النبات ، ولا تعرف الشكير ! فهم إذا نزلوا
منزلاً لا يحتاجون إلى شيء من خارجه !...

ودخل جنكزخان بنفسه وأحاط بالقلعة ونادى في البلد بأن لا يتخلف أحد
ومن تخلف قتل فحضروا جميعهم... ثم أمرهم بالخروج من البلد ، فخرجوا
مجريدين من أموالهم ليس مع أحد منهم غير ثيابه التي عليه ، ودخل الكفار البلد
فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه ، وأحاط بالمسلمين فأمر أصحابه أن يقتسموهم

فاقتسموهم . وكان يوماً عظيماً من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان تفرقوا أيدي سبا وتمزقوا كل ممزق ! واقتسموا النساء أيضاً وأصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس ! وارتكبوا من النساء العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً مما نزل بهم ! فمنعهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك ، فقاتل حتى قتل ! واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى ، فساروا بهم مشاة على أقبح صورة ، فكل من أعيأ وعجز عن المشي قتل !

فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجال والأسارى والأثقال وراءهم حتى تقدموا شيئاً فشيئاً ليكون أروع لقلوب المسلمين... فقاتلهم الرجال بظاهر البلد فلم يزل التتر يتأخرون وأهل البلد يتبعوهم ويطمعون فيهم ، وكان الكفار قد كمنوا لهم كميناً ، فلما جاوزوا الكمين خرجوا عليهم...

فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد (سمرقند) أن يخرج أهله جميعهم ومن تأخر قتلوه ، فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع أهل بخارى من النهب والقتل والسبي والفساد... وكان ذلك في المحرم سنة ٦١٧...

فوصلوا إلى الريّ على حين غفلة من أهلها ، فلم يشعروا إلا وقد وصلوا إليها وملكوها ونهبوها وسبوا الحريم واسترقوا الأطفال ، وفعلوا الأفعال التي لم يسمع بمثلها ، ولم يُقيموا ومضوا مسرعين في طلب خوارزمشاه ، فنهبوا في طريقهم كل مدينة وقرية مروا عليها...

ثم وصلوا إلى قزوین فاعتصم أهلها منهم بمدينتهم ، فقاتلوهم وجُدّوا في

قتلهم ودخلوها عنوة بالسيف ، فاقتتلوا هم وأهل البلد في باطنه ، حتى صاروا يقتتلون بالسكاكين ، فقتل من الفريقين ما لا يحصى !

ثم فارقوا قزوين فعُدَّ القتلى من أهل قزوين فزادوا على أربعين ألف قتيل...

فلما حصروها (مراغة) قاتلهم أهلها فنصبوا عليها المجانيق وزحفوا إليها ، وكانت عادتهم إذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من أسارى المسلمين بين أيديهم يزحفون ويقاتلون ، فإن عادوا قتلوا ، فكانوا يقاتلون كرهاً ، وهم المساكين كما قيل: كالأشقر إن تقدم ينحر وإن تأخر يعقر ! وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين فيكون القتل في المسلمين الأسارى ، وهم بنَجْوَة منه !

فأقاموا عليها عدة أيام ، ثم ملكوا المدينة عنوة وقهراً رابع صفر ، ووضعوا السيف في أهلها ، فقتل منهم ما يخرج عن الحد والإحصاء ، ونهبوا كل ما يصلح لهم وما لا يصلح لهم أحرقوه !

واختفى بعض الناس منهم ، فكانوا يأخذون الأسارى ويقولون لهم: نادوا في الدروب إن التتر قد رحلوا ! فإذا نادى أولئك خرج من اختفى فيؤخذ ويقتل ! وبلغني أن امرأة من التتر دخلت داراً وقتلت جماعة من أهلها وهم يظنونها رجلاً فوضعت السلاح فإذا هي امرأة ، فقتلها رجل أخذته أسيراً !

وسمعت من بعض أهلها أن رجلاً من التتر دخل داراً فيه مائة رجل ، فما زال يقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم ، ولم يمد أحد يده إليه بسوء ! ووضعت الذلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلاً ولا كثيراً ، نعوذ بالله من الخذلان !

ثم رحلوا عنها نحو مدينة إربل ، ووصل الخبر إلينا بذلك بالموصل فخفنا... وكانت الأقوات متعذرة في تلك البلاد جميعها ، لخرابها وقتل أهلها وجلاء من سلم منهم ، فلا يقدر أحد على الطعام إلا قليلاً ، وأما التتر فلا يباليون لعدم الأقوات لأنهم لا يأكلون إلا اللحم ، ولا تأكل دوابهم إلا نبات الأرض ، حتى إنها تحفر بحوافرها الأرض عن عروق النبات فتأكلها !

وقوي التتر على المسلمين (في أربل) فأفنوهم قتلاً ، ولم يسلم إلا من كان عمل له نفقاً يخفي فيه ! وبقي القتل في المسلمين عدة أيام ثم ألقوا النار في البلد فأحرقوه... ثم إنهم ملكوا البلد (بيلقان) عنوةً في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وست مائة ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة ! حتى إنهم يشقون بطون الحبالى ويقتلون الأجنة ! وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها !

وكان الإنسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحداً بعد واحد ، حتى يفرغ من الجميع ، لا يمد أحد منهم اليه يداً !

وفي الكامل: ٣٩٧/١٢: «فوصلوا إلى قرية تسمى المؤنسة وهي على مرحلة من نصيبين بينها وبين الموصل ، فنهبوا ، واحتمى أهلها وغيرهم بخان فيها فقتلوا كل من فيه ! وحكي لي عن رجل منهم أنه قال اختفيت منهم بيت فيه تبن ، فلم يظفروا بي ، وكنت أراهم من نافذة في البيت ، فكانوا إذا أرادوا قتل إنسان فيقول لا بالله ! فيقتلونه ، فلما فرغوا من القرية ونهبوا ما فيها وسبوا الحريم ، رأيتهم وهم يلعبون على الخيل ويضحكون ، ويُعْتَنُون بلبغتهم بقول: لا بالله !

وفي الكامل: ٥٠١/١٢: «ولقد بلغني أن إنساناً منهم أخذ رجلاً ولم يكن مع التتري

ما يقتله به ، فقال له: ضع رأسك على الأرض ولا تبرح ، فوضع رأسه على الأرض ! ومضى التتري وأحضر سيفاً فقتله به ! وحكى لي رجل قال: كنت أنا ومعى سبعة عشر رجلاً في طريق ، فجاءنا فارس من التتر وقال لنا حتى يكتف بعضنا بعضاً ، فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم ، فقلت لهم: هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب ؟ فقالوا: نخاف ! فقلت هذا يريد قتلكم الساعة ! فنحن نقتله فلعل الله يخلصنا ، فوالله ما جسر أحد يفعل ذلك ! فأخذت سكيناً وقتلته وهربنا فنجونا ! وأمثال هذا كثير .

٥- بركة خان المغولي الذي ضخموه !

تتعجب من أن أتباع الخلافة ضخموا شخصين هما: الباخريزي الصوفي، وسيأتي ذكره ، وبركة خان بن توشي خان بن جنكيز خان ، فقالوا إنه أسلم على يد الباخريزي وأقام شعائر الإسلام ، وأنه والباخريزي نهيا هولاكو عن احتلال بغداد وقتل الخليفة ، فتأخر بسبب ذلك سنتين ! وكثرت رواياتهم عن (فضائل) بركة خان ، ومراسلاته وهداياهِ المتبادلة مع الخليفة ومع سلطان مصر بيبرس ، وصوروا حربه لهولاكو بأنها كانت بتحريك سلاطين المسلمين !

وأكثر من بالغ في أمره: الفلقشندي ، والعيني ، وابن خلدون في تاريخه: ٥٢٩/٥.

ومثلهم الذهبي ، قال في تاريخه: ١٨٩/٤٩: «بركة بن توشي بن جنكيز خان المغلي ، ملك القفجاق وصحراء سوداق ، وهي مملكة متسعة مسيرة أربعة أشهر ، وأكثرها براري ومروج... وكان قد أسلم وكاتب الملك الظاهر... وله عساكر

عظيمة ومملكة تفوق مملكة هولاکو من بعض الوجوه ، وكان يعظم العلماء ويعتقد في الصالحين ، ولهم حرمة عنده . من أعظم الأسباب لوقوع الحرب بينه وبين هولاکو كونه قتل الخليفة .. وقد سافر من سقسين سنة نيف وأربعين إلى بخارى لزيارة الشيخ سيف الدين البخارزي فقام على باب الزاوية إلى الصباح ، ثم دخل وقبّل رجل الشيخ ، وأسلم معه جماعة من أمرائه !

وقال الفلقشندي في مآثر الإنافة: ٩٠ / ٢: « وكان للمستعصم وزير يقال له مؤيد الدين بن العلقمي رافضي ، فشق ذلك عليه فكتب الى هولاکو بن طولی بن جنکزخان ملك التتر وأطمعه في البلاد ، فخرج هولاکو للإستيلاء على بلاد الخليفة .

وكان بركة بن طوجی خان صاحب بلاد الشمال التي قاعدتها الآن السراي ، قد أسلم على يد البخارزي أحد مشايخ الصوفية وأوصاه بالخليفة المستعصم ، وكتب بركة الى الخليفة يعرفه ذلك وأنه معاضده وناصره ، وانتظمت الصحبة بينه وبين الخليفة ، فمرّ هولاکو على بركة قاصداً بغداد ، فاعترضه بركة ومنعه من ذلك وقال: إن الخليفة صاحبي فلا سبيل الى وصولك اليه ، وإن لم ترجع عنه حاربتك ! فتوقف هولاکو حينئذ عن قصد بغداد ستين حتى مات بركة فقصد بغداد حينئذ . انتهى .

وما قالوه في بركة كذبٌ صريح ! فهو لم ينه ابن عمه هولاکو عن غزو بغداد ولا عن قتل الخليفة ، بل أمدّه بجيش لذلك ! ففي تاريخ الذهبی: ٣٥ / ٤٨: « وركب هولاکو إلى العراق ، وكان على مقدمته باجو نوین ، وفي جيشه خلقٌ من الترك والكرج ، ومن عسكر بركة بن عم هولاکو ، ومدد من صاحب الموصل !

كما نصوا أنفسهم على أن بركة غزا تركيا قبل غزو هولاكو لبغداد ! وفرض على السلاجقة مالية ضخمة ، وترك فيها حامية مغولية !

قال ابن كثير في النهاية: ٢٧٧/١٣: «ثم أغار بركة خان على بلاد القسطنطينية فصانعه صاحبها ، وأرسل الظاهر هدايا عظيمة إلى بركة خان ».

وفي العبر للذهبي: ١٦٧/٥: «سنة إحدى وأربعين وست مئة . فيها حكمت التتار على بلد الروم ، وألزم صاحبها ابن علاء الدين بأن يحمل لهم كل يوم ألف دينار ومملوكاً ، وجاريةً ، وفرساً ، وكلبَ صيد » !

كما أن حرب بركة هولاكو لم تكن لأنه قتل صديقه الخليفة كما زعم الذهبي ! بل لأن بركة خان لم تكفه غنائم غزوه لتركيا ، فطلب من هولاكو سهماً من أموال البلاد التي غزاها وسلبها ، فلم يعطه !

قال ابن كثير: ٢٧٢/١٣: «وقع الخلاف بين هولاكو وبين السلطان بركة خان بن عمه ، وأرسل إليه بركة يطلب منه نصيباً مما فتحه من البلاد وأخذه من الأموال والأسرى ، على ما جرت به عادة ملوكهم ! فقتل رسله فاشتد غضب بركة ، وكتب الظاهر ليتفقا على هولاكو » !

وهذه هي الحرب الثانية لبركة مع هولاكو ، أما الحرب الأولى فكانت قبل غزو بغداد في سياق اختلاف أولاد جنكيز وأحفاده على مملكته !

فقد ذكر النويري في نهاية الإرب/ ٦٢٢٧: أن طوجي أوتوشي بن هولاكو غزا المنطقة الشمالية أو البلاد الشمالية بأمر أخيه منكوقا آن سنة ٦٢٧، وحكمها إلى أن

توفي سنة ٦٤١ و حكمها بعده ابنه باطوخان نحو عشر سنين الى أن مات سنة ٦٥٠ ، وكان له ثلاثة أولاد: طغان وبركة وبركجار ، فنازعهم عمهم صرطق بن توشي وحكم سنة وشهرين ومات سنة ٦٥٢ ، ولم يكن له أولاد . وكانت زوجة طغان واسمها براق شين تريد الحكم لابنها تدان منكوا ، لكن أعيام ولدها وقادة الجيش لم يقبلوا وولوا عليهم بركة ، فكتبت براق الى هولاءكو تستغيثه وتطلب منه أن يحتل المنطقة ويحكمها ، ثم خرجت قاصدة هولاءكو فلحقوا بها في الطريق وقتلواها ، وطمع هولاءكو بمساعدة أنصارها ، فغزا مملكة بركة وكانت بينها حرب طاحنة ! فهذا كل ما في الأمر ، لا إسلام ولا مسلمون ولا خليفة !

ومن الغريب أنهم رأوا أن بركة توجه بعد معركته مع هولاءكو لغزو بلاد المسلمين ، فأغمضوا عيونهم ومدحوا بركة !

قال العيني في عقد الجمان/ ١٨٩: «وأما الحرب التي وقعت بين بركة خان وهلاون فكانت حرباً عظيمة انكسر فيها هلاون كسراً شنيعاً وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقي ، وهرب هو في شرذمة قليلة من أصحابه . وبعد فراغ بركة خان من الحرب عاد على بلاد القسطنطينية وصانعه صاحبها » . انتهى .

ومعنى هذا أن بركة قام بحملتين على تركيا ، فقد روى ابن العربي/ ٢٢٣ ، أنه غزا تركيا سنة ٦٤٠ ، أي قبل حملة هولاءكو بخمس عشرة سنة ، قال: « وفي سنة أربعين وست مائة سار السلطان غياث الدين كيخسرو (السلجوقي) إلى أرمينية في جمع كثيف وجهاز لم يتجهز أحد مثله في عساكره وعساكر اليونانيين والفرنج والكرج والأرمن والعرب لمحاربة التاتار ، فالتقى العسكران بنواحي أرزنكان

بموضع يسمى كوساذاغ ، وأول وهلة باشر المسلمون ومن معهم الجيوش النصرانية الحرب وذُهلوا وأدبروا وولوا هارين ، فانهمز السلطان مبهوتاً فأخذ نساءه وأولاده من قيسارية ، وسار إلى مدينة أنقورة فتحصن بها .. الخ. !

وعليه ، فقد كان بركة خان يتوود الى المسلمين لاحقاً بهم ولا بالإسلام بل منافسةً لهولاكو! وقد استفاد من ذلك فأرسل دفعات من جيش المغول الى مصر فاستقبلهم السلطان بيبرس ، ووظفهم وصار لهم شأن في تاريخ مصر .

قال المقرئ في المواعظ والاعتبار/١٤٤٧: « فلما كثرت وقائع التتر في بلاد المشرق والشمال وبلاد القبحاق وأسروا كثيراً منهم وباعوهم ، تنقلوا في الأقطار واشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم سباهم البحرية ، ومنهم من ملك ديار مصر ، وأولهم المعز أيك... ثم كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بيبرس وملؤوا مصر والشام ، وخطب للملك بركة بن يوشي بن جنكز خان على منابر مصر والشام والحرمين ! فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغل وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم ! هذا وملوك مصر وأمرأؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعباً من جنكز خان وبنيه ، وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم... وكانوا إنما رُبُّوا بدار الإسلام ولقنوا القرآن وعرفوا أحكام الملة المحمدية ، فجمعوا بين الحق والباطل وضموا الجيد إلى الردي ، وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام ، وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية كتداعي الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك .

واحتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعادة جنكز خان والإقتداء بحكم الياسة ، ونصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوايدهم ، والأخذ على يد قويمهم وإنصاف الضعيف منه على مقتضى ما في الياسة ! وجعلوا إليه من ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية عند الإختلاف .

وقال المقرئ في السلوك / ٢٦٤: «وكتب السلطان إلى النواب بإكرام الوافدية من التتار والإقامة لهم ما يحتاجون إليه من العليق والغنم وغيره ، وسيرت إليهم الخلع والإنعامات والسكر ونحوه ، وساروا إلى القاهرة ، فخرج السلطان إلى لقائهم في سادس عشري ذي الحجة ، ولم يتأخر أحد عن مشاهدتهم ».

وقال في المواعظ والإعتبار / ١٢٤٠: «فتكاثروا بديار مصر وتزايدت العماير في اللوق وما حوله ، وصار هناك عدة أكال عامرة أهلة... وفي سادس ذي الحجة من سنة إحدى وستين قدم من المغل والبهادرية زيادة على ألف وثلاث مائة فارس ، فأنزلوا في مساكن عمرت لهم باللوق بأهاليهم وأولادهم ».

أقول: ثم قام بركة خان المغولي بتزويج ابنته إلتطمش للسلطان الظاهر بيبرس فأنجبت له ولداً وسمته بركة خان على إسم أبيها ، وأقنعت بيبرس فجعله ولي عهده ، ولما مات بيبرس كان عمر ابنها ١٩ سنة فحكم مدة يسيرة ، وكان سلوكه مشيناً ، فثار عليه الأمراء وخلعوه ، وبايعوا أخاه سلامة مكانه !

قال في النجوم الزاهرة: ٧/ ٢٥٩: «الخامس من ملوك الترك بمصر ، سمي بركة خان على اسم جده لأنه بركة خان بن دولة خان الخوارزمي».

وفي نهاية ابن كثير: ١٣/ ٣٣٨: «غلبت عليه الخاصكية فجعل يلعب معهم في

الميدان الأخضر فيما قيل ، فربما جاءت التوبة عليه فينزل لهم (أي فيفعلون به)!
فأنكرت الأمراء الكبار ذلك ، وأنفوا أن يكون ملكهم يلعب مع الغلمان ويجعل
نفسه كأحدهم ، فراسلوه في ذلك ليرجع عما هو عليه فلم يقبل ، فخلعوه ».

وفي أعلام الزركلي: ٥٢/٦: «وكان حسن الشكل جسيماً كريماً على الرعية ، عيَّ
اللسان منقطع الحجة ، يسمع الخطاب ولا يرد الجواب . وقال ابن تغري بردي:
كان سعى التدبير » . (راجع وافي الصفدي: ٢٠٤/٩ ، والنجوم العوالي للعصامي / ١٢٨٢).

وهذا يدل على أن ثقافة الشراكسة والمغول واحدة ، ويظهر أن دمهم واحد !



سقوط بغداد بيد المغول

١- انشغل المغول عن بغداد أكثر من ثلاثين سنة !

انحسر مدُّ المغول عن إيران والعراق لأكثر من أربعين سنة بعد اجتياحهم الأول ، فقد ركزوا حملاتهم في تلك المدة على شرق أوروبا وأرمينية وروسيا ، وقاموا بغارتين صغيرتين فقط على بغداد سنة ٦٣٥ ، ولاقوا في الأولى مقاومةً حسنة ورجعوا ، وفي الثانية كسروا جيش الخلافة ، وغنموا غنيمة عظيمة .

لكن الخليفة وقائدَي الجيش الشرابي والدوادار ، بدل أن يُقَوِّوا جيشهم ودفاعاتهم قاموا بحل الجيش ، مبررين ذلك بأنهم يريدون إعطاء ميزانية الجيش للمغول ليردوا شرهم عنهم !

قال ابن العربي في مختصر تاريخ الدول/ ٢٢٢: « وفيها (سنة ٦٣٥) غزا التاتار العراق ووصلوا إلى تخوم بغداد إلى موضع يسمى زنكاباذ وإلى سُرِّ مرأى ، فخرج إليهم مجاهد الدين الدويدار وشرف الدين إقبال الشرابي في عساكرهما فلقوا المغول وهزموهم ، وخافوا من عودهم فنصبوا المنجنيقات على سور بغداد . وفي آخر هذه السنة عاد التاتار إلى بلد بغداد ووصلوا إلى خانقين ، فلقبهم جيوش بغداد

فانكسروا وعادوا منهزمين إلى بغداد ، بعد أن قتل منهم خلق كثير ، وغنم المغول غنيمة عظيمة وعادوا . انتهى .

ومعناه أن التتار كان باستطاعتهم أن يصلوا الى بغداد قبل عشرين سنة ! وقبل أن يأتي الخليفة المستعصم ويستوزر ابن العلقمي رحمته الله !

٢- حملة المغول الثانية بقيادة هولاكو

قال في تاريخ مختصر الدول / ٢٣٢: «لما فرغ خاطر مونككا قاآن من أمر المخالفين ، شرع في ترتيب العساكر وضبط الممالك ، فأقطع بلاد الخطا من حد الميري إلى سليكاي وتنكوت وتبت ، لقبلاي أغول أخيه ، والبلاد الغربية هولاكو أخيه الآخر . ومن جهة تحصيل الأموال: ولى على البلاد الشرقية من شاطىء جيحون إلى منتهى بلاد الخطا ، الصاحب المعظم يلواج وولده مسعود بيك ، وعلى ممالك خراسان ومازندران وهندوستان والعراق وفارس وكرمان ولور وأران وأذربيجان وكرجستان والموصل والشام ، الأمير أرغون آغا .

وأمر آن المتمول الكبير ببلاد الخطا أن يؤدي في السنة خمسة عشر ديناراً ، والوضع ديناراً واحداً ، وبلاد خراسان يزّن المتمول في السنة عشرة دنانير ، والفقير ديناراً واحداً ، ومن مراعي ذوات الأربع الذي يسمونه قويجور ، يؤخذ من كل من له مائة رأس من جنس واحد رأس واحد ، ومن ليس له مائة لا يؤخذ منه شئ . وأطلق العباد وأرباب الدين من الوثنيين والنصارى

والمسلمين ، من جميع المؤونات والأوزان والتكليفات .»

قال الدكتور حسين مؤنس: «الصين الشمالية التي تعرف باسم بلاد الخطا أو الخطاي ، والعرب أول من أطلق هذا الاسم على شمال الصين ، وعاصمته خان بالق أو بكين ، وعنهم أخذ الأوروبيون الاسم ، فظلوا يسمون بلاد الصين كلها cathay من القرن ١٣-١٦ . وهؤلاء الترك الخطا غزوا الصين ، وأنشأوا فيها دولة دامت خلال القرنين: ١٠-١١ » . (الإسماعيليون والمغول / ١٥٢).

وقال ابن العبري / ٢٣٤: «وفي سنة إحدى وخمسين وست مائة توجه هولاءكو إيلخان من نواحي قراقورم إلى البلاد الغربية ، وسير معه مونككا قا آن الجيوش من كل عشرة اثنين ، وصحبه أخوه الصغير ستاي أغول ، ومن جانب باتوا بلغاي بن سبقان ، وقوتار أغول وقولي ، في عساكر باتوا ، ومن قبل جفاتاي تكودار أغول بن بوخي أغول ، ومن جانب جيحكان بيكي بوقا تيمور في عسكر الأويرات ، ومن ناحية الخطا ألف بيت من صناعات المنجنيقات وأصحاب الحيل في إصلاح آلات الحرب ، فكان أمير الترك كيدبوقا الباورجي ، وكان القائم مقام هولاءكو بأردو مونككا قاآن ، ولده جومغار ، بسبب أن أمه أكبر خواتين هولاءكو أبيه ، وأخذ صحبته ابنه الكبير آباقا وابنه الآخر يسمون ، ومن الخواتين الكبار دوقوز خاتون ، المؤمنة المسيحية ، والجاي خاتون » .

وقال السيد الأمين في الإسماعيليون والمغول / ١٥٤: «وقبل أن تبدأ الحملة زحفها أرسل منكوقا آن خبراء الطرق ليكشفوا على الطريق الذي ستسلكه حملة هولاءكو في مرحلتها الأولى ، من قراقورم حتى شاطئ نهر جيحون ، وليقيموا

الجسور على الأنهار والمجاري ، وحدد لكل جندي مائة من الدقيق وقربةً من النبيذ ، وأوصى هولاكوبما يلي: حافظ على تقاليد جنكيز وقوانينه في الكليات والجزئيات ، وخصّ كل من يطيع أوامرك ويجتنب نواهيك ، في الرقعة الممتدة من جيحون حتى أقاصي مصر بلطفك ، وبأنواع عطفك وإنعامك . أما من يعصيك فأغرقه في الذلة والمهانة مع نسائه وأبنائه وأقاربه وكل ما يتعلق به !

وقال المقرئ في السلوك / ٢١١: «وردت الأخبار بأن منكوخان ملك التتر سير أخاه هولاكوب لأخذ العراق ، فسار وأباد أهل بلاد الإسماعيلية قتلاً ونهباً وأسراً وسيياً ، ووصلت غاراته إلى ديار بكر وميافارقين وجاؤوا إلى رأس عين وسروج وقتلوا ما ينيف على آلاف وأسروا مثل ذلك ، وصادفوا قافلة سارت من حران تريد بغداد فأخذوا منها أموالاً عظيمة ، من جملتها ست مائة حمل سُكَّر من عمل مصر ، وست مائة ألف دينار ، وقتلوا الشيوخ والعجائز ، وساقوا النساء والصبيان معهم ، فقطع أهل الشرق الفرات وفروا خائفين » .

«هولاكوبن تولى قان... كان طاغية من أعظم ملوك التتار ، وكان شجاعاً مقداماً حازماً مدبراً ، ذاهمة عالية وسطوة ومهابة ، وخبرة بالحروب ، ومحبة للعلوم العقلية من غير أن يتعقل منها شيئاً.. وكان سعيداً في حروبه ، طوّف البلاد واستولى على الممالك في أيسر مدة» . (فوات الوفيات: ٢/ ٥٨٠ ، وأبو الفداء/ ٧٤٤) .

٣- سلموا بلاد المسلمين الى المغول واتهموا الشيعة !

وصلت الخلافة العباسية قبيل الغزو المغولي الى غاية ضعفها وانحطاطها ، بسبب استغراق الخليفة وبطانته وسلاطينه في اللهو والترف وجمع المال !

وكان خطر المغول ماثلاً أمامهم ، لكن المستعصم بالله كان مستعصماً في لهوه وخمره ونسائه ، حتى بعد أن وصل الزحف المغولي الى قصره !

وقد شهد بذلك معاصره المؤرخ ابن الطقطقي فقال في الآداب السلطانية/ ٢٧: «وكان المستعصم آخر الخلفاء شديد الكلف باللهو واللعب وسماع الأغاني ، لا يكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة ، وكان ندماءه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التمتع واللذات ، لا يراعون له صلاحاً ! وفي بعض الأمثال: الحائن لا يسمع صياحاً ! (الحائن: الذي حان هلاكه بحمقه) وكتبت له الرقاع من العوام ، وفيها أنواع التحذير ، وألقيت فيها الأشعار في أبواب دار الخلافة ، فمن ذلك:

قل للخليفة مهلاً	أناك ما لا تحبُّ
ها قد دَهَنَتْكَ فنونٌ	من المصائب غُرْبُ
فانهض بمعزم وإلا	عَشَاكَ وِئْلٌ وَحَزْبُ
كسرٌ وهتكٌ وأنسرُ	صَرْبٌ وَتَهَبٌ وَسَلْبُ

وفي ذلك يقول بعض شعراء الدولة المستعصمية من قصيدة:

يا سائلي ولمحض الحق يرتادُ	أصِحِّحْ فعندي نُشْدَانٌ وإنشادُ
واضيعة الناس والدين الحنيف وما	تلقاه من حادثات الدهر بغدادُ
هتكٌ وقتلٌ وأحداثٌ يشيب بها	رأس الوليد وتعذيبٌ وأصفادُ

كل ذلك وهو عاكفٌ على سماع الأغاني ، واستماع المثلث والمثاني ، وملكه قد أصبح واهي المباني ! وما اشتهر عنه أنه كتب إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من ذوي الطرب ، وفي تلك الحال وصل رسول السلطان هولاء إلى يطلب منه منجنيقات وآلات الحصار ! فقال بدر الدين : أنظروا إلى المطلوبين ، وابكوا على الإسلام وأهله ! وبلغني أن الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي كان في أواخر الدولة المستعصمية ينشد دائماً :

كيف يُرجى الصلاح في أمر قوم ضيّعوا الحزم فيه أيّ ضبايح
فمطاعُ المقال غيرٌ سديد وسديدُ المقال غير مطاع . انتهى .

٤- اختاروا خليفة ضعيف الشخصية ليكون بيدهم !

قال الذهبي في تاريخه : ٢٥٩ / ٤٨ : « كان (المستعصم) متديناً متمسكاً بالسنة كآبيه وجده ولكنه لم يكن على ما كان عليه أبوه وجده الناصر من التيقظ والحزم وعلو الهمة ! وكان له أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه في الشهامة والشجاعة ، وكان يقول : إن ملكني الله لأعبرنّ بالجيوش نهر جيحون ، وأنتزع البلاد من التتار وأستأصلهم ! فلما توفي المستنصر لم يرَ الدويدار والشرابي والكبار تقليد الخفاجي الأمر ، وخافوا منه ! وآثروا المستعصم لما يعلمون من لينه وانقياده وضعف رأيه ، ليكون الأمر إليهم ، فأقاموا المستعصم » . انتهى .

وقال ابن العربي في تاريخ مختصر الدول / ٢٢٦ : « وفي سنة أربعين وست مائة بويع المستعصم يوم مات أبوه المستنصر ، وكان صاحب لهُ وقصف وشغف بلعب

الطيور واستولت عليه النساء ، وكان ضعيف الرأي قليل العزم كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول . وكان إذا بُنِيَ على ما ينبغي أن يفعله في أمر التاتار ، إما الإدارة والدخول في طاعتهم وتوخي مرضاتهم ، أو تجهيش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق ، فكان يقول: أنا بغداد تكفيني ، ولا يستكثرونها لي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد ! ولا يهجمون عليّ وأنا بها ، وهي بيتي ودار مقامي ! فهذه الخيالات الفاسدة وأمثالها عدلت به عن الصواب ، فأصيب بمكاره لم تخطر بباله . انتهى .

أقول: هذه هي شخصية الخليفة ، وهذه هي بطاقته التي جاءت به ، ثم أدارت أموره ! فهل ترى فرقاً بين منطقهم ومنطق مدمني الخمر والمخدرات؟! فاعجب للذين يريدون تبرئة هؤلاء السكارى الخوَّارين ، ويلقون بجريمتهم على شيعي تقى نزيه ، لا يسكر ولا يسرق ، هو محمد بن العلقمي رحمته الله !

فأين كان ابن العلقمي عندما كانت مقدرات الخلافة بيد (الدويدار والشرابي والكبار) على حد تعبير الذهبي ، وعندما فرضوا مستعصمهم الخمار سنة ٦٤٠ ، قبل سقوط بغداد بخمس عشرة سنة؟! قال في النجوم الزاهرة ٦/٣٤٥: « وخطب له يومئذ بالجامع حتى أقبل شرف الدين إقبال الشرابي ومعه جمع من الخدام ، وسلم على ولده المستعصم بالله أمير المؤمنين ، واستدعاه إلى سدة الخلافة ، ثم عرّف الوزير وأستاذ الدار ، ثم طلبوا الناس وبايعوه بالخلافة ، وتم أمره » .

وقد تسأل: فكيف استوزروا ابن العلقمي ؟ والجواب: أنهم كانوا محتاجين الى رئيس وزراء إداري كفوء مخلص ، وكان ابن العلقمي معروفاً بذلك .

٥- قام الخليفة وبطانته بعمل أحقق فحلوا جيش الخلافة !

أجمعت المصادر على أن المستعصم وأباه المستنصر وبطانتهما ، خاصة الشرابي والدويدار قائد الجيش ، أصدروا مرسوماً بتسريح جيش الخلافة ، وكان عدده مئة ألف ، رغم أنهم يعرفون خطر المغول على البلاد والعاصمة !

قال أبو الفداء في تاريخه / ٨٠٤ : « ولما مات المستنصر اتفقت آراء أرباب الدولة مثل الدوادار والشرابي على تقليد الخلافة ولده عبد الله ولقبوه المستعصم بالله ، وهو سابع ثلاثينهم وآخرهم ، وكنيته أبو أحمد بن المستنصر بالله منصور ، وكان عبد الله المستعصم ضعيف الرأي فاستبد كبراء دولته بالأمر ، وحسنوا له قطع الأجناد ، وجمع المال ومداراة التتر ، ففعل ذلك وقطع أكثر العساكر » .

وقال القلقشندي في مآثر الإنافة / ٢ / ٨٩ : « وكان عسكر بغداد قبل ولاية المستعصم مائة ألف فارس ، فقطعهم المستعصم ، ليحمل الى التتر متحصل إقطاعاتهم ! فصار عسكرها دون عشرين ألف فارس » . انتهى .

أقول: وقد اعترض الجند وثاروا على قرار حل الجيش ، فقمعهم الخليفة بعنف وقتل منهم ! وذلك قبل أن يجيئ المستعصم وابن العلقمي ! (النجوم الزاهرة: ٦ / ٣٤٥) .
 فكيف نصدق المتعصين الذين حملوا مسؤولية حل الجيش لابن العلقمي؟!
 والصحيح أنه ﷺ حاول إعادة تشكيل الجيش فعارضوه ! وقد شهد بذلك الذهبي وغيره ، واعترفوا بأن الخليفة لم يكن يسمع لابن العلقمي رأياً ! فقد قال في تاريخه: ٤٨ / ٢٩٠ ، عن ابن العلقمي ﷺ : « كان وزيراً كافياً ، قادراً على النظم خبيراً

بتدبير الملك ، ولم يزل ناصحاً لمخدومه حتى وقع بينه وبين حاشية الخليفة وخواصه منازعة فيما يتعلق بالأموال والإستبداد بالأمر دونه ، وقويت المنافسة بينه وبين الدويدار الكبير ، وضعف جانبه حتى قال عن نفسه:

وزير رضي من بأسه وانتقامه يطّي رُفَاع حشوها النظم والشّر
كما تسجع الورقاء وهي حمائم وليس لها نبي يطاع ولا أمر. انتهى.

لكن تعال وانظر الى ما قاله أعداء الشيعة ! قال ابن كثير في النهاية: ٢٣٤ / ١٣: « فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية ، وجيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة ، لا يبلغون عشرة آلاف فارس وهم وبقية الجيش ، كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم ، حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد ، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ، ويحزنون على الإسلام وأهله ! وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي ! انتهى.

ولا تفسير لذلك إلا بمحاولة إخفاء المجرمين الحقيقيين: الخليفة المستنصر وابنه المستعصم ، وقادة الجيش ، وبقية البطانة ، ورمي جريمتهم على شيعة ! وقد اضطر الزركلي وهو متعصب كالذهبي ، للقول إن مؤرخين ثقة حكموا ببراءة ابن العلقمي ، قال في الأعلام: ٣٢١ / ٥: « محمد بن أحمد... مؤيد الدين الأسدي البغدادي المعروف بابن العلقمي ، وزير المستعصم العباسي وصاحب الجريمة النكراء في مملأة هولاء على غزو بغداد في رواية أكثر المؤرخين... وكان حازماً خبيراً بسياسة الملك كاتباً فصيح الإنشاء ، اشتملت خزانته على عشرة آلاف مجلد وصنف له الصغاني العباب ، وابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة . ونفى عنه بعض

ثقات المؤرخين خبر المخامرة على المستعصم ، حين أغار هولاءكو على بغداد سنة ٦٥٦ ، واتفق أكثرهم على أنه ماله . انتهى .

ومن تعصب الزكلي قوله : اتفق أكثرهم ، لأن اتهام ابن العلقمي عليه السلام جاء من ابن تيمية وابن أبي شامة الشاميين ، ولم يسبقهما أحد من المؤرخين الذين عاصروا الحدث !

٦- حاول ابن العلقمي أن يعيد بناء الجيش فاتهموه !

تناقض المتعصبون فاتهموا ابن العلقمي بحل الجيش ، ثم اتهموه بأنه حرك الجنود المطالبين بإعادة تشكيله ! قال الذهبي في تاريخه : ٦٣ / ٤٧ : « وفيها (سنة ٦٤٨) ثارت طائفة من الجند ببغداد ومنعوا يوم الجمعة الخطيب من الخطبة ، واستغاثوا لأجل قطع أرزاقهم... وكل ذلك من عمل الوزير ابن العلقمي الرافضي » ! انتهى .

فقد أراد الذهبي أن يذم فمدح ، واعترف بأن ابن العلقمي ساند حركة الجنود لإعادة تشكيل الجيش للدفاع عن البلاد والخلافة ! وهي شهادة كافية لتبرئته وإدانة الخليفة والدويدار والشرابي وسليمان السلجوقي ، الذين أصدروا مرسوم حل الجيش قبل وزارة ابن العلقمي ، ليأكلوا ميزانيته ونفقاته ، بحجة أنهم يجمعون المال لإهدائه الى المغول لينصرفوا عن غزو بغداد !

فالميزانية كانت بيدهم وقرار حل الجيش بيدهم ، ومع اتهم المفرضون ابن العلقمي بأنه يريد إعادة الجيش ليعطوه ميزانيته !

وقد شهد مؤرخوا عصره بنزاهته وبرأته ، قال في الآداب السلطانية / ٢٣٣ : « وكان

مؤيد الدين الوزير عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية متنزهاً مترفعاً . قيل إن بدر الدين صاحب الموصل أهدى إليه هدية تشتمل على كتب و ثياب ولطائف قيمتها عشرة آلاف دينار ، فلما وصلت إلى الوزير حملها إلى خدمة الخليفة وقال : إن صاحب الموصل قد أهدى لي هذا واستحييت منه أن أردده إليه ، وقد حملته وأنا أسأل قبوله فقبّله . ثم إنه أهدى إلى بدر الدين عوض هديته شيئاً من لطائف بغداد قيمته اثنا عشر ألف دينار ، والتمس منه ألا يهدي إليه شيئاً بعد ذلك ! وكان خواص الخليفة جميعهم يكرهونه ويحسدونه ! وكان الخليفة يعتقد فيه ويحبه ، وكثروا عليه عنده فكفّ يده عن أكثر الأمور . ونسبه الناس إلى أنه خامر (تآمر) وليس ذلك بصحيح !



٧- آخر محاولات ابن العلقمي عندما وصل المغول

عندما اقترب المغول من بغداد ، استشار الخليفة وزيره ابن العلقمي فأشار عليه أن يرسل الى طاغيتهم هولاء هدايا وفيرة ، ويطمئنه بأنه يعترف به سلطاناً كالسلطان البويهبي والسلجوقي ، ليعترف هولاء بالخليفة ولا يهاجم بغداد ! واقتنع الخليفة بهذا الرأي وأمرهم فباشروا بتهيئة الهدايا ، لكن القائد السني المتعصب الدويدار وبقية البطانة استكثروا الهدية ، ومنعوا الخليفة من إرسالها فأطاعهم ، وأحبطوا بذلك محاولة إنقاذ الخلافة !

قال في تاريخ مختصر الدول / ٢٤٠ : « وفيها في شهر شوال رحل هولاء عن حدود همذان نحو مدينة بغداد ، وكان في أيام محاصرته قلاع الملاحدة قد سيرَ رسولاَ إلى الخليفة المستعصم يطلب منه نجدة ، فأراد أن يسيرَ ولم يقدر ، لم يمكنه الوزراء والأمراء وقالوا: إن هولاء رجل صاحب احتيال وخديعة وليس محتاجاً إلى نجدتنا ، وإنما غرضه إخلاء بغداد عن الرجال فيملكها بسهولة ! فتقاعدوا بسبب هذا الخيال عن إرسال الرجال !

ولما فتح هولاء تلك القلاع أرسل رسولاَ آخر إلى الخليفة ، وعاتبه على إهماله تسيير النجدة ، فشاؤروا الوزير فيما يجب أن يفعلوه ، فقال: لا وجه غير إرضاء هذا الملك الجبار ، ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخواصه . وعندما أخذوا في تجهيز مايسيرونه من الجواهر والمرصعات والثياب والذهب والفضة والماليك والجواري والخيل والبغال والجمال ، قال الدويدار الصغير وأصحابه: إن الوزير إنما يدبر شأن نفسه مع التاتار وهو يروم تسليمنا إليهم ، فلا نمكنه من ذلك !

فأبطل الخليفة بهذا السبب تنفيذ الهدايا الكثيرة ، واقتصر على شئ نزر لا قدر له ، فغضب هولاء وقال: لا بد من مجيئه هو بنفسه أو يسير أحد ثلاثة نفر إما الوزير ، وإما الدويدار ، وإما سليمان شاه ! فتقدم الخليفة إليهم بالمضي فلم يركنوا إلى قوله ، فسير غيرهم مثل ابن الجوزي وابن محيي الدين ، فلم يجديا عنه .

وقال الذهبي في تاريخه: ٣٢ / ٤٨: « فأصغى إليهم وبعث هدية قليلة مع عبد الله بن الجوزي ، فتنمر هولاء وبعث يطلب الدويدار وابن الدويدار وسليمان شاه فما راحوا ، وأقبلت المغل كالليل المظلم . وكان الخليفة قد أهدم حال الجند وتعشروا وافتقروا وقطعت أخبارهم ، ونظم الشعر في ذلك ! فلا قوة إلا بالله . » انتهى .

فلماذا يتعامى هؤلاء المتعصبون عن أن القرار والميزانية كانا بيد الخليفة وبطانته ، ويضعون المسؤولية على وزير شيعي مدني ، لا يملك القرار ؟!

ولذا لا يدينون الخليفة المنهار الذي أرسل محتسب بغداد الفقيه السني ابن الجوزي إلى هلاكوا في خراسان ، ثم أرسله إليه ليسلمه الأهواز التي كانت خاضعة له مباشرة !

قال الذهبي في سيره: ٣٧٤ / ٢٣: « وقد أرسله المستعصم إلى خراسان إلى هولاء ، ثم رجع وأخبر بصحة عزمه على قصد العراق في جيش عظيم فلم يستعدوا للقاءه ! ولما خرج المستعصم إليه طلب منه أن ينفذ إلى خوزستان من يسلمها ، فنفذ شرف الدين هذا بخاتم الخليفة ! » انتهى .

٨- بكى الخليفة الخمار وقال: قتلوا راقصتي فكثفوا الستائر!

واشتد الخطر وعسكر جيش هولاءكو قرب بغداد ، وظل المسمى خليفة مستغرقاً في خمره حتى أحاط جيش هولاءكو بقصره ، وأصابته سهامهم راقصته فكان جوابه أن قال: كثفوا الستائر!؟

قال ابن كثير في النهاية: ١٣/ ٢٣٣: «وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب ، حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه وكانت مولدة تسمى عرفة، جاءها سهم من بعض الشباب فكثفها وهي ترقص بين يدي الخليفة ! فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً.. فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الإحتراز وكثرة الستائر(لعلها الجدر)!

فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية ، وجيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة ، لا يبلغون عشرة آلاف فارس ، وهم وبقية الجيش كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد ، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويمزنون على الإسلام وأهله، وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي (!) وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ محلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير ، فاشتد حنقه على ذلك ، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرّخ أبشع منه منذ بنيت بغداد وإلى هذه الأوقات . ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو ! فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه فاجتمع بالسلطان هلاكو خان لعنه الله ، ثم عاد

فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه ، لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبع مائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤس الأمراء والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكوخان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم ، وأحضر الخليفة بين يدي هلاكو فسأله عن أشياء كثيرة ، فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت ، ثم عاد إلى بغداد ، وفي صحبته خواجه نصير الدين الطوسي والوزير ابن العلقمي وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة ، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة ، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة ، وقال الوزير: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك . وحسّنوا له قتل الخليفة ، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله . انتهى.

أقول: يعترفون بفساد خليفتهم وبطانته وجبنهم ، ثم يريدون تغطية عوراته باتهام الوزير الشيعي بأنه بادر إلى لقاء هولاكو بعد انتصاره ، وكان هولاكو أحضره قبل إحضار الخليفة !

٩- كان سلاطين الخلافة كلهم سكارى مثل الخليفة !

كان سلطان سلاطين الخلافة محمد خوارزم أسوأ من إمامه الخليفة ! فهو مع فساد الأخلاقي سخيْفٌ الى حد الجنون ، ومُقَرَّرٌ الى حد القَرَف !

قال ابن الأثير في الكامل: ٤٩٥/١٢: «وكان جلال الدين سعى السيرة قبيح التدبير للملكه ، لم يترك أحداً من الملوك المجاورين له إلا عاداه ونازعه الملك وأساء مجاورته ، فمن ذلك أنه أول ما ظهر في أصفهان وجمع العساكر قصد خوزستان ، فحصر مدينة شستر وهي للخليفة فحصرها ، وسار إلى دقوقا فنهبها وقتل فيها فأكثر ، وهي للخليفة أيضاً ، ثم ملك آذربيجان وهي لأوزبك فملكها ، وقصد الكرج وهزمهم وعاداهم ، ثم عادى الملك الأشرف صاحب خلاط ، ثم عادى علاء الدين صاحب بلاد الروم ، وعادى الإسماعيلية ونهب بلادهم وقتل فيهم فأكثر وقرر عليهم وظيفة من المال كل سنة ، وكذلك غيرهم .

فكل الملوك تحلى عنه ولم يأخذ بيده...وانضاف إلى ذلك أن عسكره اختلفوا عليه ، وخرج وزيره عن طاعته في طائفة كثيرة من العسكر ، وكان السبب أن ظهر من قلة عقل جلال الدين ما لم يسمع بمثله ! وذلك أنه كان له خادم خصي وكان جلال الدين يهواه واسمه قليج ، فاتفق أن الخادم مات فأظهر من الهلع والجزع عليه ما لم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلي ! وأمر الجند والأمراء أن يمشوا في جنازته رَجَّالَةً ، وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدة فراسخ ، فمشى الناس رَجَّالَةً ومشى بعض الطريق راجلاً ، فألزمه أمراؤه ووزيره بالركوب ، فلما وصل إلى تبريز أرسل إلى أهل البلد فأمرهم بالخروج عن البلد لتلقي تابوت

الخادم ، ففعلوا ، فأنكر عليهم حيث لم يبعدوا ، ولم يظهروا من الحزن والبكاء أكثر مما فعلوا ، وأراد معاقبتهم على ذلك ! فشفع فيهم أمراؤه فتركهم ! ثم لم يدفن ذلك الخصي وإنما كان يستصحبه معه أينما سار وهو يلطم ويبكي ! فامتنع من الأكل والشراب ! وكان إذا قدم له قدم له طعام يقول إحملوا من هذا إلى قلج ، ولا يتجاسر أحد يقول إنه مات ، فإنه قيل له مرة إنه مات فقتل القائل له ذلك ! إنما كانوا يحملون اليه الطعام ويعودون يقولون إنه يقبل الأرض ويقول إنني أصلح مما كنت !

فلحق أمراءه من الغيظ والأنفة من هذه الحالة ، ما حملهم على مفارقة طاعته والإنحياز عنه مع وزيره ، فبقي حيران لا يدري ما يصنع ، لاسيما لما خرج التتر فحينئذ دفن الغلام الخصي ، وراسل الوزير واستماله وخدمه إلى أن حضر عنده ، فلما وصل اليه بقي أياماً وقتله جلال الدين ! وهذه نادرة غريبة لم يسمع بمثلها ! ثم تحدث ابن الأثير المعاصر لتلك الأحداث ، عن الوضع المزري لسلطين الخلافة العباسية ومدى فسادهم وجبنهم ، ومما قاله :

« وصلوا إلى تبريز وبها صاحب آذربيجان أوزبك بن البهلوان ، فلم يخرج إليهم ولا حدث نفسه بقتالهم لأنشغاله بما هو بصده من إدمان الشرب ليلاً ونهاراً لا يُفיק ! وإنما أرسل إليهم وصالحهم على مال وثياب ودواب وحمل الجميع إليهم ، فساروا من عنده يريدون ساحل البحر ، لأنه يكون قليل البرد ليشتوا عليه والمراعي به كثيرة » ! (الكامل: ١٢/ ٣٧٤).

وقال في الكامل: ١٢/ ٥٠٢: « في أول هذه السنة أطاع أهل بلاد آذربيجان جميعها

للتتر... وملوك الإسلام منجحرون في الأثقاب ! فإنا لله وإنا اليه راجعون !

أقول: يظهر للباحث أنه بعد الغزو المغول لخراسان سنة ٦١٧ ، انتشرت قصص وحشيتهم وتدميرهم وقتلهم العام للناس فانتشر الرعب ، وكان الشعور بالعجز عن مقاومتهم مسيطرأ على الخليفة وقائد جيشه الشراي وبقية البطانة ، فسرى منهم الى ابنه المستعصم وقائد جيشه الدويدار ، ثم سرى منهم الى الناس ! وقد رأيت وصف المؤرخين لرعب الناس من فرقة جيش المغول التي اتجهت الى بغداد من جهة تكريت ، وأن الناس هربوا كالمجانين ! (الأداب السلطانية / ٢٣١).

بل انتشر الرعب قبل عشرين سنة من سقوط لبغداد ، فترك الناس الحج خوفاً من المغول ! والسبب في ذلك أن الترف الذي انغمس فيه الخليفة وبطانته وجهازه الإداري ، سرى الى الناس ، والناس على دين ملوكهم !

ولاشك في أن الظلم الذي تركز على الشيعة خاصة ، جعلهم ينقمون على السلطة ، ولكنهم لم يطلبوا من المغول احتلال بغداد كما زعم خصومهم !

١٠- واخترعوا للخليفة السكران كرامات ومعجزات !

قال السبكي في طبقات الشافعية: ٢٧٠ / ٨: «وأما الخليفة فقيل إنه طلبه ليلاً وسأله عن أشياء ثم أمر به ليقتل ، فقيل له لولاكو: إن هذا إن أهرى دمته تظلم الدنيا ويكون سبب خراب ديارك ، فإنه ابن عم رسول الله وخليفة الله في أرضه ! فقام الشيطان المبين الحكيم نصير الدين الطوسي وقال: يُقتل ولا يرائي دمته ! وكان النصير من أشد الناس على المسلمين ، فقيل إن الخليفة غمَّ في بساط وقيل

رفسوه حتى مات ، ولما جاءوا ليقتلوه صاح صيحة عظيمة . انتهى .

وهذا من افتراءهم على المرجع نصير الدين الطوسي رحمته الله الذي كان أسيراً بيد هولاكو ، وقد استبقاه لأنه طيب ! وقد قلد السبكي في ذلك ابن تيمية !

ثم أضاف السبكي مقلداً غلوهم في الخليفة ، فقال : « ولقد حكى أن الخليفة كان قاعداً يقرأ القرآن وقت الإحاطة بسور بغداد ، فرمى شخص من التار بسهم ، فدخل من شرفات المكان الذي كان فيه وكانت واحدة من بناته ! بين يديه فأصابها السهم فوقعت ميتة !

ولله ما فعلت زوجة أمير المؤمنين ! قيل : إن هولاكو دعاها ليوافقها فشرعت تقدم له تحف الجواهر وأصناف النفائس تشغله عما يرومه » !

ثم روى السبكي المسكين أن زوجة الخليفة قتلت نفسها بسيف الخليفة الذي فيه أسرار غيبية ! وقد يكون سبب تلفيقهم لهذه الكرامات ، أن بعض زوجات الخليفة وجواريه كان سلوكهن بالعكس تماماً ، فأرادوا التغطية عليهن !

١١- صنعوا من الدويدار الجبان بطلاً ، لأنه عدو للشيعة !

فقد ترجم له الذهبي بإعجاب فقال في سيره : ٣٧١ / ٢٣ : « الدويدار الملك مقدم جيش العراق ، مجاهد الدين أيك الدويدار الصغير ، أحد الأبطال المذكورين والشجعان الموصوفين ! الذي كان يقول : لو مكنتني أمير المؤمنين المستعصم لقهرت التار ، ولشغلت هولاكو بنفسه ! وكان مغرئاً بالكيماء ، له بيت كبير في داره فيها عدة من الصناعات والفضلاء لعمل الكيماء » !

أقول: كانت قيادة جيش الخلافة بيد هذا القائد الغلام المشغول بلهوه وخمره ، ومحاولة تحويل الحديد الى ذهب ! وقد رويت عنه خيالات في ذلك ، مع أنه كان ثرياً وكان دخله الشخصي وحده كافياً لميزانية جيش ! «وكان دخله في العام من ملكه وإقطاعه خمس مائة ألف دينار». (تاريخ الذهبي: ٤٧/٤٤٣).

ثم إنه كاذبٌ في عنصرياته بأن الخليفة لو مكنه لهزم هلاكو ، فقد كان الخليفة بيده ولم يمنعه من الدفاع ، لكنه هرب في زورق ، فقبضوا عليه كالدجاجة !

قال السيد الأمين في أعيان الشيعة: ٩٣/٩: «ولما حمي وطيس الحرب في بغداد وضاق الحال على الأهالي أراد الدواتدار أن يركب سفينة وأن يهرب إلى ناحية المسيب ، ولكنه بعد أن اجتاز قرية العقاب أطلق جند بوقا تيمور حجارة المنجنيق والسهام وقوارير النفط ، واستولوا على ثلاث سفن وأهلكوا من فيها ، وعاد الدواتدار منهزماً ! فلما وقف الخليفة على تلك الحال يش نهائياً من الإحتفاظ ببغداد ، ولم يرَ أمامه مفرّاً ولا مهرباً قط ، فقال: سأستسلم وأطيع !

ثم أرسل فخر الدين الدامغاني وابن الدرنوش مع قليل من التحف إلى هولاكو ، زاعماً أنه لو بعث بالكثير لكان ذلك دليلاً على خوفه ، فيتجرأ العود ! فلم يلتفت هولاكو إلى هذه الهدايا ، وعادا محرومين !

١٢- من رواياتهم المعقولة في استسلام بغداد

من الروايات المعقولة لمؤرخين معاصرين للحدث ، رواية ابن العبري في كتابه: تاريخ مختصر الدول/ ٢٤٢ قال: «وأمر هولاكو أن يخرج إليه الدويدار وسليمان

شاه ، وأما الخليفة إن اختار الخروج فليخرج وإلا فليلزم مكانه ! فخرج الدويدار وسليمان شاه ومعهما جماعة من الأكابر، ثم عاد الدويدار من الطريق بحجة أنه يرجع ويمنع المقاتلين الكامنين بالدروب والأزقة ، لثلاثا يقتلوا أحداً من المغول ! فرجع وخرج من الغد وقتل ، وعامة أهل بغداد أرسلوا شرف الدين المراغي ، وشهاب الدين الزنكاني ، ليأخذوا لهم الأمان .

ولما رأى الخليفة أن لا بد من الخروج أراد أو لم يرد ، استأذن هولاء بأن يحضر بين يديه فأذن له ! وخرج رابع صفر ومعه أولاده وأهله ، فتقدم هولاء أن ينزلوه بباب كلواز وشرع العساكر في نهب بغداد ، ودخل بنفسه إلى بغداد ليشاهد دار الخليفة ، وتقدم بإحضار الخليفة فأحضره ، ومثّل بين يديه ، وقدم جواهر نفيسة ولآلئ ودرراً معبأة في أطباق ، ففرق هولاء جميعها على الأمراء ، وعند المساء خرج إلى منزله وأمر الخليفة أن يفرز جميع النساء اللاتي باشرهن هو وبنوه ويعزلهن عن غيرهن ، ففعل فكنّ سبع مائة امرأة ! فأخرجهن ومعهن ثلاثمائة خادم خصي ! وبقي النهب يعمل إلى سبعة أيام ، ثم رفعوا السيف وأبطلوا السبي". انتهى.

ومثلها في الوثائق رواية الآداب السلطانية لابن الطقطقي / ٢٣١ ، قال: «وفي آخر أيامه قويت الأراجيف بوصول عسكر المغول صحبة السلطان هولاء ، فلم يحرك ذلك منه عزماً ، ولا نبّه منه همّة ، ولا أحدث عنده همّاً ! وكان كلما سمع عن السلطان (هولاء) من الإحتياط والإستعداد شئ ، ظهر من الخليفة نقيضه من التفريط والإهمال ، ولم يكن يتصور حقيقة الحال في ذلك ، ولا يعرف هذه

الدولة يسر الله إحسانها وأعلى شأنها ، حق المعرفة .

وكان وزيره مؤيد الدين بن العلقمي يعرف حقيقة الحال في ذلك ويكاتبه بالتحذير والتنبيه ويشير عليه بالتيقظ والإحتياط والإستعداد ، وهو لايزداد إلا غفولاً ، وكان خواصه يوهومونه أنه ليس في هذا كبير خطر ولا هناك محذور ، وأن الوزير إنما يعظم هذا لينفق سوقه ، ولتبرز إليه الأموال ليجند بها العساكر فيقتطع منها لنفسه ! وما زالت غفلة الخليفة تنمو ويقظة الجانب الآخر تتضاعف حتى وصل العسكر السلطاني إلى همدان ، وأقام بها مدة مديدة. ثم تواترت الرسل السلطانية إلى الديوان المستعصمي فوقع التعيين من ديوان الخليفة على ولد أستاذ الدار وهو شرف الدين عبد الله بن الجوزي ، فبعثه رسولاً إلى خدمة الدركاه السلطانية بهمدان ، فلما وصل وسمع جوابه علم (هولاكو) أنه جواب مغالطة ومدافعة ، فحينئذ وقع الشروع في قصد بغداد وبث العساكر إليها ، فتوجه عسكر كثيف من المغول والمقدم عليهم باجو إلى تكريت ، ليعبروا من هناك إلى الجانب الغربي ، ويقصدوا بغداد من غربيها ، ويقصدها العسكر السلطاني من شرقيها ، فلما عبر عسكر باجو من تكريت وانحدر إلى أعمال بغداد أجفل الناس من دجيل والإسحافي ونهر ملك ونهر عيسى ، ودخلوا إلى المدينة بنسائهم وأولادهم ، حتى كان الرجل أو المرأة يقذف بنفسه في الماء ، وكان الملاح إذا عبّر أحداً في سفينة من جانب إلى جانب ، يأخذ أجرته سواراً من ذهب أو طرازاً من زركش ، أو عدة من الدنانير !

فلما وصل العسكر السلطاني (هولاكو) إلى دجيل وهو يزيد على ثلاثين ألف

فارس ، خرج إليه عسكر الخليفة صحبة مقدم الجيوش مجاهد الدين أبيك الدويدار، وكان عسكراً في غاية القلة فالتقوا بالجانب الغربي من بغداد قريباً من البلد، فكانت الغلبة في أول الأمر لعسكر الخليفة ، ثم كانت الكرّة للعسكر السلطاني فأبادوهم قتلاً وأسراً ، وأعانهم على ذلك نهر فتحوه في طول الليل فكثرت الوحول في طريق المنهزمين ، فلم ينج منهم إلا من رمى نفسه في الماء ، أو من دخل البرية ومضى على وجهه إلى الشام ! ونجا الدويدار في جمعية من عسكره ووصل إلى بغداد !

وساق باجو حتى دخل البلد من جانبه الغربي ووقف بعساكره محاذي التاج، وجاست عساكره خلال الديار ، وأقام محاذي التاج أياماً .

وفي يوم الخميس رابع محرم من سنة ست وخمسين وست مائة ، ثارت غبرة عظيمة شرقي بغداد على درب بعقوبا بحيث عمت البلد ، فانزعج الناس من ذلك وصعدوا إلى أعالي السطوح والمنابر يتشوفون ، فانكشفت الغبرة عن عساكر السلطان (هولاكو) وخيوله ولفيفه وكراعه ، وقد طبق وجه الأرض وأحاط ببغداد من جميع جهاتها ، ثم شرعوا في استعمال أسباب الحصار ، وشرع العسكر الخلفي في المدافعة والمقاومة (لايصح) إلى اليوم التاسع عشر من محرم . فلم يشعر الناس إلا ورايات المغول ظاهرة على سور بغداد من برج يسمى برج العجمي من ناحية باب من أبواب بغداد يقال له باب كلواذى ، وكان هذا البرج أقصر أبراج السور ، وتقحّم العسكر السلطاني هجوماً ودخولاً (بلا مقاومة) فجرى من القتل الذريع والنهب العظيم والتمثيل البليغ ، ما يعظم سماعه جملة ،

فما الظن بتفاصيله: وكان ما كان مما لستُ أذكره فظنُّ ظناً ولا تسأل عن الخير !

وأمر السلطان بخروج الخليفة وولده ونسائه إليه ، فخرجوا فحضر الخليفة بين يدي الدركاه ، فيقال إنه عوتب ووُيِّحَ بما معناه نسبة العجز والتفريط والغفول إليه ! ثم أُوصل إلى اليأس هو وولده الأكبر والأوسط ، وأما بناته فأُسرْنَ ، ثم استشهد المستعصم في رابع صفر سنة ست وخمسين وست مائة .»

وقال العصامي في سمط النجوم/ ١٢١٢: «وفي رواية: أن خروج الخليفة المستعصم إليه كان قبل وقوع شيء من القتال». انتهى. وهو المنسجم مع انهيار الناس عامة ، وانهيار الخليفة وبطانته المترفة ، بشكل خاص !

وروى المؤرخون أن بعض التجار والشخصيات أعطوا مبالغ للمغول لحماية بيوتهم من النهب والتخريب ، وبعض البيوت صدر الأمر بعدم التعرض لها ، ومنها بيت صاحب الديوان وبيت الحاجب ، وبيت ابن العلقمي وغيره.

قال الذهبي في تاريخه: ٣٩/٤٨: «وكان ببغداد عدة من التجار سلّموا ، لفرمانات والتجأ إليهم خلق ، وسلم من بدار ابن العلقمي ، ودار ابن الدامغاني صاحب الديوان ، ودار ابن الدوامي الحاجب ، وما عدا ذلك ما سلم إلا من اختفى في بئر أو قنّاة ، وأحرق معظم البلد ، وكانت القتل في الطرق كالتلو ! ومن سلم وظهر خرجوا كالموتى من القبور خوفاً وجوعاً وبرداً .

وسلم أهل الحلة والكوفة ، أمّنهم القان وبعث إليهم شحاني . وسلمت البصرة وبعض واسط . ووقع البلاء فيمن تخلف .»

وقال في أعيان الشيعة: ٨٦/٩: «وما نقلنا من الإخبار يظهر للقارئ أن الوزير مؤيد الدين بن العلقمي لم يكن السالم من القتل وحده حتى يتهم بالخيانة ذلك الإتهام الباطل، وإنما سلم معه ونال مرتبة في الدولة المغولية فخر الدين أحمد بن الدامغاني الحنفي، الذي كان صاحب الديوان في آخر أيام المستعصم، وتاج الدين علي بن الدوامي، الذي كان حاجب باب النوبي للمستعصم بالله، ونجم الدين أحمد بن عمران الباجسري، أحد عمال الخليفة والغالب على أهل باجسرى الحنبلية، وأقضى القضاة عبد المنعم البندنجي الشافعي، وسراج الدين بن البجلي الشافعي، وفخر الدين المبارك بن المخرمي الحنبلي، وعز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، والشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش الحنبلي المقرئ المشهور».

أقول: لكن وساطة نصير الدين وابن العلقمي لم تستطع منع المغول من نهب الكرخ وغيرها، فلم يفرق هولاء في استباحته لبغداد بين السنة والشيعة، بينما استثنى النصارى! (أعيان الشيعة: ١٠١/٩). وقد نهب المغول مشهد الإمامين الكاظمين عليهما السلام وخرّبوه كجامع الخليفة! (أعيان الشيعة: ٩٦/٩).

وشهد صاحب النجوم الزاهرة رغم تعصبه (٥٠/٧) أن التدمير شمل الرافضة كالسنة، وأن: «التار يذلون السيف مطلقاً في أهل السنة والرافضة معاً، وراح مع الطائفتين أيضاً أمم لا يحصون كثرة»!

١٣- اخفوا ادوار بطانة الخليفة شركاء قائد الجيش!

تعامى أعداء الشيعة كابن تيمية والذهبي عما ارتكبه الخليفة المستعصم (بلهوه) وقائد جيشه الدويدار وبقية الحاشية وسلاطين البلاد ، لأن هؤلاء أعداء للشيعة مثلهم ، وأعداء للوزير ابن العلقمي رحمته الله ! ومنهم أحمد بن الخليفة ، الذي كان بطل مجزرة الكرخ مع الدويدار ، فقد هاجم أحياء الشيعة في بغداد: «فنهبوا الكرخ وهدموا النساء وركبوا منهن الفواحش !» (أبو الفداء/ ٨٣٣، وعقد الجمان للعيني/ ٧٩). وهما اللذان قاما بانقلاب وأرادا قتل الخليفة ليأخذ الخلافة أحمد: «فهاشت العامة وعظم الأمر ، وقتل جماعة كثيرة وجرح خلق!» (تاريخ الذمبي: ٤٨/ ٢٤). ومنهم أحمد بن الدامغاني صاحب الديوان، الذي صار صاحب ديوان هولاء!

(تاريخ الإسلام: ٤٨/ ٢٦٠).

وابن بهرام: «الحاجب الأوحده شمس الدين الخالدي البغدادي وأباه، مشرف عرض الجيوش». (تاريخ الإسلام: ٥٢/ ٢٢٣).

وصدر الدين بن النيار ، شيخ شيوخ بغداد ، وأخوه عز الدين ، وكيل أولاد المستعصم ! (الوافي: ١٣/ ٢٩).

«ومحي الدين بن الجوزي الصاحب العلامة ، سفير الخلافة ، التيمي البكري البغدادي الحنبلي أستاذ دار المستعصم». «وقد أرسله المستعصم إلى خراسان إلى هولاء». (سير الذمبي: ٢٣/ ٣٧٤ وفي أعيان الشيعة: ٨٧/ ٩، حقائق مفحمة!).

منصفون سنة دافعوا عن الشيعة

١- وهابي منصف دافع عن ابن العلقمي والشيعة

ما زال الوهابيون تبعاً لإمامهم ابن تيمية ، يتهمون الشيعة بأنهم السبب في غزو المغول لبلاد المسلمين وإسقاط الخلافة الشرعية ! ويزعمون أن الوزير محمد بن العلقمي الأسدي رحمته الله كان شيعياً وأراد الإنتقام من قائد الجيش الدويدار وابن الخليفة لهجومهما على محلة الكرخ الشيعية في بغداد قبل سنتين من غزو المغول ، فكاتب هولاءكو وشجعه على غزو بغداد !

ويجيب الشيعة بأن هذا الكلام من افتراءات ابن تيمية ، فإن ابن العلقمي عالمٌ منزّه عن ذلك ، بل عمل للدفاع عن بغداد وبلاد المسلمين فلم يسمعوا كلامه ، ثم عمل لتجنب دخول المغول اليها وتدميرها ، فلم يسمعوا كلامه !

كما يجيب الشيعة بجواب أشد على الوهابيين يقول: لو سلمنا معكم بأن الشيعة كانوا السبب في سقوط الخلافة العباسية ، فقد قامت بعدها خلافة أقوى منها وأوسع هي الخلافة العثمانية ، فجاء الوهابية وتآمروا عليها مع الإنكليز وحاربوها معهم جنباً الى جنب سنين طويلة ، حتى أسقطوها !

بينما قاتل فقهاء الشيعة وعشائريهم في العراق الجيش الإنكليزي جنبا إلى جنب مع جيش الخلافة ، واختلط دم شهدائهم بدم الأتراك ، وسجن مجاهدوهم مع ضباط الجيش العثماني ، وأعدموا جميعاً بيد الإنكليز !

لكن الوهابيين يخفون هذه الحقائق ويرفعون صراخهم باتهام الشيعة وابن العلقمي ونصير الدين الطوسي بالخيانة ، وكأنهم مدفوعون لاشعورياً إلى هذه التهمة ليغطوا على مؤامرتهم مع الإنكليز لإسقاط الخلافة العثمانية .

لكن ظهر في السنوات الأخيرة كتّاب منصفون رغم القمع الوهابي جهروا ببراءة ابن العلقمي والطوسي والشيعة . ومنهم الباحث أ.د. سعد بن حذيفة الغامدي ، أستاذ التاريخ الإسلامي ، في كلية الآداب قسم التاريخ في جامعة الملك سعود ، فقد ألف كتاب: سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والإتهام ! وهذه رابط موقعه : <http://www.muslimshistory.net/index.htm>

والكتاب في جزئين ، وقد غضب الوهابية على مؤلفه ، فقد كتب سليمان بن صالح الخراشي ، موضوعاً بعنوان: دكتور في جامعة الملك سعود يردد أكذوبة شيعية ! جاء فيه : <http://mm/Alkharashy/Warathah/http:saaid.net/h:> ١١

«سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والإتهام . كتابٌ للأستاذ الدكتور سعد بن حذيفة الغامدي ، أحد منسوبي جامعة الملك سعود قسم التاريخ ، صدر قريباً وكتب على طرته (دراسة جديدة لفترة حاسمة من تاريخ أمتنا) وهذا ما أغراني لاقنائه منتظراً ما سيوجود به قلم الدكتور من جديد في هذه القضية ، إلا أنني تفاجأت عندما رأيته يردد ماردده الشيعة الرافضة من تكذيب

لأي خيانة لأسلافهم ، وهو ما تتابع عليه ثقات المؤرخين ، فهذا الجديد عنده ! يقول الدكتور محاولاً دفع تهمة الخيانة عن الرافضة: ومع هذا فإن سؤالاً يتبادر إلى الذهن وهذا السؤال هو: هل كان هولاء محتاجاً إلى مساعدة المسلمين الشيعة ضد المسلمين السنة ، حتى نقبل أنهم كانوا أحد العوامل التي أدت إلى سقوط بغداد؟ في الحقيقة لم يكن هولاء محتاجاً إلى مساعدة من أي فرد شيعياً كان أم سنياً ، لذلك فإننا نجد كما يظهر لنا أنه من غير المحتمل إن لم يكن من المستحيل أن يكون لهذه الطائفة من المسلمين أي دور فعال ، سواء من داخل أو من خارج بغداد ، في هجوم المغول ضد العاصمة العباسية بغداد وخلافتها السنية !

يقول الدكتور/ ٣٣٣: إن للمرء أن يقول بأن هذه الاتهامات لا أساس لها من الصحة ، إذ لم تدعم أو تثبت بأي دليل قاطع ، يقوم أساساً على تقرير شاهد عيان معاصر ، كما أنها لم تظهر هذه الاتهامات أو الشائعات بمعنى أدق ، إلا بعد سنوات طوال من بعد سقوط العاصمة بغداد ، وانقراض أسرتها الحاكمة العباسية ! .. الخ.

ولم يستطع الكاتب الخُرَّاش أن يجيب على كلام الدكتور الغامدي العلمي الذي أبطل كلام ابن أبي شامة وابن تيمية ، فلجأ الى كلام ناصر الففاري ، والقفاري ليس عنده إلا نقل لكلام ابن تيمية في اتهام ابن العلقمي وسبه !

ونشير هنا الى دفاعات السيد الأمين القوية عن الشيعة وابن العلقمي رحمهما الله في كتابه أعيان الشيعة: ٩/ ١٠٠ ، ومنها أنه توجد عدة مصادر أصلية معاصرة لابن

العلقمي وللحدث ، كذّبت هذه التهمة ، كتاريخ ابن الطقطقي ، وتاريخ رشيد الدين ، وعبد الرحمن سنبط بن قنيتو الإربلي ، في كتابه الذهب المسبوك وهو عراقي معاصر للحدث ، وكذلك أبو الفرج بن العبري في كتابه تاريخ مختصر الدول ، وابن الفوطي البغدادى الحنبلي ، وكلهم معاصرون للحدث واصحاب اطلاع واسع ! فهذا يدل على أن التهمة من تدبير المتعصين ضد ابن العلقمي والشيعة ! خاصة أن الدويدار دبر مع ابن الخليفة محاولة انقلاب على الخليفة فكشفها ابن العلقمي وأحبطها ، ومن الطبيعي أن يحقدا عليه !

٢- لماذا لم يتهموا شخصيات سنية كانت مع المغول؟!

كان التتار مجاورين للمسلمين في شرق خراسان ، وكانت لهم علاقات تجارية واسعة معهم ، وللملوكهم علاقات مع شخصيات سنية عديدة . وكان عدد منهم مع جنكيز في حملته الأولى سنة ٦١٧ ، وأرسل بعضهم مبعوثين الى سلطان خراسان ! ثم كان مع هولاء عدد منهم قبل أن يقع في قبضته نصير الدين الطوسي رحمه الله ، فلماذا يتهمون نصير الدين وينسون هؤلاء؟!

قال الذهبي في تاريخه: ٢٢ / ٤٤: « وفيها (سنة ٥١٦) عاد السلطان خوارزم شاه محمد إلى نيسابور وأقام بها مدة ، وقد بلغه أن التتار خذلهم الله تعالى قاصدون مملكة ما وراء النهر ، وجاءه من جنكس خان رسل: وهم محمود الخوارزمي وخوارجا علي البخاري ، ومعهم من طُرِفَ هدايا الترك من المسك وغيره . »

وفي النهاية: ٢٣٦ / ١٣: « وكان رحيل السلطان المسلط هولاءكو خان عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه ، وفوض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر ، فوض إليه الشحنة بها . »

« وفي نفس اليوم الذي قتلوا فيه الخليفة أرسلوا إليها مؤيد الدين ابن العلقمي ليقوم بالوزارة ، وفخر الدين الدامغاني ليكون صاحب الديوان ، وجعلوا علي بهادر شحنة لها ، وعينوا المحتسبين لمراقبة المقاييس والأوزان ، ونصبوا عماد الدين عمر القزويني نائباً للأمير قراتاي ، وهو الذي عمّر مسجد الخليفة ومشهد موسى والجواد . ونصب نجم الدين أبو جعفر أحمد بن عمران الملقب

براست دل المخلص ، والياً على أعمال شرقي بغداد مثل طريق خراسان والخالص والبنديجين . وأمر هولاء أن يكون نظام الدين عبد المنعم البنديجي قاضياً للقضاة » . (أعيان الشيعة: ٩٠/٩ ، عن جامع التواريخ: ١/٢٦٢).

« ومن عملوا مع جنكيز خان: فخر الدين محمود بن محمد الخوارزمي ، الذي يقول عنه ابن الفوطي: كان من أعيان وزراء جنكيز خان وعليه مدار الملك في المشرق ، وإليه تدبير ممالك تركستان وبلاد الخطا وما وراء النهر وخوارزم . وكان مع ذلك الذكاء كاتباً سديداً يكتب بالمغولية والخوارزمية والتركية والفارسية الخطائية (الصينية) والهندية والعربية ، وكان غاية في الفهم والذكاء والمعرفة ، ويتدبره الشديد انتظم للمغول ملكهم » . (الإسماعيليون والمغول/ ٧٥).

كما أخفوا ذكر الملوك الأيوبيين الذين قاتلوا المسلمين مع المغول ، كالمملك السعيد بن الملك العزيز بن الملك العادل أخي صلاح الدين الأيوبي ، الذي سلم هولاء الصببية (قلعة قرب باناس) وانضم إليه في زحفه » . (الإسماعيليون والمغول/ ١٢١).

وقال أبو الفداء في تاريخه: ٣/٢٠٤: « وكان معهم أيضاً في هذه المعركة الملك الأشرف موسى صاحب حمص ، الذي استطاع الفرار عند حصول الهزيمة فلم يؤسر ، وهو من أحفاد شيركوه عم صلاح الدين الأيوبي . ومن حرصوا المغول على غزو الشام ومصر الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل بن الكامل بن العادل شقيق صلاح الدين الأيوبي » .

كما أخفوا السنين الذين ذهبوا إلى المغول وطلبوا منهم أن يحتلوا بلادهم؟! قال ابن خلدون: ٥/٥٢٩: « واستقل منكوفان بالتخت ، وولّى أولاد جفطاي عمه

على ما وراء النهر إمضاء لوصية جنكزخان لأبيهم التي مات دونها ووفد عليه جماعة من أهل قزوین وبلاد الجبل يشكون ما نزل بهم من ضرر الإسماعيلية وفسادهم فجهز أخاه هلاكو لقتالهم واستئصال قلاعهم فمضى لذلك ، وحسن لأخيه منكوفان الإستيلاء على أعمال الخليفة فأذن له فيه . انتهى .

ويطول الكلام لو أردنا سرد أسماء السنين الذين تعاونوا مع المغول ، خوفاً ، أو طمعاً ، أو خيانة . وبعضهم استعانوا بهم على خصومهم من مذهب سني آخر ! قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : ٢٣٧ / ٨ ، عن أصفهان التي كانت سنية متعصبة ! « اختلف أهل أصفهان في سنة ٦٣٣ ، وهم طائفتان حنفية وشافعية وبينهم حروب متصلة وعصبية ظاهرة ! فخرج قوم من أصحاب الشافعي إلى من يجاورهم ويتأخهم من ممالك التتار فقالوا لهم : أقصدوا البلد حتى نسلمه إليكم ! فنقل ذلك إلى قاآن بن جنكيز خان بعد وفاة أبيه والملك يومئذ منوط بتدبيره ، فأرسل جيوشاً من المدينة المستجدة التي بنوها وسموها قرا حرم ، فعبرت جيحون مغربة وانضم إليها قوم ممن أرسله جرماغون على هيئة المدد لهم ، فنزلوا أصفهان في سنة ٦٣٣ المذكورة وحصروها ، فاختلف سيفا الشافعية والحنفية في المدينة حتى قتل كثير منهم ، وفتحت أبواب المدينة ، فتحها الشافعية على عهد بينهم وبين التتار أن يقتلوا الحنفية ويعفوا عن الشافعية !

فلما دخلوا البلد بدؤوا بالشافعية فقتلواهم قتلاً ذريعاً ، ولم يفوا مع العهد الذي عهدوه لهم ، ثم قتلوا الحنفية ، ثم قتلوا سائر الناس » !

أقول : كان هذا العمل من المتعصين الشوافع سنة ٦٣٣ ، أي قبل حملة هولاكو

على بغداد بأكثر من عشرين سنة ! فأين كان ابن العلقمي والطوسي ؟!

كما أخفى المتعصبون فقيهاً خطيراً جزراً كان يجرُّ العلماء الى هولاكو ليقتلهم !

قال السيد الأمين في كتابه الإسماعيليون والمغول / ١٢٣ : «ومن يتجاهل ابن تيمية جرائمهم ويتهم الأبرياء.. كبار علماء هولاكو الذين وضعوا أنفسهم في تصرفه فعاونوه على سفك دماء المسلمين ، منهم أبو بكر فخر الدين عبد الله بن عبد الجليل القاضي المحدث ، الذي ذكر صاحب كتاب الحوادث الجامعة إنه كان يتولى إخراج الفقهاء البغداديين ليقتلوا في غييم هولاكو ! وصاحب الحوادث الجامعة مؤرخ معاصر شهد الأحداث بنفسه ، وأن الذي كان يَدَّهم بيوت فقهاء بغداد ويخرجهم منها ليسوقهم إلى هولاكو ليقتلهم ، هو القاضي المحدث الملقب بفخر الدين !

إن حامل هاتين الصفتين كان جلاد هولاكو الساعي بدماء الفقهاء العلماء إلى السفاك السفاح !

إنه يعرفهم واحداً واحداً ، لأنه منهم ، ويعرف مراتبهم ودرجاتهم ، ويعرف بيوتهم ومجالسهم ، فكان يسهل عليه انتقاؤهم وسحبهم لتهرق دماؤهم !

وابن تيمية يغمض عينيه عنه وعن أمثاله !!

سياسة علماء السنة والشيعة مع المغول

١- الحاكم الكافر العادل خير من المسلم الجائر

«لما فتح السلطان هولاكو بغداد في سنة ست وخمسين وست مائة ، أمر أن يستفتى العلماء أيهما أفضل: السلطان الكافر العادل ، أم السلطان المسلم الجائر؟ ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك ، فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب ، وكان رضي الدين علي بن طاووس حاضراً هذا المجلس ، وكان مقدماً محترماً ، فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر ، فوضع الناس خطوطهم بعده » . (الأدب السلطانية لابن الطقطقي / ٢) .

أقول: هذه الفتوى قد تصدم شعور المسلم المثالي ، الذي يعيش أجواء النظرية دون التطبيق ، وينظر الى الشكل والإسم ، أكثر من المضمون والجوهر !

فهو لا يعرف أن السلطة عندما تستعمل الدين لمصادرة الحد الأدنى من حق الإنسان في العيش وحرية الاعتقاد والتعبير ، فلا يمكن لإنسان أن يعترف بشرعيتها ، أو يسكت على اضطهادها .

فالمشكلة مع سلطة من هذا النوع متقدمة رتبةً على الدين ، لأن الدين موضوعه الإنسان ، فإذا سحق الإنسان فقد سحق موضوع الدين !

إننا بحاجة الى شجاعة لنعترف بأن تاريخنا مليءٌ بالإجبار والإكراه والإضطهاد ، وأن احترام الإنسان كما يوجب الدين ، لا يوجد في تاريخنا إلا عند النبي وآله عليهم السلام ، ولهذا بدأت معركة المسلمين مع حكوماتهم في أصل حرية الإنسان واحترامه ! بمجرد أن أغمض النبي صلى الله عليه وآله عينيه ، وما زالت الى يومنا هذا !

قال ابن قتيبة / ٣٠: «إن أبا بكر أخبر بقوم تخلفوا عن بيعته عند علي فبعث إليهم عمر بن الخطاب فجاء فناداهم وهم في دار علي ، وأبوا أن يخرجوا فعدا عمر بالحطب فقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها عليكم على ما فيها ! فقليل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة ! فقال: وإن ! انتهى.

فالقضية تكمن في هذا الانقلاب الذي استبدل احترام إرادة الإنسان بإجباره على بيعة المتغلب ، وإلا استحق الحرق وهو حي ، حتى لو كان عترة النبي صلى الله عليه وآله ! قال ابن كثير في النهاية: ١٢٣/٨: «إن معاوية لما مرض مرضته التي هلك فيها دعا ابنه يزيد فقال: يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال ، ووطأت لك الأشياء وذللت لك الأعداء ، وأخضعت لك أعناق العرب . وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي أسسته إلا أربعة نفر: الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر .. الى أن قال له: وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك روغان الثعلب ، وإذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إزباً إزباً ».

وفي تاريخ دمشق: ٢٥٦/١٠: «كان إذا ضرب البعث (التجنيد) على أحد من جنده ثم وجده قد أدخل بمركزه ، أقامه على كرسي ثم سَمَّرَ يديه في الحائط ثم انتزع الكرسي من تحت رجليه فلا يزال يتشطح حتى يموت» !

وفي تاريخ الطبري: ٥٢٥/٦: «كنت فيمن جاء إلى الرشيد بأخي رافع (أسيراً) قال فدخل عليه وهو على سرير مرتفع عن الأرض بقدر عظم الذراع ، وعليه فرش بقدر ذلك أو قال أكثر ، وفي يده مرآة ينظر إلى وجهه قال: فسمعتة يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ونظر إلى أخي رافع فقال: أما والله يا ابن اللخناء (القذرة) إني لأرجو أن لا يفوتني حامل ، يريد رافعاً ، كما لم تفتني ! فقال له: يا أمير المؤمنين قد كنت لك حرباً وقد أظفرك الله بي فافعل ما يحب الله أكن لك مسلماً ، ولعل الله أن يلين لك قلب رافع إذا علم أنك قد مننت عليّ . فغضب وقال: والله لو لم يبق من أجلي إلا أن أحرك شفتي بكلمة لقلت: أقتلوه ! ثم دعا بقصاب فقال: لا تشد مداك أتركها على حالها (لا تحمّد سكاكينك) وفَصِّلْ هذا الفاسق وعجِّل ، لا يحضرن أجلي وعضوان من أعضائه في جسمه ! ففصله حتى جعله أشلاء فقال: عُدْ أعضاءه ! فعددت له أعضاءه فإذا هي أربعة عشر عضواً... ! ثم أغمي عليه وتفرق من حضره ، ثم مات من ساعته» . (والخصائص/ ٣٩٤ ، والنهاية: ١٠/ ٢٣١).

وفي عيون إخبار الرضا عليه السلام: ١٠٢/٢: «لما بنى المنصور الأبنية ببغداد جعل يطلب العلوية طلباً شديداً ، ويجعل من ظفر منهم في الأسطوانات المجوفة المبنية من الجص والآجر ! فظفر ذات يوم بغلام منهم حسن الوجه عليه شعر أسود من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب ، فسلمه إلى البناء الذي كان يبنى له وأمره أن

يجعله في جوف أسطوانة ويبني عليه ، ووكل عليه من ثقافته من يراعى ذلك حتى يجعله في جوف أسطوانة بمشهده ، فجعله البناء في جوف أسطوانة فدخلته رقه عليه ورحمه له فترك الأسطوانة فُرْجَةً يدخل منها الروح فقال للغلام: لا بأس عليك فاصبر فإني سأخرجك من جوف هذه الأسطوانة إذا جن الليل ، فلما جن الليل جاء البناء في ظلمه فأخرج ذلك العلوي من جوف تلك الأسطوانة وقال له: إتق الله في دمي ودم الفعلة الذين معي وغَيِّب شخصك ، فإني إنما أخرجتك ظلمه هذه الليلة من جوف هذه الأسطوانة لأنني خفت أن تركتك في جوفها أن يكون جدك رسول الله يوم القيامة خصمي بين يدي الله عز وجل !

وفي أعيان الشيعة: ٢٨/١: «وفعل المنصور ببني الحسن السبط الأفاعيل فحملهم من المدينة إلى الهاشمية بالعراق مقيدين مغللين ، وحبسهم في سجن لا يعرفون فيه الليل من النهار ، وإذا مات منهم واحد تركه معهم ، ثم هدم السجن عليهم » . (راجع مروج الذهب: ٣/٢٩٩ ، وابن الأثير: ٥/٥٥١) .

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/١٧٢: «وكان الجلودي في خلافة الرشيد لما خرج محمد بن جعفر بن محمد بالمدينة ، بعثه الرشيد وأمره إن ظفر به أن يضرب عنقه ، وأن يغير على دور آل أبي طالب وأن يسلب نساءهم ، ولا يدع على واحدة منهن إلا ثوباً واحداً ! ففعل الجلودي ذلك ، وقد كان مضى أبو الحسن موسى بن جعفر ، فصار الجلودي إلى باب دار أبي الحسن الرضا هجم على داره مع خيله ، فلما نظر إليه الرضا جعل النساء كلهن في بيت ، ووقف على باب البيت فقال الجلودي لأبي الحسن: لا بد من أن أدخل البيت فأسلبهن كما أمرني أمير المؤمنين !

فقال الرضا: أنا أسبهنّ لك ، وأحلف أبي لا أدع عليهن شيئاً إلا أخذته ! فلم يزل يطلب إليه ويحلف له حتى سكن ، فدخل أبو الحسن الرضا فلم يدع عليهن شيئاً حتى أقراطهن وخلاخيلهن وأزرهن إلا أخذه منهن ، وجميع ما كان في الدار من قليل وكثير !!

وفي مقاتل الطالبين/ ٣٩٦: « استعمل المتوكل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي ، فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس ، ومنع الناس من البر بهم ، وكان لا يبلغه أن أحداً أبر أحداً منهم بشئ وإن قل إلا أنهكه عقوبة وأنقله غمراً ، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة ، ثم يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر ، إلى أن قتل المتوكل » !

وفي شرح النهج: ٢٧٠ / ١٨: « فاستأذن عليه جماعة من أهل البصرة منهم ابن المقفع فأدخل ابن المقفع قبلهم وعدل به إلى حجرة في دهليزه ، وجلس غلامه بدابته ينتظره على باب سفيان ، فصادف ابن المقفع في تلك الحجرة سفيان بن معاوية وعنده غلمانه وتنور نار يسجر فقال له سفيان: أتذكر يوم قلت لي كذا؟ !

أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتله لم يقتل بها أحد ! ثم قطع أعضاءه عضواً عضواً وألقاها في النار وهو ينظر إليها حتى أتى على جميع جسده ، ثم أطبق التنور عليه وخرج إلى الناس » .

وفي وفيات الأعيان: ١٠٠ / ٥: « وكان ابن الزيات المذكور قد اتخذ تنوراً من حديد وأطراف مساميره المحددة إلى داخل وهي قائمة مثل رؤوس المسال ، في أيام وزارته ، وكان يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال ،

فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه فيجد لذلك أشد الألم ، ولم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة ، وكان إذا قال له أحد منهم أيها الوزير ارحمني فيقول له: الرحمة خور في الطبيعة !

وفي السلوك للمقريزي/١٢٢، عن جلال الخوارزمي: «سار إلى (ملكة) خلط فذهب وسبى الحریم ، واسترق الأولاد وقتل الرجال ، وخرب القرى وفعل ما لا يفعله أهل الكفر». «وأخذ زوجة الأشرف ودخل بها من ليلته». (نهاية الإرب/٦٦٤٨).

وفي أعيان الشيعة: ٦٩/٢: «الشيخ أيوب بن عبد الباقي البوري البحراني . هو من أعيان العلماء ، وفي السنة التاسعة بعد الألف رحل من البحرين لضيق المعيشة ، وقطن في الديار المصرية ، وصار مدرساً للشافعية حتى فهموا منه التشيع (أي شكوا بتشيعه) فقتل في حجرته في السنة العاشرة بعد الألف». انتهى.

أقول: إن معنى سؤال المسلم المضطهد المسلوب أبسط حقوقه: هل تفضل الحرية الدينية في ظل حاكم كافر ، أو الإضطهاد الديني في ظل حاكم مسلم ؟ وقد أجاب عليه السيد ابن طاووس رحمته الله وتبعه فقهاء المذاهب فأفتوا بتفضيل الكافر العادل على المسلم الجائر. وبه حكم الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل: «أهل الشام شر أم الروم فقال: إن الروم كفروا ولم يعادونا، وإن أهل الشام كفروا وعادونا». (الكافي/٢: ٤١٠).

٢- حكم استعانة المسلمين بالكفار لحرب المسلم الجائر

من المسائل التي بحثها فقهاء المذاهب الإسلامية: هل يجوز الاستعانة بالكفار في قتال الكفار ، أو في قتال البغاة والجائرين المسلمين ؟

وقد أجمعت المذاهب على أنه يتبع مصلحة الإسلام كدين والمسلمين كأمة ، فإذا كانت الفائدة بذلك أكثر من الضرر ، جاز . وقد طبقه أتباع ابن تيمية على الإستعانة بالإنكليز في قتال الخلافة العثمانية ، ثم على الإستعانة بالأمريكان لحماية البلاد من خطر إيران ، والإستعانة بهم ضد صدام لتحرير الكويت . كما أفتى بعض علماء الشيعة بجواز الإستعانة بالأمريكان وغيرهم ، لإسقاط الطاغية صدام وتخليص المسلمين من جورهِ .

٣- علماء الحلة يجنبون منطقتهم بطش المغول

قال العلامة الحلي رحمته الله في كتابه: كشف اليقين / ٨٠ ، عن إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بالمغيبات: «ومن ذلك: إخباره عليه السلام بعمارة بغداد وملك بني العباس ، وذكر أحوالهم وأخذ المغول الملك منهم ، رواه والدي رحمته الله وكان ذلك سبب سلامة أهل الكوفة والحلة والمشهدين الشريفيين من القتل ، لأنه لما وصل السلطان هولاءكو إلى بغداد قبل أن يفتحها ، هرب أكثر أهل الحلة إلى البطائح إلا القليل ، فكان من جملة القليل والدي والسيد مجد الدين بن طاووس والفقير ابن العز ، فأجمع رأيهم على مكاتبة السلطان بأنهم مطيعون داخلون تحت الإبلية ، وأنفذوا به شخصاً أعجبياً ، فأنفذ السلطان إليهم فرماناً مع شخصين أحدهما يقال له نكلة والآخر يقال له علاء الدين ، وقال لهما: قولاً لهم إن كانت قلوبكم كما وردت به كتبكم تحضروا إلينا ، فجاء الأميران فخافوا لعدم معرفتهم بما ينتهي الحال إليه ، فقال والدي: إن جئت وحدي كفى؟ قالوا: نعم ، فأصعد معهما ، فلما حضر بين يديه وكان ذلك قبل فتح بغداد ، قال له: كيف أقدمتم على مكاتبتني والحضور عندي قبل أن تعلموا ما ينتهي إليه أمري وأمر صاحبكم ، وكيف تأمنون إن

صالحني ورحلت عنه؟ فقال له والدي: إنما أقدمنا على ذلك لأننا روينا عن إمامنا علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في بعض خطبه: الزوراء وما أدراك ما الزوراء؟ أرض ذات أثل يشتد فيها البنيان، ويكثر فيها السكان ويكون فيها قهازم وخزان، يتخذها ولد العباس موطناً ولزخرفهم مسكناً، تكون لهم دار هو ولعب، يكون بها الجور الجائر والخوف المخيف، والأئمة الفجرة والقراء الفسقة، والوزراء الخونة، يخدمهم أبناء فارس والروم، لا يأترون بمعروف إذا عرفوه، ولا يتناهون عن منكر إذا أنكروه، يكتفي الرجال منهم بالرجال والنساء بالنساء، فعند ذلك الغم الغميم والبكاء الطويل والويل والعويل، لأهل الزوراء من سطوات الترك وما هم الترك، قوم صغار الخدق، وجوههم كالمجان المطرقة، لباسهم الحديد، جردّ مردّ، يقدمهم ملك يأتي من حيث بدا ملكهم، جهوري الصوت قوي الصولة عالي الهمة، لا يمر بمدينة إلا فتحها، ولا ترفع له راية إلا نكسها، الويل الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفرا فلما وصف لنا ذلك، ووجدنا الصفات فيكم، رجوناك فقصدناك. فطيبّ قلوبهم، وكتب لهم فرماناً باسم والدي، يطيبّ فيه قلوب أهل الحلة وأعمالها.

أقول: قد يشكل بعضهم على عمل فقهاء الحلة، بأنهم تركوا الجهاد الدفاعي عن الإسلام وعن الخلافة وعن منطقتهم، وبأنه استعجال ومغامرة صادف أنها أصابت ونجحت، وأنقذت منطقتهم من تدمير المغول.

والجواب: أنهم رضوان الله عليهم يعرفون أن الجهاد الدفاعي لا يجب مطلقاً، بل له شروط لم تكن متوفرة في العراق، ومنها فائدته ونتيجته. ثم إنهم كانوا على يقين بما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام وأنه ينطبق على المغول، وقد ثبت أن يقينهم كان صحيحاً.

المرجع الشيعي العبقري يغيّر معادلة الغزو المغولي

١- نصير الدين الطوسي رحمته الله من نواذر العباقرة

اتفق العلماء على الإشادة بعبقرية نصير الدين الطوسي رحمته الله وشخصيته العلمية الموسوعية ، فهو عند الفقهاء مرجعٌ ما زالت آراؤه تبحث في مصادر الفقه ، وعند المتكلمين أول من أصّل علم الكلام في الإسلام في كتابه (تجريد العقائد) وقد شرحه العلماء في حياة مؤلفه ، ودّرّسوه في المعاهد العليا السنية والشيعية . وكتبه في المنطق والفلسفة والأخلاق والعرفان موردٌ غنيٌّ للعلماء . وبحر كتبه في الهندسة والرياضيات ، مصادر في هذه العلوم الى يومنا .

وقد ألف السيد عبد العزيز الطباطبائي رحمته الله كتاباً سماه: مكتبة العلامة الحلي رحمته الله أحصى فيه ما استطاع من مؤلفات العلامة رحمته الله وأماكن وجود نسخها . ولم أجد من ألف في كتب المحقق الطوسي رحمته الله ، لكن عامة مصادر التاريخ والتراجم أوردت مؤلفاته ، وأوسع من فصلها الطهراني رحمته الله في كتابه الذريعة الى تصانيف الشيعة . وهذا عرضٌ لأغلب مؤلفاته خاصة الفقهية والعقدية منها ، فقد ألّف رحمته الله في الفقه ، والعقائد ، والمنطق ، والفلسفة ، والعرفان ، والتربية والرياضيات والفلك والجغرافيا والطب والتاريخ والأدب والنحو ، وغيرها:

قله في الفقه: الفرائض النصيرية في أحكام الإرث ، ويسمى تحرير الفرائض ، أو التحرير ، لأنه تحرير لكتاب أستاذه النابغة معين الدين سالم بن بدران المصري المازني في الإرث ، وقد صرح بذلك رحمته ونقل بعض آرائه ، وهو مرتب على قسمين أولهما في فقه المواريث وهو في فئتين أولهما في بابين ، وأولهما في مراتب الوراث والثاني ما يدخل فيها بالعرض من الوصايا والإقرارات في كيفية التخصيص وتصحيح السهام . وقد شرحه عديدون وعلقوا عليه ، منهم الشيخ البهائي العاملي وحفيد أخ الشيخ البهائي ، والمحقق الكركي الشيخ علي بن الحسين بن عبد العالي ، والسيد الأمير عبد الحي بن عبد الوهاب الحسيني ، والمولى عبد الله بن الخليل ، والمولى أبو الحسن بن أحمد الشريف القائني .
(الذريعة: ١٦/١٥٠، و: ١٣/٣٧٩، و: ١٣/٣٨٠، و: ٣/٣٧٧، و: ٦/١٦٢، و: ٢٦/١٥٦) .

رسالة في الشك والسهو والتلافي والجبران في صلاة الآيات والعديدن ، وما يجري مجراهما . (الذريعة: ١٤/٢١٣) . رسالة في أحكام الإعتكاف ، وأصلها لأستاذه سالم بن بدران المازني البصري ، وقد حررها نصير الدين رحمته فجعلها على فتاواه . (الذريعة: ٢/٢٣٠) . رسالة في تمييز الصبح الصادق من الكاذب ، ويسمى رسالة في وقت الفجر ، كتبها جواباً عن سؤال بعض الأمراء . (الذريعة: ١١/١٤٧، و: ٧/١٥) .

تحرير الطلوع والعروب ، لأوطولوقس الذي أصلحه ثابت بن قرة الحراني المتوفى سنة ٢٨٨ ، وحرره المحقق خواجه نصير الدين الطوسي ، وهو مرتب على مقالتين فيها ستة وثلاثون شكلاً ، رأيت نسخة منه في النجف الأشرف في مكتبة المرحوم المولى محمد علي الخوانساري ، وتوجد نسخة منه في المكتبة الخديوية ،

تاريخ كتابتها ثالث عشر رجب سنة ١١٤٦ ، كما ذكر في فهرسها . (الذريعة: ٣/ ٣٨٦). رسالة في التولي والتبري ، فارسية على مشرب أهل التعليم ، ألفها في قهستان بطلب شخص إسمه نجيب الدين . (الذريعة: ١١/ ١٥٩) .

وقد نقلت عنه آراء في الفقه لا توجد في كتبه التي وصلتنا ، وهي تدل على وجود مؤلفات أخرى له في الفقه ، وآراء نقلها تلاميذه .

وله في العقائد: تجريد الكلام في تحرير عقايد الإسلام ، وهو أجل كتاب في تحرير العقائد ، أوله: «أما بعد حمد واجب الوجود على نعمائه...فإني مجيب إلى ما سألت من تحرير مسائل الكلام وترتيبها على أبلغ نظام.. إلى قوله: وسميته بتحرير العقائد ، ورتبته على ستة مقاصد.. فيظهر منه أنه سماه تحرير العقائد ، لكنه اشتهر بالتجريد ، طبع مستقلاً ومع بعض شروحه ، مكرراً . وأثنى عليه عامة العلماء ومدحه كافة شراحه ، واعتنى بشرحه العامة والخاصة ، وشرحه الفاضل القوشجي بطلب من السلطان بو سعيد بن السلطان محمد خدابنده ، ومدحه بأنه: «مخزون بالعجائب ، مشحون بالغرائب ، صغير الحجم ، وجيز النظم كثير العلم ، جليل الشأن ، حسن النظام ، مقبول الأئمة العظام ، لم يظفر بمثله علماء الأمصار» . وفيه فصول: في مبحث الوجود والعدم . في الجواهر والأعراض . في إثبات الصانع تعالى وصفاته . في النبوة . في الإمامة . في المعاد . وعليه حواشي وشروح كثيرة ، فأول الشروح شرح تلميذ المصنف العلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ وهو مطبوعٌ متداول إسمه كشف المراد ، وله شرح منطقته مستقلاً ، في مجلد سماه الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد . وشرح شمس الدين محمد الأسفرايني

البيهقي سماه: تعزيز الإعتقاد في شرح تجريد الإعتقاد ، مزجه بالأصل .. ثم عدد صاحب الذريعة رحمته الله مجموعة شروحه القديمة والمتأخرة ، ومنها للبيهقي والقوشجي والشریف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ ، وشرح المحقق النيريزي فرغ منه سنة ٩١٣ ، وشرح الإلهيات منه للمولى زين الدين علي البدخشي بالفارسية سماه تحفة شاهي وعطيه إلهي ، فرغ منه سنة ١٠٢٣ ، وشرح عبد الرزاق بن علي بن الحسين اللاهجي المتوفى سنة ١٠٥١ ، وشرح الأمير محمد أشرف بن السيد عبد الحسيب العاملي المتوفى سنة ١١٤٠ . (الذريعة: ٣/٣٥٢ و: ١٣/١٣٨ . وكشف الحجب والأستار/ ٩٧).

روضة المتقين في بحث إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام . (الذريعة: ١٣/١٣٨).

إثبات الواجب تعالى، أرسله إلى نجم الدين الكاشاني ولعله بطلبه .. في إثباته بطريق المتكلمين وجوهاً أربعة وبطريق الحكماء ثلاثة وجوه . (الذريعة: ١/١٠٨). وفي الذريعة: ١٠/١٨١، كتاب لنجم الدين علي بن عمر الكاتبي القزويني ويظهر منه أن كتاب نصير الدين رحمته الله تعليقات عليه . والكاتبي فيلسوف معروف .

مناظره في إثبات وجود الله تعالى بطريقة الحوار . (الذريعة: ٢٢/٢٩٢).

رسالة في علم الباري بالجزئيات ، أولها: سألتني مولاي قاضي القضاة في ٦٦٦ عن قول الحكماء في كيفية صدور الموجودات عن مبدئها الأول، وعن مذهبهم في علمه بالجزئيات . بخط الشيخ عبد الرحيم التستري ، وذكر أنه نقلها عن خط قطب الدين محمد بن مسعود الشيرازي كتبها عن خط مصنفها . (الذريعة: ١٥/٣٢٠)

إثبات اللوح المحفوظ ، ولعله متحد مع إثبات الجوهر المفارق . (الذريعة: ١/٩٩).

آغاز وأنجام ، بالفارسية بمعنى المبدأ والمعاد ، ألفه بطلب بعض أجبائه ، في المبدأ والمعاد وأحوال القيامة والجنة والنار وغيرها ، وله كتاب آخر بنفس الاسم مرتب على أربعة فصول ، الحيوان ، النبات ، المعدن ، المتفرقات ، والنوادر ، وفي كل فصل أبواب . (الذريعة: ١/٣٦).

ترجمة بقاء النفس ، وهو تحرير كتاب بقاء النفس لأرسطو ، ترجمه إلى الفارسية الخواجة أفضل الدين الكاشاني ، وطبع في طهران . (الذريعة: ٢٦/١٩٢).

قواعد العقائد ، منه نسخة في مكتبة محمد الفاتح ، سراي همايون بإسلامبول (الذريعة: ١٧/١٨٦). وله شروح ، منها: تحرير القواعد الكلامية ، في شرح الرسالة الإعتقادية الموسومة بقواعد العقائد للمولى عبد الرزاق بن المولى مير الجيلاني الرانكوئي الشيرازي المولد المعاصر للمولى عبد الرزاق اللاهيجي ، ألفه لمحمود خان حاكم بلاد كوه كيلويه . (الذريعة: ٣/٣٨٧).

المقنعة في العقائد ، رسالة مختصرة جداً في الأصول الخمسة . (الذريعة: ٢٢/١٢٥). ولعله منتخب العقائد . (الذريعة: ٢٢/٤١٦).

الإعتقادات ، في أقل ما يجب اعتقاده، ولعله الذي سماه الماحوزي بالوجيزة ، وكتب عليه في بعض النسخ العقيدة المفيدة . (الذريعة: ٢/٢٢٦). وذكر باسم الإعتقادات ، وواجب الإعتقاد . (الذريعة: ٢/٢٧٤). وفي الذريعة: ١٥/٣٠٦ ، باسم العقيدة المفيدة المختصرة ، وفي الذريعة: ١٦/١٣٩ ، باسم فرائد العقائد ، وفي الذريعة: ١٣/٩٤ ، شرح أصول الدين ، وشرح مقدمة الكلام .

تلخيص المحصل ، شرح وتهذيب للمحصل للرازي ، ويقال له نقد المحصل .

قال في مقدمته: لم يبق في الكتب التي يتداولونها من علم الأصول عيانٌ ولا خبرٌ ولا من تمهيد القواعد الحقيقية عينٌ ولا أثر ، سوى كتاب المحصل الذي إسمه غير مطابق لمعناه ، وبيانه غير موصل إلى دعواه ، وفيه من الغث والسمين ما لا يحصى . طبع محرّفاً في ذيل المحصل في مطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٣ . وأقدم نسخة منه رأيتها في الخزانة الغروية وهي بخط الفاضل الماهر محمد بن سنقر فرغ من الكتابة في يوم الخميس ١٤٣ - ٦٧٣ ، ثم كتب بخطه أيضاً على هامش آخر النسخة أنه قابلها بنسخة مقابلة بخط المؤلف مع الإمام العالم الفقيه لسان الحكماء والمتكلمين شرف الدين محمد بن القزويني . (الذريعة: ٤/٤٢٦). وفي مستدركات أعيان الشيعة: ١/٢٣٣: ألفه بطلب من عطا ملك علاء الدين الجويني ، كما ألف رسالة أوصاف الأشراف بالفارسية ، حول أخلاق العرفاء والزهاد ، لأبيه محمد الجويني .

انتخاب تلخيص المحصل ، لعز الدولة سعد بن منصور بن كمونة البغدادى المتوفى سنة ٦٩٠ ، قال: تشتمل هذه الأوراق على فوائد التقطتها من كلام الخواجة نصير الدين الذي في تلخيص المحصل .. وقال في آخره بعد الحمد والصلاة: وكان الفراغ منه انتخاباً ونسخاً في العشر الأوسط من ذي القعدة سنة سبعين وست مائة . والنسخة بخطه رأيتها في الخزانة الغروية . (الذريعة: ٢/٣٥٧ ، وقد ردّ نسبه الى نصير الدين: ٤/٤١٩) .

الفصول النصيرية ، فارسي في أصول الدين ، مرتب على أربعة فصول ، في التوحيد والعدل والنبوة والمعاد . عربه المولى ركن الدين محمد بن علي الجرجاني

القريب من عصره ، وعلى هذا المعرب شروح كثيرة. (الذريعة: ٢٤٦/١٦).

وفي الذريعة: ٣٨٣/١٣ ، شرح الفصول ، لمؤلف كتاب معارج السؤول في آيات الأحكام المولى كمال الدين الحسن بن محمد بن الحسن الاسترآبادي النسفي ، فرغ منه سنة ٨٧٠ . كتبه لسلطان الخويزة الأمير كمال الدين بن فلاح المشعشي الموسوي الخويزي . مزجي مشحون بالنكات والتحقيقات وعليه حواشي ، وشكك صاحب الذريعة في أن يكون ألفه للمشعشي لأنه متأخر عن المؤلف .

شرح الفصول النصيرية المعربة ، في الكلام ، وأصله فارسي ، عربيه محمد بن علي الجرجاني الحلي الغروي تلميذ العلامة الحلي سنة ٦٩٧ . (الذريعة: ١٢٦/٦)

الإمامة وبيان شرايطها ، نسخة منه عند السيد النسابة شهاب الدين التبريزي نزيل قم ، ونسخة في مكتبة راغب پاشا بإسلامبول . (الذريعة: ٣٣٦/٢).

حصر الحق بمقالة الإمامية ، ويحتمل أنه إثبات الفرقة الناجية في الذريعة: ٩٨/١ ولعل العلامة الحلي رآه فنقل مضمونه مختصراً لولده فخر المحققين كما في ديباجة القواعد. (الذريعة: ٢٣/٧). وذكره في الذريعة: ١٧٥/٢٦ باسم تحقيق المذهب الحق .

إنشاء الصلوات والتحيات للأئمة الإثنى عشر عليهم السلام كما في الذريعة: ٣٩٢/٢. وفي: ٨٦/١٥ ، باسم: الصلوات والتحيات على أشرف البريات وآله الأئمة السادات ، وذكر له في: ٢٦١/١٣ ، و: ١٤٠/٧ ، شرحاً للسيد علي بن محمد باقر الحسيني ، ينقل فيه عن الشيخ البهائي والمحقق الداماد والمقدس الأردبيلي . وذكر في: ٣٩٢/٢ ، و: ٢٦٨/٨ ، شبيهه لعلي بن حماد ، أنشأه ليقراً في الخطب ويقال له الخطبة أيضاً وهو أبسط من كتاب النصير . وله صحيفة الخلافة . (الذريعة: ٢٣٨/٧).

وذكر في أعيان الشيعة: ٤١٩/٩: رسالة في الإمامة ، رسالة في العصمة ، رسالة في الجبر والإختيار ، رسالة الجبر والقدر ، روضة القلوب ، روضة التسليم .

وله في المنطق والفلسفة والعرفان والأخلاق والتربية ، فهو رحمه الله فيلسوف من وزن ابن سينا ، وقد نقد العديد من آرائه في شرحه لفلسفته ، ووصفه الذهبي بكبير الفلاسفة (تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٩١) . ومؤلفاته فيها هي: رسالة في العقل ، العلل والمعلولات ، تجريد المنطق ، شرح الإشارات ، رسالة إثبات الجوهر المفارق ، رسالة في العلم الإكتسابي واللذني ، تعديل المعيار في نقد تنزيل الأفكار ، نقد تهافت الفلاسفة ، مصارع المصارع . رسالة بقاء النفس بعد فناء الجسد ، رسالة في النفي والإثبات ، ربط الحديث بالقديم ، المقولات ، أساس الإقتباس . السير والسلوك ، معرفة النفس . شرح تهافت الفلاسفة . نسخة في مكتبة نور عثمانية في اسلامبول . (الذريعة: ١٣/١٥٥) .

الفوائد الثمانية في الحكمة رأيتها ضمن مجموعة في المجلس: ٣٨٥٠ ، أوله: فوايد حكمية ثمانية للعلامة الطوسي رحمه الله : المكان ماله وضع لذاته. الزمان ما يقدر به كل ما ينقضي ويحدد بقاء ما لا يتجدد أو لا ينقضي .. وفيها فوائد منها في العلل والمعلولات ، فوائده في العصمة في المبدأ الأول أفعال العباد ، العقل المجرد المسمى بالعقل الكلي ، منه نسخة في مكتبة راغب پاشا . (الذريعة: ١٦/٣٢٩) .

رسالة في السير والسلوك ، كتبها لسلطان عصره ومن تبعه . طبعه المدرس الرضوي بطهران سنة ١٣٢٥ . (الذريعة: ١٢/٢٨٥) .

أخلاق ناصري ، فارسي ، ألفه لأمر قهستان ناصر الدين عبد الرحيم ، حرر

فيه كتاب الطهارة في الأخلاق لعلي بن مسكويه ، وزاد عليه أشياء كثيرة منها مقالاتان في سياسة المدن وتدبير المنزل ، ورتبه على ثلاث مقالات في ثلاثين فصلاً وهو كتاب حسن لم يعمل في تهذيب الأخلاق مثله ، يضرب المثل به في الفصاحة والبلاغة (الذريعة: ٣٨٠/١) ، وكشف الحجب/ ٣٢ ، وكشف الظنون: ٣٨/١). وكتاب: أوصاف الأشراف ، وآداب المتعلمين ، أو ديباجة الأخلاق الناصرية وخاتمتها .

وله في الطب: حاشية على القانون لابن سينا ، طبع مع شرح القانون للعلامة (الذريعة: ٣٨٩/١٣). ضوابط الطب ، أو قوانين الطب . (الذريعة: ١٢٠/١٥). رسالة في الاختلاجات (الذريعة: ٣٢/١٣). جواب في رفع التناقض في أقوال حنين وابن سينا .

وله في التفسير: تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين والعصر .

وله في الأدب والنحو: معيار الأشعار في العروض والقوافي ، في مقدمة ذات فصول ثلاثة وفين: أولهما في العروض ، والثاني في القوافي. طبع ١٣٢٠ ، بمباشرة عبد الغفار نجم الدولة ونسخه الخطية شائعة . وأخرى طهران أدبيات ١٣٨١ د (طوبقوسراي ١٦٤٦) كتابتها ٧٢٠ ، كما في فهرسها . (الذريعة: ٢١/٢٧٧). ويظهر أنه نفسه الوافي في العروض والقوافي، ولعله نفس معيار الأشعار في: ٢٥٦/١٥ و: ٢٧٧/٢١. (الذريعة: ٢٥/١٦) .

شرح ديوان امرئ القيس، في مكتبة محمد پاشا ياسلامبول. (الذريعة: ١٣/٢٦٥) .

ديوان الخواجة الطوسي، وهو مجموعة من شعره . (الذريعة: ٩ ق ٢/٦٥١) .

الوافية في شرح الكافية ، هو الشرح الوسيط للسيد محمد الحسن بن محمد بن

شرفشاه العلوي الحسيني الأسترآبادي تلميذ الخواجة نصير الطوسي وشارح قواعد العقائد ، قال فيه: وبعد فإني بعدما شرحت كتاب الكافية في النحو أولاً مع إيرادات وأجوبة وأبحاث كثيرة ، وشرحته ثانياً مقتصراً على حل ألفاظه وشرح معانيه والإشارة إلى تحليل تركيباته ومبانيه ، وجعلته لرسم خدمة الأمير ناصر الدين يحيى بن الملك جلال الدين إبراهيم ابن يغرش بيلكا ملك الختني ، ورأيت نسخة منه عند السماوي كتابتها ٨٤٨ ، وتوجد أربع نسخ منه في مكتبة قُوله . (الذريعة: ١٨/٢٥).

وله في التاريخ والجغرافيا: ذيل تاريخ جهانگشای ، الذي ألفه الوزير الخواجة علاء الدين عطا ملك الجويني المتوفى ٦٨١ وهو من بدء السلاطين المغولية إلى ٦٥٥ في ثلاثة أجزاء . والذيل له فارسي كأصله ، وقد طبع الذيل هذا وهو مختصر في ١٢ آخر الجزء الثالث بمباشرة الميرزا محمد خان القزويني في ليدن ، وذكر أنه ترجم بالعربية وجعل فصلاً من كتاب مختصر الدول لابن العبري. (الذريعة: ٤٨/١٠) . واقعة بغداد . وفي الجغرافيا: (أعيان الشيعة: ٤١٩/٩) .

وله مراسلات منها: كتاب المفاوضات أو جوابات المسائل القانونية ، بينه وبين صدر الدين القانوني ، وهو مسائل فلسفية منها في وجود الله تعالى ، وفي النفس. (الذريعة: ٢٣٠/٥ ، و: ٣١٢/٢١) ، (وكشف الظنون: ١٧٥٨/٢) وفيه أن القانوني توفي سنة ٦٧٣ . ورسائل الشيخ ميثم البحراني إليه وبعض أجوبتها. (الذريعة: ٢٩٧/٢٠) .

وعدَّ له الصفدي في الوافي: ١٤٩/١ ، كتاب الفرائض على مذهب أهل البيت عليهم السلام . وذكر له في مستدركات أعيان الشيعة: ١/٢٣٦ ، ١٨٦ كتاباً ورسالة ، منها: رسالة في

أحكام منازل الرمل الإثني عشر بالفارسية ، ورسالة الرمل ، تسكين الدائرة بالعربية ، ورسالة الجواهر واسمها بالفارسية (تنسيق نامة إيلخاني) في صفات الأحجار الكريمة وخواصها ، ألفها بطلب هولاءكو .

وأكثر ما اشتهر فيه نصير الدين قلنج : عبقريته في الرياضيات والفلك ، خاصة ابتكاراته العلمية والعملية في مرصد مراغة وجامعتها ، ومؤلفاته فيها عديدة هي: رسالة في الشعاع ، رسالة في انعطاف الشعاع وانعكاسه ، تحرير إقليدس ، تحرير المجسطي ، تحرير كرة وأسطوانة أرخميدس ، تحرير مأخوذات أرخميدس ، تحرير كتاب المفروضات لأرخميدس ، تحرير كتاب معرفة مساحة الأشكال البسيطة والكرية ، تحرير كتاب الكرة المتحركة لأطولوقوس ، الرسالة الشافية عن الشك في الخطوط المتوازية ، كشف القناع عن أسرار شكل القطاع ، رسالة في الحساب والجبر والمقابلة ، الأسطوانة ، المخروطات ، في أحوال الخطوط المنحنية ، تربيع الدائرة ، جامع الحساب ، رسالة في علم المثلثات . تحرير مانالاولس ، تحرير ثاوذوثيوس ، تحرير كتاب المناظر ، تحرير كتاب المساكن ، تحرير كتاب ثاوذوثيوس في الأيام والليالي ، تحرير ظاهرات الفلك ، تحرير كتاب أطولوقوس في الطلوع والغروب ، تحرير كتاب أبسقلاولس في المطالع ، مدخل في علم النجوم كتاب أرسطرخس في جرمي النيرين وبعديهما ، تحرير المعطيات ، ترجمة ثمرة الفلك ، التذكرة النصيرية ، ترجمة صور الكواكب ، الرسالة المعينية ، ذيل الرسالة المعينية ، الزيج الإيلخاني ، مقدمة الزيج الإيلخاني ، عشرون باباً في معرفة الأسطرلاب ، زبدة الهيثة ، تعريف الزيج ، ثلاثون فصلاً في الهيثة

والنجوم ، زبدة الإستدراك في هيئة الأفلاك ، مائة باب في معرفة الأسطرلاب ، استخراج قبة تبريز . قصيدة في اختيارات البروج الإثني عشر ، وهو اختيارات المهيات بحسب تحويل القمر في البروج الإثني عشر . (الذريعة: ١٧/ ١٢٤) . منازل القمر أو أحكام منازل ، وهو غير المتقدم (الذريعة: ٢٢/ ٢٤٩) . موضح الرسوم في علم النجوم ، ألفه لحسام بن شمس الدين اللاهيجاني ، نسخة منه دار الكتب في القاهرة . الميقات فارسي ، في ١٠٠ ورقة . (الذريعة: ٢٣/ ٢٦٦) .

وقال السيد الأمين في كتابه: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي / ٣٠١: «ويعترف المؤرخون للعلوم الرياضية بأن برهان نصير الدين الطوسي يعتبر نقطة التحول في تطور علم الهندسة وظهور الهندسات الإقليدية الجديدة التي تلعب الآن دوراً عظيماً في دراسة الفضاء الكوني ، وتفسيرات النظرية النسبية بعد أن تطورت على أيدي الروسي لوباتشوفسكي والألماني ريمان وغيرهما . ولا يزال هناك الكثير من النظريات والأفكار الهندسية التي تم الكشف عنها في ثيابا الكتب والمخطوطات التي تم تحقيقها ، أو التي تنتظر جهود المخلصين من أهل الاختصاص للبحث عنها وتعريف الأجيال برواد العلم وصناعه الحقيقيين » .

هذا ، ويحتاج إحصاء مؤلفاته عليه السلام إلى جهد خاص يتتبع مصادرها ونسخها المخطوطة وترجماتها ، وفيها المفقود من بلادنا ، الموجود عند الغربيين ، أو المخفي عندهم ، ومنها موجود ولم يطبع إلى الآن . وقد كتَبَ المحقق الطوسي عليه السلام مؤلفاته بالعربية والفارسية ، ونُشر عددٌ منها في عصرنا وترجم بعض الفارسي منها إلى العربية ، وترجم بعضها مستشرقون بلغات أجنبية .

قال السيد أحمد الحسيني في تراجم الرجال: ١/ ٥٣٢ ، في ترجمة محمد الجرجاني من علماء القرن السابع - الثامن: «ترجم أكثر رسائل نصير الدين الطوسي إلى العربية لاستفادة طلبة العراق ، غيراً عليها من الضياع ، وترجماته التي رأيناها جيدة التعبير رصينة الألفاظ ، وقد صرح في أول ترجمة أوصاف الأشراف بإكمال ترجمة الأخلاق الناصرية ، وأساس الإقتباس ، ورسالة الجبر والقدر ، والفصول الإعتقادية ، وشرح كتاب بطلميوس في النجوم » .

٢- نشأة نصير الدين الطوسي رحمته الله

أبو جعفر ، نصير الدين ، محمد بن محمد بن الحسن الطوسي رحمته الله ، القمي المستجدي ، والده من قرية دَسْتَجَرْد ، من ولاية قم . (رياض العلماء: ١/ ٢٣٥) .

ولد في طوس سنة ٥٩٧ ، حيث كان يسكن والده الفقيه المحدث محمد بن الحسن رحمته الله ، فتربى في حجره ودرس عليه الفقه والحديث ، ودرس الفلسفة والرياضيات على خاله نور الدين علي بن محمد الشيعي رحمته الله ، ودرس على كمال الدين محمد الحاسب . أما وفاته فكانت في بغداد يوم الغدير سنة ٦٧٢ ، ودفن في مشهد الكاظمين عليهما السلام في قبر كان أعده الخليفة الناصر العباسي لنفسه فلم يدفنه فيه . (أعيان الشيعة: ٩/ ٤١٤) . ويظهر أنه رحمته الله نبغ في علوم عصره من شبابه في طوس ، ثم هاجر الى نيشابور مواصلاً طلب العلم عند كبار علمائها . (خاتمة المستدرک: ٢/ ٤٢٣) .

وكان في نيشابور في العشرين من عمره عندما اجتاحت المغول خراسان في غزوهم الأول سنة ٦١٧ ، وأعملوا سيوفهم قتلاً عاماً في المسلمين ، ودمروا المدن

التي احتلوها ، فهرب سلطان السلاطين غياث الدين خوارزم شاه ، حاكم إيران وما وراء النهر ، هروباً ذليلاً ، فطارده المغول من بلد الى بلد ، حتى وصل الى البحر ثم اختفى ، وقيل اختبأ في قلعة شاهقة في الهند !

«كان الطوسي حائراً لا يدري أين يلجأ ولا بمن يحتمي ، وكان المحتشم ناصر الدين عبد الرحيم بن أبي منصور متولي قهستان ، قد ولي السلطة على قلاع الإسماعيليين في خراسان من قبل علاء الدين محمد زعيم الإسماعيليين آنذاك ، وكان ناصر الدين هذا من أفاضل زمانه وأسخياء عهده وكان يعني بالعلم والفضلاء ، وكانت شهرة الطوسي قد وصلت اليه وعرف مكانته في العلم والفلسفة والفكر ، وكان من قبل راغباً في لقياءه ، فأرسل يدعوه إلى قهستان ، وصادفت الدعوة هوى في نفس المدعو الشريد ، ورأى أنه وجد المأمن الذي يحمله فقبل الدعوة وسافر إلى قهستان» . (أعيان الشيعة: ٩/ ٤١٥) .

وقال بعضهم إن نصير الدين عليه السلام أجبر على الذهاب الى قهستان ، وأن حاكمها الإسماعيلي بعث اليه بعض رجاله فأسروه وأتوه به ، وكان الحكام يحرصون على من هو طبيب ومنجم وحكيم . ففي أعيان الشيعة: ٩/ ٤١٥: «جاء في درة الإخبار أن أوامر قد صدرت إلى فدائيي الإسماعيليين باختطاف الطوسي وحمله إلى قلعة الموت وأن الفدائيين ترصدوه في أطراف بساتين نيسابور وطلبوا اليه مرافقتهم إلى الموت وأنه امتنع فهددوه بالقتل وأجبروه على مرافقتهم وأنه كان يعيش هناك سنواته شبه أسير أو سجين . وكذلك فإن سرجان ملكم في تاريخه قد أبته إرغامه على السفر إلى الموت وأن كان قد ذكر هذا الإرغام برواية تختلف عن رواية درة الإخبار» . انتهى .

واستشهدوا لهذا الرأي بما كتبه عليه السلام في آخر شرح الإشارات/ ٦٣٦: «رقت أكثرها في حال صعب لا يمكن أصعب منها حال ورسمت أغلبها في مدة كدورة بال ، بل في أزمنة يكون كل جزء منها ظرفاً لغصة وعذاب أليم وندامة وحسرة عظيم ، وأمكنة توقد كل آن فيها زبانية نار جحيم ويصب من فوقها حميم . ما مضى وقت ليس عيني فيه مقطراً ولا بالي مكدرأ ، ولم يجيئ حين لم يزد ألمي ولم يضاعف همي وغمي . نعم ما قال الشاعر بالفارسية: بلا أنكشتری ومن نكينم .. بكردا كردخود جندآنکه بینم وما لي ليس في امتداد حياتي زمان ليس مملوآ بالحوادث المستلزمة للندامة الدائمة والحسرة الأبدية ، وكان استمرار عيشي أمير جيوشه غموم وعساكره هموم . اللهم نجني من تراحم أفواج البلاء وتراكم أمواج العناء بحق رسوله المجتبي ووصيه المرتضى ، وفرج عني ما أنا فيه بلا إله إلا أنت وأنت أرحم الراحمين» . انتهى.

لكن الخبير بالكلام لا يقبل أن هذ النص الركيك من كلام المحقق الطوسي عليه السلام فهو صاحب أسلوب البليغ قوي شغل العلماء بشرح كلامه !

مضافاً الى أنه لا يناسب ما يكتبه المؤلفون في ختام كتبهم ، فليس فيه ذكر تاريخ انتهاء التأليف ولا إسم مؤلفه ! وغاية ما فيه قوله: رقت أكثرها في حال صعب ، ورقمت تنطبق على المؤلف وعلى الناسخ أيضاً ، والظاهر أنها للناسخ !

وفي قهستان ألف نصير الدين عليه السلام لحاكمها ناصر الدين ، كتاباً في الأخلاق سماه: أخلاق ناصري ، وعددأ من الكتب في علم الفلك والرياضيات والطب ، ثم طلبه علاء الدين محمد زعيم الإسماعيلية من واليه ، فذهب به اليه في قلعة

الموت ، فاستبقاه عنده حتى توفي ، ثم استبقاه ابنه الأكبر خورشاه حتى استسلم هلاكو سنة ٦٥١ ، فقتل هولاكو الزعماء ، واستبقى نصير الدين لنفسه لأنه طبيب ومنجم يحتاج إليه . (أعيان الشيعة: ٩/ ٤١٥) .

أقول: قَدَّرَ الله لنصير الدين عليه السلام أن يكون مع هولاكو في حملته على بغداد ، فبدأ يُخَطِّط للتأثير على هذا الطاغية وتخفيف بطشه ما استطاع ، فكان هولاكو يأنس بكلامه وينفذ نصائحه أحياناً ، وبذلك استطاع حفظ مكتبات بغداد ومدارسها ، فقد جعله هولاكو مسؤولاً عنها وعن كل الأوقاف ، كما قبل وساطته بعدم قتل بعض العلماء كابن العلقمي وابن أبي الحديد ، لكنه لم يستطع إنقاذ مشهد الكاظمين عليهما السلام ومحلات الشيعة من نهب جنود التتار وتخريبهم ، وصرح المؤرخون أنهم لم يفرقوا بين السنة والرافضة !

٣- من أخلاق نصير الدين الطوسي وإيمانه عليه السلام

قال المناوي في فيض القدير: ٥/ ٤١٢: «اتفقت الحكماء على تقبيح الفحش والنطق به ووقع للحكيم نصير الدين الطوسي أن إنساناً كتب إليه ورقة فيها: يا كلب يا ابن الكلب ! فكان جوابه: أما قولك كذا فليس بصحيح ، لأن الكلب من ذوات الأربع ، وهو نابح طويل الأظفار ، وأنا منتصب القامة ، بادي البشرة عريض الأظفار ، وناطق ضاحك ، فهذه فصول وخواص غير تلك الفصول والخواص وأطال في نفص كل ما قاله برطوبة وحشمة وتأن ، غير منزعج ، ولم يقل في الجواب كلمة فاحشة !»

وقال الماحوزي في كتاب الأربعين/ ٩٨: «روى ثقة الإسلام في الكافي عن زرارة عن

الباقرة عليه السلام أنه قال: أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحبَّ جميع عمره ، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه وتكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله حق في ثوابه ، ولا كان من أهل الايمان . وقد نظم هذا المعنى العلامة الفيلسوف أفضل المتأخرين ورئيس المحققين ، نصير الدين محمد بن محمد الطوسي قدس الله سره وبعثنا الخلد سره ، في هذه القطعة:

لو أن عبداً أتى بالصالحاتِ غداً	وودَّ كل نبيٍّ مرسلٍ وولي
وصام ما صام صواماً بلا ضجر	وقام ما قام قواماً بلا ملل
وحج ما حجَّ من فرض ومن سُنين	وطاف ما طاف حافٍ غير مُتعل
وطار في الجوِّ لا يأوي إلى أحد	وغاص في البحر مأموناً من البلل
يكسو البتامة من الديباج كُلِّهم	ويُطعم الجائعينَ البرَّ بالعسل
وعاش في الناس آلافاً مؤلفة	عار من الذنب معصوماً من الزلل
ما كان ذلك يوم الحشر ينفعه	إلا بحُبِّ أمير المؤمنين علي

والذريعة: ٢٢/٢٣٧، وأعيان الشيعة: ٩/٤١٨، ومفاتيح الرحمة: ٢/٤٦، والأربعون في حب علي عليه السلام: ٣/١١، والكنى والألقاب: ٢/١٤١، وقد نسبها بعضهم إلى الخليفة الناصر العباسي مثل ابن جبر في نهج الإيمان: ٤٥٩، وابن عقيل في النصائح الكافية/ ١٠٩. وفي روايتهم تفاوت يسير في بعض ألفاظها .

وفي تأويل الآيات: ١/١٩٠: «سئل عن الفرقة الناجية فقال: بحثنا عن المذاهب وعن قول رسول الله ﷺ: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية والباقي في النار . فوجدنا الفرقة الناجية هي الإمامية لأنهم باينوا جميع المذاهب في أصول العقائد وتفردوا بها ، وجميع المذاهب قد اشتركوا فيها ، والخلاف الظاهر بينهم في الإمامة ، فتكون الإمامية الفرقة الناجية .

وكيف لا ، وقد ركبوا فلك النجاة الجارية ، وتعلقوا بأسباب النجوم الثابتة والسايرة ، فهم والله أهل المناصب العالية ، وأولوا الأمر والمراتب السامية ، وهم غداً في عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ ، ويقال لهم: كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ . والصلاة والسلام على الشمس المشرقة والبدور الطالعة في الظلمات الداهية ، محمد المصطفى وعترته الهادية ، صلاة دائمة باقية .

٤- شباهة نصير الدين الطوسي بالسفير الحسين بن روح عليه السلام

نلاحظ شهاً كبيراً بينه وبين السفير أبي القاسم الحسين بن روح عليه السلام ، في عمق الشخصية والمتانة ، وأسلوب العمل . وكذلك في الدقة والتقوى ، وعلاقاتها بحكام عصرهما ، ومكانتهما الجليلة عندهم !

أما السفير الثالث الحسين بن روح عليه السلام فقد أعده الله تعالى لدور عظيم ليكون سفيراً لوليه الأعظم الإمام المهدي أرواحنا فداءه ، ويقوم بما يأمره به من أعمال لم نكتشف الى الآن إلا قليلاً منها ، وقد كتبتُ شيئاً من سيرته في المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام . وأما نصير الدين الطوسي عليه السلام فهو عالم مرجع نابغ ، قدّر له الله تعالى دوراً عظيماً ، أدّاه حسب اجتهاده ظاهراً ، لكنني أحس بأنه كان يتلقى في خطوط عمله توجيهات الإمام المهدي أرواحنا فداءه !

ومن مؤشرات ذلك شهادة العلامة الحلي عليه السلام التي تقدمت في حقه ، قال: «وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية ، وله مصنفات كثيرة في العلوم الحكمية والأحكام الشرعية على مذهب الإمامية ، وكان أشرف من شاهدناه

في الأخلاق ، نور الله ضريحه».

فإن أفعَل التفضيل من العلامة عليه السلام يدل على مقام عالٍ وخاص جداً .

ومن المؤشرات توجيهاً عليه السلام لطالب العلم في كتابه آداب المتعلمين ، بمثل قوله: «ينبغي لطالب العلم أن يفرغ يومه للكتابة والمطالعة والفكر والحفظ فيجد بذلك بركة عظيمة ، وأن يفعل أفعال الخير كالموظبة على الصلاة والصيام في كل أسبوع يوماً أو يومين ، والصدقة ولو بفلس واحد ، ويتجنب عن الشر والخبائث» . (الذريعة: ١/٢٦) .

وكذلك شهادة المحقق الكركي عليه السلام في حقه ، قال في الخراجيات / ٧٤: «ومن تأمل في كثير من أحوال الكبراء من علمائنا السالفين مثل السيد الشريف المرتضى علم الهدى وأعلم المحققين من المتقدمين والمتأخرين: نصير الحق والدين الطوسي ، وبحر العلوم ، ومفتي العراق جمال الملة والدين الحسن بن مطهر ، وغيرهم رضوان الله عليهم ، نظر متأمل منصف، لم يعترضه الشك في أنهم كانوا يسلكون هذا المنهج ويفتحون هذا السبيل، وما كانوا ليدعوا بطون كتبهم إلا ما يعتقدون صحته» . والمكاسب: ٢/٢١٩ .

٥- مدحوا نصير الدين وشدَّ ابن تيمية فاتهمه بالتآمر !

كان نصير الدين الطوسي عليه السلام أسيراً بيد الطاغية هولاكو ، حيث أخذه بعد أن احتل قلاع الإسماعيلية وقتل زعماءها ! فاتهمه ابن تيمية بأن وجوده مع هولاكو يعني أنه دعاه الى غزو بغداد ، وأنه أشار عليه بقتل الخليفة المستعصم !

وخالفه الذهبي وابن كثير ودافعوا عن نصير الدين . قال ابن كثير في النهاية: ١٣/٣١٣: «النصير الطوسي محمد بن عبد الله الطوسي ، كان يقال له المولى

نصير الدين ، ويقال الخواجا نصير الدين ، اشتغل في شيبته وحصل علم الأوائل جيداً ، وصنف في ذلك في علم الكلام وشرح الإشارات لابن سينا ، ووزر لأصحاب قلاع الأتوت من الإسماعيلية ، ثم وزر هولواكو وكان معه في واقعة بغداد ، ومن الناس من يزعم أنه أشار على هولواكو خان بقتل الخليفة فآله أعلم ، وعندي أن هذا لا يصدر من عاقل ولا فاضل ، وقد ذكره بعض البغاددة (أي الخنابلة) فأثنى عليه وقال: كان عاقلاً فاضلاً كريم الأخلاق ، ودفن في مشهد موسى بن جعفر ، في سرداب كان قد أعد للخليفة الناصر لدين الله .

وهو الذي كان قد بنى الرصد بمراغة ، ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من أنواع الفضلاء ، وبنى له فيه قبة عظيمة وجعل فيه كتباً كثيرة جداً ، توفي في بغداد في ثاني عشر ذي الحجة من هذه السنة وله خمس وسبعون سنة ، وله شعر جيد قوي . وأصل اشتغاله على المعين سالم بن بدار بن علي المصري المعتزلي المتشيع ، فترع فيه عروق كثيرة منه حتى أفسد اعتقاده). انتهى.

وقال في النهاية: ٢٨١/١٣: « وفيها (سنة ٦٦٢) قدم نصير الدين الطوسي إلى بغداد من جهة هولواكو ، فنظر في الأوقاف وأحوال البلد ، وأخذ كتباً كثيرة من سائر المدارس وحوها إلى رصده الذي بناه بمراغة ، ثم انحدر إلى واسط والبصرة » .

وكتب آية الله السيد الميلاني بحثاً بعنوان: « الشيخ نصير الدين الطوسي قدس سره وسقوط بغداد ، فَنَدَّ فيه اتهام ابن تيمية ، ومما قاله : « هذا الرجل قد اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزيراً للملاحدة الباطنية الإسماعيلية في الأتوت ، ثم لما

قدم الترك المشركون إلى بلاد المسلمين وجاؤوا إلى بغداد دار الخلافة ، كان هذا منجماً مشيراً لملك الترك المشركين هولاءكو ، أشار عليه بقتل الخليفة وقتل أهل العلم والدين ، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا... وإنه لما بنى الرصد الذي بمراغة على طريقة الصابئة المشركين، كان أبخس الناس نصيباً منه من كان إلى أهل الملل أقرب ، وأوفرهم نصيباً من كان أبعدهم عن الملل ، مثل الصابئة المشركين ومثل المعطلة وسائر المشركين .

ومن المشهور عنه وعن أتباعه الإستهتار بواجبات الإسلام ومحرماته ، لا يحافظون على الفرائض كالصلوات ، ولا ينزعون عن محارم الله من الفواحش والخمر وغير ذلك من المنكرات ، حتى أنهم في شهر رمضان يذكر منهم من إضاعة الصلوات وارتكاب الفواحش وشرب الخمر ما يعرفه أهل الخبرة بهم. وبالجملة فأمر هذا الطوسي وأتباعه عند المسلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ويوصف . ومع هذا فقد قيل: إنه في آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس ، ويشغل بتفسير البغوي وبالفقه ونحو ذلك ، فإن كان قد تاب من الإلحاد ، فالله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات..

ثم استبعد ابن تيمية توبته وقال: لكن هذا حال الرافضة دائماً يعادون أولياء الله المتقين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ويوالون الكفار والمنافقين». (منهاج السنة ٣/ ٤٤٥).

ورد عليه السيد الميلاني بأن اتهامه تعصبً وافتراءً بلا دليل ، واستشهد بنصوص مؤرخين عاصروا سقوط بغداد ، وأولهم ابن الفوطي البغدادي الذي شهد تلك

الحادثة وأسيرَ فيها ، وهو عالم سني حنبلي ، مدحه الذهبي ووصفه بأنه إمام (تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٩٣ ، وابن كثير في النهاية: ١٤/ ١٠٦) وقد أُرْخَّ لسقوط بغداد في كتابه الحوادث الجامعة ، ولم يذكر شيئاً من افتراء ابن تيمية !

ثم قال السيد الميلاني في ابن قيم الجوزية: «لم يتبع ابن تيمية فقط ، بل زاد على ما قال شيخه أشياء أخرى أيضاً.. يقول: نصير الشرك والكفر والإلحاد ، وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هولاءكو ، شفى نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه فعرضهم على السيف حتى شفى إخوانه من الملاحدة ، واشتفى هو فقتل الخليفة المستعصم ، والقضاة والفقهاء والمحدثين.. واستبقى الفلاسفة والمنجمين ، والطبايعيين والسحرة... ورام جعل إشارات إمام الملحد ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر على ذلك ، فقال: هي قرآن الخواص وذلك قرآن العوام ، ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين فلم يتم له الأمر ! وتعلم السحر في آخر الأمر فكان ساحراً يعبد الأصنام ! انتهى .

ثم بيّن السيد الميلاني أن سبب اتهامهم للطوسي بنجاح كتابه (تجريد الاعتقاد) الذي نصر به مذهب التشيع المظلوم ، فهو أول كتاب أصّل بحوث علم الكلام ، وفرض نفسه على الأوساط العلمية والمعاهد ، وصار مرجع البحث والتدريس ، قال: «حينئذ أصبح الآخرون عيالاً على الخواجة نصير الدين الطوسي رحمته الله في علم الكلام والعقائد ، وبتبع كتاب التجريد ألفت كتبهم في العقائد ، وهذا مما يغناظ منه القوم !» ثم نقل إعجاب عدد من علمائهم بالمحقق الطوسي رحمته الله .

أقول: من تناقضات ابن القيم أنه في شرح قصيدته: ١/ ٢٤٥ ، لخص ترجمة نصير

الدين الطوسي عليه السلام من تاريخ ابن شاکر ، ومدحه مدحاً قوياً ، فقد جاء فيه : « وأما النصير الطوسي فهو محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي صاحب الرياضي والرصد ، كان رأساً في علم الأوائل لا سيما في الأرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار .. وكان حسن الصورة سمحاً كريماً جواداً حليماً حسن العشرة غزير الفضائل ، واختصر المحصل للإمام فخر الدين وهذبه وزاد فيه ، وشرح الإشارات ورد على الإمام فخر الدين في شرحه وقال : هذا جرح وما هو بشرح ! وقال فيه : حررته في عشرين سنة وناقض فخر الدين كثيراً ومن تصانيفه التجريد في المنطق ، وأوصاف الأشراف ، وقواعد العقائد والتلخيص في علم الكلام ، وشرح كتاب ثمره بطليموس ، وكتاب المجسطي ، وشرح مسألة العلم ورسالة الإمامة ، ورسالة إلى نجم الدين الكاتبي في إثبات الواجب ، وحواش على كليات القانون ، وغير ذلك » . انتهى .

وكلام ابن القيم في تلخيصه أقوى مما لو نقل كلام آخرين ، وأقوى من نقله لاثامات شيخه ابن تيمية ، لأنه لم يتبن ذلك وتركه على عهدة شيخه .

أما الذهبي فخالف اتهامات ابن تيمية ، قال السيد الأمين في : الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي / ١٢٩ : « حتى الذهبي وهو في العصبية مع ابن تيمية قرّسا رهان ، لم يستطع أن يدعي هذه الدعوى على الطوسي فقال في كتابه سير أعلام النبلاء : ٢٣ / ١٨١ : « فضرب (هولاكو) أعناق الكل ورفس المستعصم حتى تلف » . وقال في / ١٨٢ : « ثم جرت له (هولاكو) محاورة معه وأمر به وبابنه أبي بكر فرفسا حتى ماتا » . وحسبنا أن يكون المكذب لابن تيمية هو الذهبي ! انتهى .

أقول: ترجم الذهبي لنصير الدين الطوسي رحمته فنقل في تاريخه: ٥٠/١١٣، مديحاً كثيراً فيه ولم يتهمه، قال: « محمد بن محمد بن حسن الشيخ نصير الدين أبو عبد الله الطوسي، الفيلسوف، كان رأساً في علم الأوائل، لا سيما معرفة الرياضي وصناعة الأرصاد، فإنه فاق بذلك على الكبار، قرأ على المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي الرافضي وغيره، وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هؤلاء وكان بطيعة فيما يشير به، والأموال في تصريفه، وابتنى بمدينة مراغة قبة ورصداً عظيماً، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة عالية فسيحة الأرجاء، وملاها بالكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، حتى تجمع فيها زيادة على أربعمئة ألف مجلد. وقرر للرصد المنجمين والفلاسفة والفضلاء وجعل لهم الجامكية (الرواتب) وكان سمحاً جواداً حليماً حسن العشرة، غزير الفضائل جليل القدر، لكنه على مذهب الأوائل في كثير من الأصول نسأل الله الهدى والسداد. توفي في ذي الحجة ببغداد وقد نيف على الثمانين ويعرف بخواجه نصير. قال الظهير الكازروني: مات المخدم خواجه نصير الدين أبو جعفر الطوسي في سابع عشري ذي الحجة، وشيعه خلّاق وصاحب الديوان والكبراء ودفن بمشهد الكاظم. وكان مليح الصورة جميل الأفعال، مهيباً، عالماً، متقدماً سهل الأخلاق، متواضعاً، كريم الطباع، محتسلاً، يشتغل إلى قريب الظهر. ثم طول الكازروني ترجمته وفيها تواضعه وحلمه وفتوته.

ثم رأيت في تاريخ تاج الدين الفزاري: حدثني شمس الدين الأيكي أن النصير تمكن إلى الغاية، والناس كلهم من تحت تصرفه. وكان حسن الشكل فصيحاً

خبيراً بجميع العلوم . كان يقول: اتفق المحققون على أن علم الكلام قليل الفائدة ، وأقل المصنفات فيه فائدة كتب فخر الدين ، وأكثرها تخليطاً كتاب المحصل . قال: وأقيمت مع شيخنا النصير سبع سنين ، وصنّف كتباً عدة ، ومولده بطوس يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى سنة ٥٩٧ هـ . انتهى .

كما نقل الذهبي في تاريخه: ٤٩ / ١٨٠ ، رأي الظهير الكازروني البغدادي ، وهو من كبار علماء الحنابلة ، إسلام هولاكو ، وشكك فيه ، لكنه احتمله احتمالاً ضعيفاً ، قال: «فلو أئني على هولاكو بكل لسان لاعترف المثني بأنه مات على ملة آبائه وبأنه سفك دم ألف ألف أو يزيدون ، فإن كان الله تعالى مع هذا وفقه للإسلام فيا سعادته ، لكن متى يصح ذلك ، والله أعلم » . انتهى .

أقول: سبب احتماله إسلام هولاكو أن الظهير الكازروني الثقة أخبره أنه أسلم من أجل امرأة ! فهو يريد من يؤيد كلامه ليحكم بإسلام هولاكو وسعادته ! حيث يغفر الله له جرائمه وسفكه لدماء مليون مسلم بتلفظه بالشهادتين !

وليت الذهبي يعامل من يخالفه في الرأي بهذا اللين الذي عامل به هولاكو !

٦- نصير الدين الطوسي رحمته الله يلين الطاغية هولاكو وأولاده

«قال الشيخ عبد المتعال الصعيدي وهو أزهرى: «استطاع نصير الدين الطوسي أن يهزم بالعقل والعلم الدولة الطاغية الباغية ، وأن تنجح خططه في تحويل المغول من وثنيين إلى مسلمين» . (مستدركات أعيان الشيعة: ١/٢٢٩).

وقال الكتبي في فوات الوفيات: ٢/ ٥٨٠: «قال الظهير الكازروني: حكى النجم أحمد بن البواب النقاش نزيل مراغة قال: عزم هولاكو على زواج بنت ملك الكرج فأبى حتى يسلم ، فقال: عرفوني ما أقول؟ فعرضوا عليه الشهاداتين فأقر بهما ، وشهد عليه بذلك خواجا نصير الدين الطوسي ، وفخر الدين المنجم ، فلما بلغها ذلك أجابت ، فحضر القاضي فخر الدين الخلاطي ، وتوكل لها النصير الطوسي وهولاكو الفخر المنجم ، وعقدوا العقد باسم ماما خاتون بنت الملك داود إيواني على ثلاثين ألف دينار ! قال ابن البواب: وأنا كتبت الكتاب في ثوب أطلس أبيض» .

وقال السيد الأمين في: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي/ ٢٩٤: « ولكن الذي استطاع أن يروض شارب الدماء ، وأن يستغل الجبار الطاغية فيقيم تحت سمعه وبصره مكتبة الإسلام ، ويشيّد مدرسة الإسلام ، ويقيم مجمع علماء الإسلام ، سيستطيع بإخلاصه وإيمانه اللذين لاحد لهما ، ويعقله الكبير وفكره المنظم وتدبيره الحازم ، سيستطيع أن يُشرب قلوب المغول الميل إلى الإسلام ، ثم اعتناق الإسلام . فأعد لهذه المرحلة الحاسمة جماعات واعية تحسن التخطيط

والتنفيذ ، كان في الطليعة منها: آل الجويني الذين نشأوا على حب أهل البيت عليهم السلام ، وما يبعثه هذا الحب من إخلاص وحمة ونضال وتفاني في سبيل الإسلام . ثم في النهاية أسلم المغول على يدي تلاميذ الطوسي ، ونجح خطط الطوسي نجاحه الأكبر ! انتهى.

أما أولاد هولاء فآخبار إسلامهم مؤكدة ، فقد عدَّ في الذريعة: ١٨١ / ٢٤ ، لنصير الدين كتاب: «نصيحة أباقا خان بن هولاء خان ، كتبه الخواجة نصير الطوسي لأباقا خان بعد موت أبيه وإبائه عن تحمل مسؤولية السلطنة ، ورَدَ بتأمله في روضة الصفا .» وهو يكشف عن تأثير الطوسي عليه السلام على أولاد هولاء أيضاً .

وذكر الذهبي في تاريخه: ٤٧ / ٤٥٤ ، و: ٤٩ / ١٨٣ ، و: ٥٢ / ٣٧ ، والتبريزي في مرآة الكتب/ ١٤٢ ، إسلام قازان خان على يد إبراهيم الحموي الجويني ، تلميذ نصير الدين ومؤلف: فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين عليهم السلام .

كما أورد الذهبي في تاريخه: ٥٢ / ٧٥: نسخة كتاب لقازان يعلن فيها إسلامه ، ويرر هجومه على بلاد الشام ومصر ، جاء فيه: «بقوة الله تعالى: ليعلم أمراء التومان والألف والمائة وعموم عساكرنا من المغول والتازيكا والأرمن والكرج وغيرهم ممن هو داخل تحت طاعتنا ، أن الله لما نور قلوبنا بنور الإسلام وهدانا إلى ملة النبي صلى الله عليه وآله: أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.. ولما سمعنا أن حكام مصر والشام خارجون عن طرائق الدين ، غير متمسكين بأحكام الإسلام ناقضون لعهودهم.. الخ.» وذكر في/ ٨٠ ، احتلال قازان للشام والخطبة له في مسجددها .

كما وصف الوافي: ١٢٦/٢٠ ، دخوله الى المدرسة المستنصرية فقال: « فلما أتى غازان المستنصرية احتفل الناس له واجتمع بالمدرسة أعيان بغداد وأكابرها ، من القضاة والعلماء والعظماء ، وفيهم الشيخ زين الدين الأمدى لتلقي غازان... فحين وضع يده في يده نهض له قائماً وقبل يده وعظم ملتقاه والإحتفال به وأعظم الدعاء له باللسان المغلى ثم بالتركي ثم الفارسي ثم بالرومي ثم بالعربي ورفع به صوته إعلاماً للناس ، فعجب السلطان من فطنته وذكائه وحدة ذهنه مع ضرره (كان أعمى) ! ثم إن السلطان خلع عليه في الحال ، ووهبه مالاً ورسم له بمرتب في كل شهر ثلاث مائة درهم ».

أقول: مهما يكن إسلام قادة المغول وجنودهم سياسياً ، أو مخلوطاً برواسبهم الوثنية ، لكنه كان البداية ، حتى أسلم كثير منهم ، وحسن إسلام بعضهم ! ويبقى العمل الأهم: تليين أذهانهم وقلوبهم للإسلام ، وهو ما قام به نصير الدين الطوسي رحمته الله وتلاميذه الأفاضل العلامة الحلي رحمته الله وآل الحموي والجويني .

خطة نصير الدين عليه السلام لرد غزو المغول

١- العلم والعمران وحرية المذاهب ورعاية الكوادر

اعتمد المرجع نصير الدين الطوسي عليه السلام أسلوباً فريداً في رد غزو المغول والنهوض بالأمة ثقافياً وعمرانياً ، فعمل بنفسه مع أعلى مراكز القرار ، كما بحث عن الطاقات القابلة للنبوغ في كل المجالات ، ومن أي مذهب كانت ، ونماها وأطلقها في الأمة ! وهذا يشبه عمل الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، ومن تأمل عملهم عليهم السلام لا يستبعد أن يكون موجهاً وملهماً .

كان عليه السلام يبحث باستمرار عن الشخصيات النابغة ، فعندما عاد من زيارته للحلة سئل عما رأى فيها؟ فقال: (رأيت خريئاً ماهراً ، وعالمًا إذا جاهد فاق) ، يقصد المحقق الحلي ، والعلامة الحلي الذي كان عمره يومذاك بضع عشرة سنة ! وعندما وجد محمد الجويني وأولاده تبناهم ودعمهم عند هولاكو ، وحماهم من غضبه وبطشه ، حتى كانوا وزراءه وحكام العراق لأكثر من عشرين سنة ، فأعادوا عمرانهم بأحسن مما كان في زمن الخلافة العباسية !

وعندما رأى الغلام ابن القوطي بيد المغول ، خلصه منهم ، وعلمه ووظفه !
وعندما رأى المشايخ آل الحموي ، قوّى موقعهم عند هولاء وأولاده ، فكان
إسلام عدد من شخصيات المغول على أيديهم !

وكم اختار من أطباء ومهندسين وفلكيين وسياسيين ، وكان يرسل مبعوثيه
وهديته المناسبة الى أحدهم ، ولو كان في قطر بعيد ، ويطلب منه الحضور معززاً
مكرماً ، ويوفر له لوازم معيشته ، ويفتح له أبواب العلم والعمل ! وكم جاء
بنواغ في العلوم من أقاصي البلاد ومن القرى والرساتيق !

رووا أن قطب الدين الشيرازي محمود بن مسعود وصل الى مستوى خليفة
نصير الدين في الطب : « كان من كبار تلامذة النصير الطوسي وكان مبعجلاً عند
التتار وجيهاً متواضعاً حليماً » . (الدرر الكامنة: ١١٨/٢)

وقال في: ١٠٠/٦: « محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي قطب الدين الشيرازي
الشافعي العلامة ، ولد في شيراز سنة ٦٣٤ ، وكان أبوه طبيباً فقراً عليه وعلى عمه
وعلى الزكي البركشائي والشمس الكتبي ، ورُتّب طبيباً بالمرستان وهو شاب ،
ثم سافر إلى النصير الطوسي فقراً عليه الهيئة وبحث عليه الإشارات وبرع .

قال له أبغا بن هلاوو (هولاءو): أنت أفضل تلامذة النصير وقد كبر ، فاجتهد أن
لا يفوتك شئ من علومه ، فقال له: قد فعلت وما بقي لي به حاجة ، ثم دخل
الروم فأكرمه صاحبها وولي قضاء سيواس وملطية ، وقيدّم الشام رسولاً من
جهة أحمد ، ثم أكرمه أرغون ، وسكن تبريز وأقرأ بها العلوم العقلية ، وحدث
بجامع الأصول .. وكان دخله في العام ثلاثين ألفاً ، فكان لا يدخر منها شيئاً بل

ينفقه على تلامذته.. وكان غازان يعظمه ويعطيه ، وكان كثير الشفاعات.. قال الذهبي قيل كان في الإعتقاد على دين العجائز وكان يخضع للفقهاء.. ومات في ٢٤ رمضان سنة ٧١٠ هـ. ونحوه البدر الطالع: ٢/ ٢٩٩، والوافي: ٣٦/ ١٢، وفيه: وكان وافر الجلالة عند التتار وله عليهم إدارات جيدة .

وفي نهاية ابن كثير: ١٣/ ٣٥٠، أن أحمد بن هولاء أرسله سنة ٦٨١ في وفد الى ملك مصر قلاوون: «يطلب منه المصالحة وحقن الدماء فيما بينهم، وجاء في الرسالة الشيخ قطب الدين الشيرازي أحد تلامذة النصير الطوسي، فأجاب المنصور إلى ذلك». وفي النجوم الزاهرة: ٩/ ٢١٣: «وتولى قضاء بلاد الروم ولم يباشر القضاء ، ولكن كانت نوابه تحكم في البلاد ، وكان معظماً عند ملوك التتار ، وكان من تلامذة النصير الطوسي » .

وذكروا أن نصير الدين عليه السلام اعتمد على أربعة حكماء في مرصد مراغة وجامعتها هم: «فخر الدين الخلاطي ، وفخر الدين محمد بن عبد الملك المراغي ، ومؤيد الدين العرضي ، ونجم الدين القزويني ، وهم الذين اختارهم نصير الدين ، وأنفذ السلطان في طلبهم » . (أعيان الشيعة: ٩/ ٤١٨) .

وفي الوافي: ١/ ١٥٠: «قال شمس الدين الجزري: قال حسن بن أحمد الحكيم صاحبنا: سافرت إلى مراغة وتفرجت في هذا الرصد ، ومتولى صدر الدين علي بن الخواجه نصير الدين الطوسي ، وكان شاباً فاضلاً في التنجيم والشعر بالفارسية ، وصادفت شمس الدين محمد بن المؤيد العرضي ، وشمس الدين الشرواني ، والشيخ كمال الدين الأيكي ، وحسام الدين الشامي ، فرأيت فيه من

آلات الرصد شيئاً كثيراً ، منها ذات الحلق وهي خمس دوائر متخذة من نحاس : الأولى دائرة نصف النهار ، وهي مركوزة على الأرض ، ودائرة معدل النهار ، ودائرة منطقة البروج ، ودائرة العرض ، ودائرة الميل ، ورأيت الدائرة الشمسية يعرف بها سمت الكواكب ، واصطربلاً تكون سعة قطره ذراعاً ، واصطربلابات كثيرة وكتباً كثيرة .

قال : وأخبرني شمس الدين ابن العرضي أن نصير الدين أخذ من هولاء بسبب عمارة هذا الرصد ما لا يحصىه إلا الله ، وأقل ما كان يأخذ بعد فراغ الرصد لأجل الآلات وإصلاحها عشرون ألف دينار ، خارجاً عن الجوامك والرواتب التي للحكماء والقومة . وقال الخواجه نصير الدين في (كتاب الزيج الإيلخاني : إنني جمعت لبناء الرصد جماعة من الحكماء ، منهم المؤيد العرضي من دمشق ، والفخر المراغي الذي كان بالموصل ، والفخر الخلاطي الذي كان بتفليس ، والنجم ديران القزويني ، وابتدأنا ببنائه في سنة سبع وخمسين وست مائة ، في جمادى الأولى بمراغة » .

وقال ابن العربي في تاريخ مختصر الدول/ ٢٥٦ : « وفي هذا التاريخ توفي خواجه نصير الدين الطوسي ، الفيلسوف صاحب الرصد بمدينة مراغة ، حكيم عظيم الشأن في جميع فنون الحكمة . واجتمع إليه في الرصد جماعة من الفضلاء المهندسين . وكان من الفضلاء في زمانه نجم الدين القزويني ، منطقي عظيم صاحب كتاب العين ، ومؤيد الدين العرضي ، وفخر الدين المراغي ، وقطب الدين الشيرازي ، ومحيي الدين المغربي .

ومن الأطباء المشهورين: فخر الدين الأختلطي ، وتقي الدين الحشاشي ، واشتهر هذا في عمل الترياق شهرة عظيمة وإن لم يكن من الأطباء المشتغلين المشهورين ، وبسفاهته استظهر على باقي الأطباء في هذا الزمان ، وبينهم نفيس الدين بن طليب الدمشقي ، وولده صفي الدين النصراي الملكي .

وفي طرائف المقال: ٤٤٨/٢: «وكان من أعوانه على الرصد من العلماء وتلاميذه جماعة ، أرسل إليهم الملك هلاكو خان وأمر بإحضارهم منهم العالم الأعلم العلامة قطب الدين محمود الشيرازي صاحب شرف الأشراف والكرامات.. ومنهم مؤيد الدين العروضي الدمشقي، وكان متبحراً في الهندسة وآلات الرصد توفي بمراغة فجأة في سنة أربع وسبع مائة . ومنهم فخر الدين كان طبيباً فاضلاً حاذقاً . ومنهم نجم الدين القزويني ، وكان فاضلاً في الحكمة والكلام . ومنهم محي الدين الأختلطي ، وكان فاضلاً مهندساً في العلوم الرياضية . ومنهم محي الدين المغربي، وكان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية وأعمال الرصد . ومنهم نجم الدين الكاتب البغدادى وكان فاضلاً في أجزاء الرياض والهندسة وعلم الرصد كاتباً مصوراً ، وكان أحسن الخلائق خلقاً .

٢- خادمه النابغة عبد الرزاق الفوطي ، شيط الذهبي

عندما سقطت بغداد ودخلها المغول وعاثوا فيها نهباً ، أخذوا فيها أخذوا صبياً في نحو العاشرة من عمره ، هو عبد الرزاق بن الفوطي . وفي سنة ٦٦٠ ، رآه نصير الدين الطوسي عليه السلام في مراغة فتوسم فيه النبوغ فخلصه من عبودية المغول ،

واتخذته تلميذاً ومساعداً ، ثم جعله أميناً على مكتبة المرصد ، فصار خبيراً بالكتب ومؤلفيها ، ثم أعطاه لمحمد الجويني وزير هولاءكو فوظفه عنده . وعندما نصب هولاءكو ابنه علاء الدين الجويني (عطا الملك) حاكماً على العراق ، أعاد ابن الفوطي معه الى بغداد سنة ٦٧٩ ، وجعله أميناً على مكتبة المستنصرية وسر له حياته فكان لابن الفوطي دورٌ ثقافي واسع ، حتى بلغت مؤلفاته مئة مجلد .

وكتب عن شخصية الفوطي مؤرخان معاصران هما الدكتور محمد رضا الشيبلي في محاضرة موسعة بعنوان مؤرخ العراق ابن الفوطي، والدكتور مصطفى جواد ، بنفس العنوان . (المجمع العلمي العراقي: ١٣٧٨/٦).

وقد عده الحنابلة منهم ، فقال ابن العماد في شذرات الذهب: ٦٠/٣: «مؤرخ الآفاق العالم المتكلم كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي المعالي محمد بن محمود بن أحمد بن محمد بن أبي المعالي الفضل بن العباس بن عبد الله بن معن بن زائدة الشيباني ، المروزي الأصل البغدادي الإخباري ، الكاتب المؤرخ ، الحنبلي ، ابن الصابوني ، ويعرف بابن الفوطي محرراً نسبة إلى بيع القوط ، وكان الفوطي المنسوب إليه جده لأمه ، ولد في سابع عشر محرم سنة اثنتين وأربعين وست مائة ، بدار الخلافة من بغداد وسمع بها من صاحب محي الدين بن الجوزي، ثم أسر في واقعة بغداد وخلصه النصير الطوسي الفيلسوف» .

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ: ١٤٩٣/٤: «ابن الفوطي ، العالم البارع المتفنن المحدث المفيد ، مؤرخ الآفاق، مفخر أهل العراق... وأسّر في الواقعة وهو حدث ثم صار إلى أستاذه ومعلمه خواجا نصير الطوسي في سنة ستين وست مائة،

فأخذ عنه علوم الأوائل.. وله ذكاء مفرط وخط منسوب رشيق، وفضائل كثيرة» وقال في تاريخه: ٥١/ ٧٧: «قرأت بخط الفوطي: توفي رئيس الأصحاب شيخنا جلال الدين الحنبلي مدرس المستنصرية في شعبان». انتهى.

ونسبة ابن الفوطي الى الشيبانيين لأنه مولا هم ، فقد نصت المصادر على أن أصله من مرو خراسان ، ونسبه السيد المرعشي الى بخارى فقال في شرح إحقاق الحق: ١٧/ ٢٠٩: «عبد الرزاق كمال الدين بن أحمد البخاري الشهير بابن الفوطي». وعده صاحب أعيان الشيعة: ٣/ ٤٣٧، من الشيعة مستدلاً بقراءته كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام على مؤلفه ابن عيسى الإربلي ، قال: «وفي هذا من الدلالة على تشيع ابن الفوطي ما لا يخفى ، وهناك ما هو أصرح منه ذكرناه في ترجمته». لكن ذلك ليس دليلاً على تشيع ابن الفوطي ، فقد كان الإربلي عليه السلام عالماً كاتباً كبيراً في ديوان الدولة ، وكان يأتي الى مكتبة المستنصرية ومديرها ابن الفوطي ، فقراءته عليه فيها اعتبار معنوي لابن الفوطي ، وكون الكتاب في سيرة الأئمة عليهم السلام ، لا يدل على موافقته على مذهب مؤلفه .

وقال صاحب الذريعة عليه السلام: ٤/ ٤٢٦ و ٣/ ٢٢٥: «المحدث المؤرخ الإخباري المروزي المعروف بابن الفوطي.. استظهر تشيعه الفاضل العارف في مجلة العرفان وكذلك الفاضل الشيبيني في محاضرته المطبوعة ١٣٥٩، وغيرهما من المعاصرين ، ويشهد بذلك بعض كلماته في الحوادث الجامعة، واتصاله بعلماء الشيعة ، وتلمذه على مثل الخواجة نصير الدين الطوسي سنين وشدة عنايته به».

وقال في الذريعة: ٧/ ٩٤: «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة..

طبع بعضه في بغداد في ١٣٥١، وهو من سنة ٦٢٦ إلى ٧٠٠، وطبع في أوله مقدمة الشيخ محمد رضا الشيببي ومصطفى جواد البغدادي، وقد استظهر ثانيهما كون المؤلف شافعيًا، لكن الحق ما استظهر في مجلة العرفان من وجود آثار تشيعه في خلال تصانيفه، ومال إليه الشيببي في المحاضرة التاريخية التي ألقاها في بغداد ١٣٥٩، وطبعت في تلك السنة، وبسط من ترجمه قديماً الذهبي في تذكرة الحفاظ: ٢٨٤/٤، ولم يدع الواقعة فيه كما هو ديدنه في كل شيعي، لكنه احتمل أن يصير سماعه للحديث وكتابته له كفارة عن خطاياه، وأعظم خطاياه في نظر الذهبي ملازمته الكثيرة لخدمة رئيس الشيعة الخواجة نصير الدين الطوسي ثلاثة عشر عاماً، وروايته عن مشايخهم الكبار مثل السيد عبد الكريم بن طاوس، الذي كتب لخدمته الدر النظيم فيمن سمى بعبد الكريم، واتصاله بالوزير الجويني ومبالغته في تقريظ هؤلاء، الذين عبر عنهم الذهبي بالمغل وأتباع المغل»

أقول: الأدلة التي ذكروها لا تكفي لإثبات تشيع ابن الفوطي، وهو حنبلي بحكم نشأته في بغداد، لكنه حنبلي معتدل بحكم تربيته في أجواء الشيعة، خاصة تلمذه على صاحب الخلق الرفيع المرجع نصير الدين قلنج، وتلميذه ابن الجويني رحمته الله. وهو دليل على الحرية المذهبية في الحكم الشيعي، بعكس غيره!

وابن الفوطي من جهة أخرى نموذجٌ من خطة المرجع نصير الدين قلنج في انتقاء الطاقات ولو كانت من مذهب آخر، وتنميتها وإطلاقها في الدولة المغولية ومساعدتها لتأخذ مجراها في مكافحة الغزو المغولي، وترسيخ الثقافة الإسلامية! وهو دليلٌ على قدرة المذهب الشيعي على تشجيع أتباع المذاهب على الإنفتاح وعدم

التعصب كما نرى في ابن الفوطي ، وكما نرى في الجوينيين والحمويين الذين كانوا منفتحين على المذاهب السنية حتى أنهم يعدونهم منهم ، بينما هم شيعة .

٢- شيوخ الصوفية سعد الدين بن حمويه وأولاده

ترجع علاقة المغول بالحمويين الى الصوفي الأسطورة سعيد بن المطهر الباخري ، الذي كان يسكن في منطقة بخارى ويعتقد به المسلمون ، ويحترمه جنكيز خان وابنه هولاكو! وهذه خلاصة ترجمته من سير أعلام الذهبي: ٣٦٣/٢٣: «الباخري ، الإمام القدوة شيخ خراسان سيف الدين أبو المعالي سعيد بن المطهر بن سعيد بن علي القاندي الباخري نزيل بخارى . كان إماماً محدثاً ورعاً زاهداً تقياً أثرياً منقطع القرين بعيد الصيت ، له وقع في القلوب ومهابة في النفوس.. وقد ذكره في معجم الألقاب ابن الفوطي فقال فيه: هو المحدث الحافظ الزاهد الواعظ ، كان شيخاً بهياً عارفاً تقياً فصيحاً ، كلماته كالدر.. وانتشر صيته بين المسلمين والكفار.. ولد ببخارى وهي ولاية بين نيسابور وهرات قصبتها مالين... وعرف الشيخ بين التتار (بالغ شيخ) يعني الشيخ الكبير وبذلك كان يعرفه هولاكو... وكان المستعصم يهدي من بغداد إلى الباخري التحف ، من ذلك مصحف بخط الإمام علي ، وكان مظفر الدين أبو بكر بن سعد صاحب شیراز يهدي إلى الشيخ في السنة ألف دينار ، وأنفذ له لؤلؤ صاحب الموصل (ابن خلدون: ٥٤٧/٥) ، وأهدت له ملكة بنت أزيك بن البهلوان صاحب أذربيجان سنً النبي (ص) الذي كسر يوم أحد (والصحيح أنه لم يكسر - معاني الأخبار/ ٤٠٦) وكان يمنع

التتار من قصد العراق ويفخّم أمر الخليفة.

ومن راسله سلطان الهند ناصر الدين أيبك ، وصاحب السند وملتان غياث الدين بلبان ، قال: وبعث إليه منكوقآن لما جلس على سرير السلطنة بأموال كثيرة وكذلك وزيره برهان الدين مسعود بن محمود يلواج..

وكان إذا جاء إلى الشيخ قبل العتبة ، ووقف حتى يؤذن له ويقول: إن أبي فعل ذلك ، ولأن له هبة في قلوب ملوكنا حتى لو أمرهم بقتلي لما توقفوا ! وامتدحه جماعة منهم سعد الدين بن حمويه ، كتب إليه بأبيات منها:

يا قرّة العين سلّ عيني هل اكتحلّت بمنظر حسن مُدْغِبَتَ عن عيني

ومدحه الصاحب بهاء الدين محمد بن محمد الجويني ، وابنه الصاحب علاء الدين عطا ملك صاحب الديوان . وكان (الباخرزي) إذا رقي المنبر تكلم على الخواطر ، ويستشهد بأبيات منها:

إذا ما تجلّ لي فكُلّي نواظراً وإن هونادني فكلي مَسَامُحُ...

ومنها: وما بيننا إلا المدامة ثالث فيملي ويسقيني وأملي ويشرب !

وأوصى أن يكفن في خرقة شيخه نجم الكبرى.. وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً لم يتخلف أحد ، حُزِرَ العالم بأربع مئة ألف إنسان . انتهى.

وقال الذهبي في تاريخه: ٣٨٧/٤٨: «وخرَجَ لنفسه أربعين حديثاً ، رواها لنا عنه مولاه نافع الهندي... وكان شيخ ما وراء النهر وله جلاله عجيبة ، وعلى يده أسلم سلطان التتار بركة ، وله ترجمة طويلة في سير النبلاء».

وقد انتقلت مشيخة التصوف بعد هذه الشيخ الإمام في منطقة بخارى وما حولها ، الى تلميذه سعد الدين بن حمويه الجويني ، وبعد سعد الدين صار شيخ الطريقة ابنه ابراهيم ، فكان التتار يحترمانها بعد الباخريزي .

والحموي نسبة الى حمويه قرب جوين من ولاية آمل . وقد أراد الله تعالى الخير بإبراهيم ، فصار تلميذاً لنصير الدين عليه السلام وألف كتاب فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين عليهم السلام ، وأسلم على يده عدد من قادة المغول .

قال الذهبي في تاريخه: ٤٧/ ٤٥٤: « الشيخ سعد الدين أبو إبراهيم الجويني الصوفي كان صاحب رياضات وأحوال ، وله كلام في التصوف على طريقة أهل الوحدة . وكان قد حج وأقام بقاسيون يتأله ويتعبد مدة في زاوية له ، ومعه جماعة من الصوفية ، ولهم سمت وجلالة وتعفف ، فلما ضاق به الحال رجع إلى خراسان واجتمع به جماعة من أمراء التتار وأسلم على يده غير واحد منهم ، وبنى بآمل خانكاه ، ورزق القبول التام . ثم زار قبر جدهم القدوة الكبير محمد بن حمويه الجويني بحيراباذ ، من أعمال جوين ، فأقام عنده أسبوعاً وعبر إلى الله تعالى . وهو والد شيخنا صدر الدين إبراهيم ، الذي أسلم على يده قازان » .

وقال في تاريخه: ٥٢/ ٣٧: « وفيها (٦٩٤) دخل الإسلام قازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك التتار ، بوساطة نوروز التركي وزيره ومدبر مملكته وزوج عمته واسم (قازان) بالعربي محمود ، أسلم في شعبان بخراسان على يد الشيخ الكبير المحدث صدر الدين إبراهيم بن الشيخ سعد الدين بن حمويه الجويني . وذلك بقرب الري بعد خروجه من الحمام ، وجلس مجلساً عاماً فتلفظ بشهادة الحق

وهو يتسم ووجهه يستنير ويتهلل ، وكان شاباً أشقر مليحاً ، له إذ ذاك بضع وعشرون سنة . وضع المسلمون حوله عندما أسلم ضجة عظيمة من المُغل والعجم وغيرهم ، ونثر على الخلق الذهب واللؤلؤ ، وكان يوماً مشهوداً ، وفشا الإسلام في جيشه بحرص نوروز فإنه كان مسلماً خيراً صحيح الإسلام ، يحفظ كثيراً من القرآن والرقائق والأذكار . ثم شرع نوروز يُلقنُ الملك غازان شيئاً من القرآن ويجتهد عليه ، ودخل رمضان فصامه ، ولولا هذا القدر الذي حصل له من الإسلام ، وإلا كان قد استباح الشام لما غلب عليه .

وإبراهيم الجويني رحمته الله هذا من شيوخ الذهبي ، قال عنه في تذكرة الحفاظ: ٤/١٥٠٥: «وسمعت من الإمام المحدث الأوحّد الأكمل فخر الإسلام صدر الدين إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الخراساني الجويني شيخ الصوفية . قدم علينا طالب حديث روى لنا عن رجلين من أصحاب المؤيد الطوسي ، وكان شديد الإعناء بالرواية وتحصيل الأجزاء ، حسن القراءة ، مليح الشكل ، مهيباً ديناً صالحاً ، على يده أسلم غازان الملك ، مات سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة ، وله ثمان وسبعون سنة ، رحمه الله تعالى .»

وفي مجلة تراثنا: ١٧/١٠١: «ولد مؤلفنا الحموي في آمل طبرستان ليلة السبت ٢٦ شعبان سنة ٦٤٤ ، في أسرة علمية عريقة ، أسرة علم وحديث وتصوف ومشيخة وصدارة وحشمة منذ القرن الخامس حتى القرن العاشر ، قال الذهبي في المشتبه: بنو حمويه الجويني نالوا المشيخة والإمرة ، وللحموي رحلة واسعة في طلب الحديث ، طوّف البلاد وأدرك المشايخ والأسانيد العالية . وتزوج عام ٦٧١ ، بابنة

علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد صاحب الديوان الجويني ، ملك العراق وحاكمها من قبل هو لاكو ، وكان الصداق خمسة آلاف دينار ذهباً أحمر ! وتوفي الحموي في ٥ محرم سنة ٧٢٢ هـ .

وفي هامش مرآة الكتب / ١٤٦ : « يروي الحموي عن المحقق الطوسي في فرائد السمطين ، ويعبر عنه تارة بالصدر الإمام العلامة نصير الدين أبي جعفر محمد... وأخرى: قدوة الحكماء نصير الدين ، والحكيم العلامة نصير الدين . قال الحموي: أخبرني قدوة الحكماء نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن المشهدي الطوسي تغمده الله برحمته إجازة ، في ذي الحجة سنة اثنين وسبعين وست مائة بمدينة الكوفة » . (أنظر فرائد السمطين: ١/ ١٨ و ٩٧ ، و: ٧٣ / ٢) .

وفي خاتمة المستدرک: ٣٩٦ / ٢ : « الإمام المهام وشيخ المسلمين والإسلام إبراهيم بن الشيخ سعد الدين محمد بن المؤيد أبي بكر بن الشيخ الإمام العارف جمال السنة أبي عبد الله محمد بن حمويه بن محمد الجويني ، المعروف بالحموي وابن حمويه جميعاً ، كان من عظماء علماء العامة ومحدثيهم الحفاظ ، وكذا أبوه وجده . إلى أن قال: ولهذا الشيخ من الكتب المشهورة بين الفريقين كتابه المسمى: بفرايد السمطين... إلى أن قال: وكان في طبقة العلامة ومن عاصره من أجلاء علمائنا رضوان الله تعالى عليهم ، بل وله الرواية في ذلك الكتاب وغيره أيضاً عن الشيخ سديد الدين يوسف بن المطهر والد العلامة ، وعن المحقق الحلي ، وابن عمه يحيى بن سعيد ، وعن ابني طاووس ، والشيخ مفيد الدين بن جهم من كبراء أصحابنا الحليين . وكذا عن الخواجة نصير الدين الطوسي ، والسيد عبد الحميد

بن فخار بن معد الموسوي ، بحق رواياتهم جميعاً عن مشايخهم الثقات الأجلة من فقهاء الشيعة... هذا وله الرواية أيضاً أو لأبيه الشيخ سعد الدين عن الشيخ منتجب الدين صاحب الفهرست .

وذكر له في غاية المرام: ٢/ ٢٨٧، حديثاً مسنداً بتفصيل وتعظيم في فضل ولاية علي عليه السلام عن شيخه جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر بن طاوس الحسيني ، قراءة عليه بداره بمحلة عجلان بالحلة السيفية المزيدية ، يوم الخميس ثاني عشر ذي قعدة ، سنة إحدى وسبعين وستمائة .. وشرح إحقاق الحق: ٥/ ١٠٢.

وذكر في مرآة الكتب/ ١٤٢، تشرف غازان خان بقبول دين الإسلام في رابع شهر شعبان سنة أربع وتسعين وست مائة ، بحضور الشيخ صدر الدين إبراهيم بن الشيخ سعد الدين الحموي.. وقال عن الحموي: «كان من عظماء علماء العامة ومحدثيهم الحفاظ ، وكذا أبوه وجده ، بل وكثير من سلسلة نسبة الحمويين».

قال في الروضات: «لهذا الشيخ من الكتب المشهورة بين الفريقين كتابه المسمى بفرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين عليهم السلام ، عندنا منه نسخة تزيد على عشرة آلاف بيت ، يَبْدُ أن أكثرها أسانيد... إلى أن قال: وكان في طبقة العلامة ومن عاصره ، بل وله الرواية في هذا الكتاب وغيره أيضاً عن الشيخ سديد الدين يوسف بن المطهر والد العلامة ، وعن المحقق الحلي ، وابن عمه يحيى بن سعيد ، وعن ابني طاووس ، وعن الشيخ مفيد الدين بن جهم من كبراء أصحابنا الحلين ، وكذا عن الخواجة نصير الدين الطوسي ، والسيد عبد الحميد بن فخار بن معد الموسوي ، بحق رواياتهم جميعاً عن مشايخهم الثقات الأجلة

من فقهاء الشيعة . ولذا اشتبه الأمر على صاحب الرياض حيث ذهب إلى تشيعه أو لما ظفر به في تضاعيف كتابه من أحاديث الوصية والتفضيل ، وسائر أخبار الإرتفاع التي قلَّ ما يوجد مثلها في شيء من كتب العامة ، غافلاً عما قد اشتمل عليه وتضمنه من النص على خلافة الثلاثة ، والإشارة إلى فضائلهم . انتهى .

أقول: سبب اختيار نصير الدين لآل حُويَّة أنهم أقرب الناس إلى قلوب المغول ، فهم مشيخة التصوف حيث ورثوها من الباخرزي الذي يعتقد المغول أنه ولي الله ويسمونه (بالغ شيخ) أي الشيخ الكبير .

ومن هذا تفهم لماذا تبرك قازان بلبس جبة والد الشيخ إبراهيم عندما أسلم . وقد كان وجهاً في العالم الإسلامي ، وامتد نشاطه من حدود الصين إلى الشام ومصر ، فقد ورد ذكر بعض آل حمويه في مصر ، حيث ترجم ابن حجر في إنباء الغمر/ ٧٦ ، للمؤيد بن حُويَّة ولقبه علاء الدين الجويني ، المعروف بالشيخ زادة شيخ الشμισاطية ، وأنه استعاد المشيخة بعد أن أخذها البدر بن جماعة وغيره . وترجم الذهبي لبعضهم في تاريخه: ٤٥ / ١٦٠ .

والشيخ إبراهيم بن حُويَّة من شيوخ الذهبي ، وقد يكون من شيوخ ابن تيمية . أما تشيعه فيكفي دليلاً عليه أن أحمد بن طاووس عليه السلام أخاه ، يعني عاهده على أنه إذا قدر له أن يدخل الجنة لا يدخلها إلا معه . ثم كتابه الذي يروي فيه أفضلية أهل البيت عليهم السلام على جميع الصحابة ، وهو مذهب الشيعة ، ولا ينافيه أنه ذكر فيه فضائل لغيرهم ، تقية ، أو قبل استبصاره عليه السلام .

٤- الدولة العصرية التي أقامها نصير الدين الطوسي عليه السلام

اصطحب هولاءكو عندما غزا قلاع الإسماعيليين في شمال إيران ، عدداً من الشخصيات السنية منهم محمد الجويني وأخوه علاء الدين . (أعيان الشيعة: ٩١/٩).

«شهد علاء الدين الجويني مع هولاءكو فتح قلاع النزاريين وعني بوصف ما جرى هناك وصفاً تاريخياً ممتعاً في كتابه الذي ألفه بالفارسية وسماه (جهان كشا) قائلاً: كنت أعرف بأن هناك خزانة كتب ثمينة طبقت شهرتها الآفاق ، وقلت يحسن انتهاز الفرصة للإطلاع على هذه الخزانة فوافق هولاءكو فوراً ، وزرت الخزانة وانتقيت أنفس ما فيها من المصاحف والكتب وأخرجتها كما يخرج الحي من الميت ، وحملت محتوياتها من آلات الرصد ، كذات الكرسي وذات الحلق ، إلى أنواع من الأسطرلابات التامة والمنصفة وذات الشعاع» (الإسماعيليون والمغول/١٣٦).

«وكان هولاءكو اتخذ تبريز عاصمة له واستوزر محمد الجويني صاحب الديوان وعندما توفي محمد الجويني سنة ٦٦١هـ ، نصب ابنه علاء مكانه وجعل أخاه محمد بن محمد وزيراً له » . (النجاة لابن ميثم البحراني/١٣).

وروى الصفدي في الوافي: ١/١٤٧ ، والكتبي في الفوات: ٢/٢٥٢ ، أن هولاءكو غضب على علاء الدين الجويني وأمر بقتله ، وكانوا على وشك التنفيذ ، فهرع أخوه الى المرجع نصير الدين الطوسي عليه السلام وكان هولاءكو محتجباً فاحتال الطوسي فحمل مَبْخَرَةً ودخل عليه وحمد الله على سلامته ، وأخبره أن النجوم تدل على أن شراً كان سينزل به ! وحمله على أن يصدر أمراً بالعفو عن جميع المحكوم عليهم بالقتل في مملكته ، فأصدر أمره بالعفو وشمل ابن الجويني !

لكن روايتهم لطريقة نصير الدين قلاوون في التأثير على هلاكو لاتتناسب مع شخصيته ، لكن القصة تدل على أنه كانت له دالة على هولاكو ، وأنه كان حريصاً على تقوية موقع الجوينيين في الدولة المغولية ، لأن الكفاءة العلمية والإدارية كانت عنده أعلى شئ .

وقد استطاع المرجع النابغة رحمته الله أن يقنع هولاكو بعدم مباشرة حكم العراق والإكتفاء بقوات مغولية رمزية في معسكراتها كانوا يسمونها (الشحنات) ، واختار له آل الجويني لحكم العراق وإعماره ، واستصدر مرسومهم من هولاكو. وآل الجويني من ذرية الفضل بن الربيع وزير المأمون ، واشتهر منهم شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجويني ، وكان وزيراً لخوارزم شاه . وأخوه علاء الدين الملقب عطا ملك ، وأولاد علاء الدين . وعلي بن محمد الله الجويني الذي استوزره السلطان طغرل بك والي خراسان قبل غزو المغول . (الكامل: ٥٢٦/٩).

واشتهر منهم قبل المغول الفقيه أبو المعالي الجويني، الملقب بإمام الحرمين، والمشهور بتعصبه ضد الشيعة والأحناف . وهو الذي أقنع السلطان محمود الغزنوي بترك المذهب الحنفي الى المذهب الشافعي . (تاريخ الذهبي: ٧٢/٢٩).

٥- الجوينيون طبقوا الفكر الشيعي في الحرية والإعمار

المغول والشراكسة من جنس متقارب أو واحد، وثقافتهم وعاداتهم متقاربة ! ومع ذلك نرى أن الشراكسة حكموا مصر مباشرة وتدخلوا في صغار الأمور ! بينما حكم المغول العراق والبلاد التابعة لهم من بعيد ، ولم يتدخلوا إلا في نصب كبار الولاة وعزلهم ، وكان قادتهم وجنودهم غائبين غالباً عن المحافل السياسية والاجتماعية ، بينما كان الشراكسة حاضرين حتى في السوق والقرية !

وقد حققت سياسة المغول مشاركة واسعة لأهل البلاد في حكمها وإدارتها ، كما حققت قدراً كبيراً من الحرية الفكرية والمذهبية ، ضمن الإطار العام الذي يتبناه السلطان .

ولا تفسير لهذا الفرق الأساسي بين المغول والشراكسة إلا تأثير نصير الدين الطوسي رحمته الله ونظرية المذهب الشيعي في الحكم والحرية ! فقد استطاع رحمته الله أن يقنع طاغية المغول بهذا النمط من إدارة البلاد ، ويركز جهده على اختيار (الكوادر) الكفوءة في الحكم والإدارة ، وقد اختار الجوينيين لحكم العراق ، ومع أنهم قُرس لكنهم عرب الثقافة مقبولون عند السنة العراقيين الذين خسروا نظام الخلافة ، ومقبولون عند الشيعة بحكم رعاية المرجع نصير الدين رحمته الله لهم ، وتشيعهم على يده . والأهم أنهم أصحاب كفاءة سياسية وإدارية عالية ، لأنهم من عائلة اجتماعية عريقة هي عائلة الفضل بن الربيع أشهر وزراء المأمون .

ولذا حققوا في العراق في ربع قرن ، ما عجزت عنه الخلافة العباسية في قرنين !

وصرت تقرأ في أي مصدر عن الجوينيين محمد وأولاده شمس الدين وعلاء عطا ملك ، فتجد أنهم أعادوا بناء مدن العراق وقراه وازدهرت على يدهم زراعته وتجارته ، في مدة قياسية ، حتى عاد أفضل مما كان قبل احتلال المغول !

لكن الباحثين لم ينتبهوا الى أن سر نجاحهم هو تطبيقهم لنظرية المذهب الشيعي في الحرية التي رسمها لهم نصير الدين قلايكة !

تقرأ عن اهتمام الجوينيين بالعلم وتشيد المكتبات والمدارس والمستشفيات وخدمة العلماء وطلبة العلم وإكرامهم ، من كل المذاهب .. فتقول إنهم حكام محترفون للإعمار والتنمية ، ولا شأن لهم بالمذهب ؟!

ثم تقرأ أن نصير الدين الطوسي قلايكة ألف كتاب تلخيص المحصل باسم عطا ملك الجويني سنة ٦٦٩هـ ، وهو نقد لعقائد الفخر الرازي المسمى: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين . كما ألف رسالة أوصاف الأشراف بالفارسية ، حول أخلاق العرفاء والزهاد ، لأبيه محمد الجويني . (مستدركات أعيان الشيعة: ١/ ٢٣٣)

وأن علاء الدين الجويني (عطا ملك) كان شاعراً ، وله قصيدة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ، ويبيته يوم الغدير ، وفي مدح المحقق الطوسي قلايكة . (الغدير: ٥/ ٤٣٦) .

وتقرأ زيارتهم لمشاهد الأئمة عليهم السلام في الكاظمين والنجف وكربلاء وسامراء ، واهتمامهم بها وبحوزاتها وعلمائها ، وبمشاريع البنى التحتية فيها ، وأن علاء الدين شق نهراً من الأنبار الى النجف ، ونهراً في كربلاء ، ونهراً في الحلة ، وشيد مدارس للطلاب ومنازل للزوار ، وشجع حركة التأليف وأعطى الجوائز للمؤلفين . وأنه طلب من الشيخ ميثم البحراني عليه السلام فآلف له كتاباً في شرح نهج

البلاغة ، وطلب من الطبري الشيعي المتشدد ، فألف له كتباً في السقيفة وفضائل أهل البيت عليه السلام وظلامتهم . (الذريعة: ٩٥/١٨). فتقول إنه شيعي متعصب !

ثم تقرأ عن خدماته لمعاهد المذاهب السنية ، ورعايته للمدرسة النظامية والمستنصرية ، اللتين أسستا لتعليم المذاهب الأربعة وتخريج القضاة والعلماء ، فأبقاهما على وضعهما ، وحافظ على استمرارهما في عملهما دون مساس أو تغيير ! وتقرأ عن إبقائه الجهاز القضائي السني كما كان في عصر الخلافة ، باستثناء المناطق الشيعية ، فقد عين فيها قضاة شيعة .

وتقرأ عن تشجيعهم لعلماء السنة أن يؤلفوا في مذاهبهم ، وإعطائهم الجوائز على ذلك ! فتقول إن الجوينيين سنيون ، لكنهم يدارون الشيعة مداراة !

لكن سر الأمر كله أنهم كانوا شيعة بعقلية نصير الدين الطوسي رحمته الله والعلامة الحلبي رحمته الله ، فهم يؤمنون بالحرية الفكرية والحرية المذهبية ، وبالعلم والإعمار !

فالقناعة بالحرية جعلت علاء الدين الجويني يستكتب الطبري الشيعي وأمثاله من المتشددین للتشيع ، وفي نفس الوقت كانت زوجته عصمت خاتون حفيذة صلاح الدين الأيوبي متعصبة لمذهبها الحنفي ، وأرادت أن تبني مدرسة خاصة لتدريس هذا المذهب ، فبناها لها زوجها ، وهو الحاكم الشيعي !

قال الدكتور مصطفى جواد رحمته الله : « فيها (٦٧١) تكاملت عمارة المدرسة العصمتية نسبة إلى ذات العصمة شاه لبني بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن أيوب الأيوبيية ، زوجة أبي بكر أحمد بن المستعصم بالله ولي العهد أولاً ، ثم زوجة الصاحب علاء

الدين عطا ملك الجويني ثانية ، فقد جعل عفيف الدين ربيع هذا مدرساً للحنفية فيها..العصمتية التي ذكرنا آنفاً تاريخ افتتاحها ، كانت مجاورة لمشهد عبيد الله العلوي المعروف اليوم بأبي رابعة بالأعظمية « . (هامش الغارات: ٢/ ٨٧٨) :

وهذا يعني أن علاء الدين الحاكم الشيعي ، لم يجبر زوجته الأيوبية على مذهبه بل احترم مذهبها ، ثم نفذ رغبته في بناء مدرسة له ! وهو أمر لم يقم به أي حاكم في العراق مطلقاً ، إلا في عصر حكم الشيعة !

كما نلفت الى أن هولاءكو كان نَصَبَ عمر بن محمد القضوي القزويني ، حاكماً على العراق قبل الجويني ، وقد عمل بنفس سياسة الجوينين لكنه لم يعيش طويلاً ، وهو أمر يشير الى أن واضح سياسة الإعمار والحرية هو نصير الدين عليه السلام ، وأنه الذي اختار عمر القضوي ، ثم الجوينيين .

قال ابن الفوطي عن عمر القضوي: «كان من أعيان أهل قزوین المعروفين بمثانة الدين وحسن اليقين..عمر المساجد والمدارس ورسم الربط والمشاهد ، وأجرى الجرايات من وقوفها للعلماء والفقهاء والصوفية ، وأعاد رونق الإسلام بمدينة السلام « . (الإسماعيليون والمغول/ ٢٨٧).

٦- الحرية المذهبية جزء لا يتجزأ من مذهب التشيع

قد يقال: لماذا لم يقم نصير الدين والعلامة الحلي وعلماء الشيعة بتحويل أجهزة الدولة ، خاصة جهازها الديني والقضائي الى مذهب أهل البيت عليهم السلام ؟

والجواب: أنه كان من السهل عليهم مثلاً تحويل المدرسة النظامية أو المستنصرية

من مدرسة للمذاهب الأربعة الى مدرسة لمذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، لكن تفكيرهما كانا أعلى من ذلك ، فهما يرفضان سياسة فرض المذاهب .

ومن جهة أخرى كان يريدان المحافظة على إستقلالية المرجعية والحوزة العلمية والجهاز الديني الشيعي عن السلطة حتى لو كانت شيعية ولذا أنشأوا مدارسهم ومراكزهم الدينية المستقلة ، وأعطوا الإستقلال لمؤسسات المذاهب الأربعة ، فتركوا للمدرسة النظامية والمستنصرية أوقافها الواسعة ووارداتها الضخمة !

قال الذهبي في تاريخه: ٧/ ٤٦: « رأيت نسخة كتاب وقفها (المستنصرية) في خمسة كراريس ، والوقف عليها عدة رباع وحوانيت ببغداد ، وعدة قرى كبار وصغار ما قيمته تسع مائة ألف دينار فيما يخال إليّ ، ولا أعلم وقفاً في الدنيا يقارب وقفها أصلاً سوى أوقاف جامع دمشق ، وقد يكون وقفها أوسع » .

وقال في سيره: ١٥٧/ ٢٣: « بلغ مَعْلُ وقف المستنصرية مرة نيفاً وسبعين ألف دينار في العام) . انتهى . ولم يأخذ الشيعة من مآليتها لأوقافهم فلساً واحداً واتجهوا بدله الى تقوية المؤسسات الشيعية الأهلية كالحوزات والمساجد والمشاهد .

إن الحرية المذهبية جزءٌ من فكر المذهب الشيعي وقناعة فقهاءه ، وهي التي حققت النجاح للسلطة الشيعية في عهد الجوينين ، وبعدهم .

قال السيد المرعشي في شرح إحقاق الحق: ٧/ ٤٠٢: « ولا يخفى على من تأمل في تواريخ الدولة القاهرة الإيلخانية المنسوبة إلى السلطان الفاضل السعيد أوجايتو محمد خدابنده ، أن زمانهم أكثر تربية للأولياء والعلماء الحكماء والفقهاء ، وكان معاصر المصنف العلامة خلق كثير كنجم الدين عمر الكاتبي القزويني ،

والقاضي البيضاوي ، والعلامة الشيرازي ، والحكيم أحمد بن محمد الكيشي ، والمولى الفاضل بدر الدين محمد الحنفي الشوشتری ، والقاضي نظام الدين عبد الملك المراغي ، والسيد ركن الدين موصلی ، وولد صدر جهان البخاري ، وغيرهم من مشاهير الحكماء والمتكلمين الذين عجزوا عن مناظرته فسلموا له حقيقة مذهبه إلى أن اختار السلطان مع كثير من أهل زمانه مذهب الإمامية على التفصيل المشهور المسطور في سير الجمهور». انتهى.

أقول: أكثر هؤلاء الذين ذكرهم السيد المرعشي عليه السلام هم علماء كبار عند السنة! ولو رجعنا الى مصادر التراجم لرأينا أن علماء السنة الذين ظهوروا في عصر السلاطين المغول الشيعة: قازان وخدامنده ووزيره عطا الملك ثم ابنه بو سعيد ووارثه الشيخ حسن ، كانوا مميزين في النوعية ، وكانوا أصحاب ذهنية فقه وفكر مقارن شمولية ! وكانوا يحضون برعاية خاصة من الدولة ! ولذا شهدت المعاهد السنية وخاصة المدرسة المستنصرية ازدهاراً في عهد الدولة الشيعية أكثر من أي وقت ، وتخرج منها أعداد ملفته كماً وكيفاً ، من كبار العلماء والقضاة والمفكرين . وكانت مكتبتها التي يتحدثنا عنها مديرها ابن الفوطي كالمعجزة في ذلك العصر !

ومن نماذج الحرية المذهبية في الحكم الشيعي: الشيخ الجعبري الذي ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة: ١٢٩/٣ ، قال: « عبد الرحمن بن عمر بن علي الجعبري التستري الطبيب نور الدين ، تفقه بالنظامية ومهر في الطب وبرع في الإنشاء وفنون الأدب والخط المنسوب وأخذ عن ابن الصباغ وابن البسيس وغيرهما ، واتصل بصاحب الديوان علاء الدين ثم أقبل على التصوف ودخل في تلك

المضايق ، وعمر لنفسه خانقاه وقعد فيها شيخاً ، وعظم شأنه عند خربندا واثالث عليه الدنيا حتى كان يقال إن مَعْلَهُ في كل سنة بلغ سبعين ألفاً ، إلى أن مات في سنة ٧٢٣ ، وقد شاخ .

ومن نماذجها: أن أهم كتابين في تأصيل عقائد السنيين هما: المواقف للعضدي الإيجي وشرحه للشريف الجرجاني ، وكتاب المقاصد لسعد الدين التفتازاني ، وقد تم تأليف أولهما وأهمها بطلب السلطان خدابنده ورعايته !

قال في كشف الظنون: ١٦٥٣: «المواقف في علم الكلام ، للعلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي القاضي المتوفى سنة ٧٥٦ ، ألفه لغياث الدين وزير خدابنده وهو كتاب جليل القدر رفيع الشأن اعتنى به الفضلاء ، فشرحه السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ ... الخ» .

وقال القمي في الكنى والألقاب: ٤٧٢/٢: «القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الشافعي الأصولي المتكلم الحكيم المدقق . كان من علماء دولة السلطان أولجايتو محمد المعروف بشاه خدابنده المغولي... وتولى القضاء بديار فارس إلى أن سلم له لقب أقصى القضاة في مدينة شيراز مع نهاية الإعزاز . ويقال إنه كان من أهل النصب متعصباً معانداً للشيعة الإمامية ، له شرح مختصر ابن الحاجب وهو معروف بين العلماء ، وله المواقف في علم الكلام... وآخر مصنفاته: العقائد العضدية التي شرحها الدواني» .

وقال السيد الميلاني في بحثه الشيخ نصير الدين الطوسي وسقوط بغداد/٩: «هذا الكتاب (تجريد الاعتقاد) الذي أصبح من المتون الأصلية والأولية في الحوزات

العلمية كلها ، وكان يدرس وما زال في بعض الحوزات العلمية ، ولذا كثرت عليه الشروح والخواشي من علماء الشيعة والسنة ، وحتى أن كتاب المواقف للقاضي الإيجي ، وكتاب المقاصد للسعد التفتازاني ، هذان الكتابان أيضاً إنما ألفا نظراً إلى ما ذكره الخواجه نصير الدين في كتاب التجريد ، ويحاولون أن يردوا عليه آراءه وأفكاره ، ولربما يذكرون إسمه بصراحة » . انتهى .

ثم ، تعال انظر الى نعمة الحرية والثروة التي كان يعيش فيها هذا العالم السني المتعصب قاضي قضاة الدولة الشيعية العاملة بتوجيهات المرجعية ، والذي ألف كتباً في نقد الفكر الشيعي ! قال ابن شهبة في طبقات الشافعية / ٢٣٢ : « عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار قاضي قضاة الشرق وشيخ العلماء في تلك البلاد ، العلامة عضد الدين الإيجي .. شارح مختصر ابن الحاجب الشرح المشهور .. وكان صاحب ثروة ، وجود وإكرام للوافدين عليه . تولى قضاء القضاة في مملكة أبي سعيد فحمدت سيرته ، وقال السبكي في الطبقات الكبرى : كان إماماً في المعقولات عارفاً بالأصلين ... له في علم الكلام كتاب المواقف وغيره ... وكانت له سعادة مفرطة ومال جزيل وإنعام على طلبة العلم وكلمة نافذة ... وأنجب تلاميذه اشتهروا في الآفاق مثل شمس الدين الكرمانى ، وضياء الدين العفيفي ، وسعد الدين التفتازاني وغيرهم » . انتهى .

بل انظر الى المدرسة التي بناها السلطان الشيعي محمد خدابنده في عاصمته الجديدة السلطانية : « كان يُدرّس فيها خمسة من الفقهاء بالمذاهب الخمسة ، منهم العلامة عليه السلام بمذهب الشيعة ... حضر السلطان يوماً من الأيام لإمامة الجمعة

فسأل العلماء بعد اجتماعهم عن وجه وجوب الصلاة على الآل ، ثم قال: لعل النكتة فيه أن الله تعالى أراد عدم نسيان الآل ، وأن يكونوا في ذكر الناس حتى يرجعوا إليهم» . (البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر/ عن نفائس الفنون: ٢/ ٢٦٠).

أقول: ويطول الكلام في النماذج والحقائق الكثيرة ، عن احترام الدولة الشيعية وعلماء الشيعة لحرية المذاهب السنية وعلمائها ، في عهد دولة السلاطين المغول الذين شرفهم الله بمذهب أهل البيت عليه السلام.

وكذا الكلام في ارتقاء المستوى العلمي بسبب التفاعل والتلاقح الفكري مع علماء الشيعة ، وعلاقة الإحترام المتبادل في ظل الدولة الشيعية ، بعد أن كانت علاقة توتر وتكفير وصراعات بتحريك الدولة العباسية !

يقول ابن العماد في شذرات الذهب: ٣/ ٩٠ ، في ترجمة إمام الحنابلة ابن أبي البركات: «وقال الشيخ عبد الله اليونيني: ما أعتقد أن شخصاً ممن رأته حصل له من الكمال في العلوم والصفات الحميدة التي يحصل بها الكمال ، سواء... ومن تصانيفه في أصول الدين: البرهان في مسألة القرآن ، وجواب مسألة وردت من صرخد في القرآن ، جزء . والإعتقاد ، جزء . ومسألة العلو ، جزءان . وذم التأويل جزء ، وكتاب القدر ، جزءان . ومنهاج القاصدين في فضائل الخلفاء الراشدين ، ورسالة إلى الشيخ فخر الدين بن تيمية في عدم تحليد أهل البدع في النار... قال ابن رجب: انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد من غير مدافع ، وأقر له الموافق والمخالف وكان الفقهاء من سائر الطوائف يجتمعون به ويستفيدون منه في مذاهبهم ويتأدبون معه ويرجعون إلى قوله ، ويردهم عن فتاويهم فيذعنون له

ويرجعون إلى ما يقوله ! حتى ابن المطهر شيخ الشيعة كان الشيخ يبين له خطأه في نقله لمذهب الشيعة فيدعن له... ويوم وفاته قال الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن عسكر شيخ المالكية: لم يبق ببغداد من يراجع في علوم الدين مثله... وولي القضاء توفي ببغداد... ودفن بمقابر الإمام أحمد». انتهى.

أقول: بقطع النظر عن صحة ما ذكره من تصحيح إمام الحنابلة للعلامة الحلي عليه السلام ، فإن القصة تكشف التواصل واحترام المرجع الحاكم لعلماء السنة والحنابلة ، بعد أن كانت العلاقة صراعاً دمويّاً في أيام الخلافة العباسية !

وتكشف لنا الرسالة التالية بين العلامة الحلي والقاضي البيضاوي صاحب التفسير المعروف بتفسير البيضاوي ، عن العلاقة الراقية التي حققها الحكم الشيعي بين علماء المذاهب:

«لما وقف القاضي البيضاوي على ما أفاده العلامة في بحث الطهارة من القواعد بقوله: ولو تيقنهما ، أي الطهارة والحدث ، متحدين متعاقبين وشك في المتأخر ، فإن لم يعلم حاله قبل زمانها تطهر وإلا استصحبه . فقد كتب بخطه إلى العلامة: يامولانا جمال الدين أدام الله فواضلك أنت إمام المجتهدين في علم الأصول ، وقد تقرر في الأصول مسألة إجماعية هي أن الاستصحاب حجة ما لم يظهر دليل على رفعه ، ومعه لا يبقى حجة بل يصير خلافه هو الحجة ، لأن خلاف الظاهر إذا عضده دليل صار هو الحجة ، وهو ظاهر .

والحالة السابقة على حالة الشك قد انقضت بضدها ، فإن كان متطهراً فقد ظهر أنه أحدث حدثاً ينقض تلك الطهارة ، ثم حصل الشك في رفع هذا الحدث

فيعمل على بقاء الحدث بأصالة الإستصحاب وبطل الإستصحاب الأول .

وإن كان محدثاً فقد ظهر ارتفاع حدثه بالطهارة المتأخرة عنه ، ثم حصل الشك في ناقض هذه الطهارة ، والأصل فيها البقاء . وكان الواجب على القانون الكلي الأصول أن يبقى على ضد ما تقدم .

فأجابه العلامة: وقفت على ما أفاده مولانا الإمام العالم أدام الله فضائله وأسبغ عليه فواضله ، وتعجبت من صدور هذا الإعتراض عنه ، فإن العبد ما استدل بالإستصحاب بل استدل بقياس مركب من منفصله مانعة الخلو بالمعنى الأعم عنادية وحليتين . وتقريره: أنه إن كان في الحالة السابقة متطهراً فالواقع بعدها إما أن يكون الطهارة وهي سابقة على الحدث أو الحدث الرافع للطهارة الأولى فتكون الطهارة الثانية بعده ولا يخلو الأمر منهما ، لأنه صدر منه طهارة واحدة رافعة الحدث في الحالة الثانية وحدث واحد رافع للطهارة ، وامتناع الخلو بين أن يكون السابقة الطهارة الثانية أو الحدث ظاهراً ، ويمتنع أن يكون الطهارة السابقة وإلا كانت طهارة عقيب طهارة ، فلا تكون طهارة رافعة للحدث والتقدير خلافه فتعين أن يكون السابق الحدث ، وكلما كان السابق الحدث فالطهارة الثانية متأخرة عنه ، لأن التقدير أنه لم يصدر عنه إلا طهارة واحدة رافعة للحدث ، فإذا امتنع تقدمها على الحدث وجب تأخرها عنه ، وإن كان في الحالة السابقة محدثاً ، فعلى هذا التقدير إما أن يكون السابق الحدث أو الطهارة والأول محال وإلا كان حدث عقيب حدث فلم يكن رافعاً للطهارة ، والتقدير أن الصادر حدث واحد رافع للطهارة فتعين أن يكون السابق هو الطهارة،

والتأخر هو الحدث فيكون محدثاً . فقد ثبت بهذا البرهان أن حكمه في هذه الحالة موافق للحكم في الحالة الأولى بهذا الدليل لا بالاستصحاب ، والعبد إنما قال: استصحبه أي: عمل بمثل حكمه.

ثم أنفذه إلى شیراز . ولما وقف القاضي البيضاوي على هذا الجواب استحسنته جداً ، وأثنى على العلامة « (قواعد الأحكام: ١/ ١٢٧) ».

وقد ترجم في طبقات المفسرين / ٢٥٤ ، للقاضي البيضاوي: « عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي ، صاحب المطالع ، والمصباح في أصول الدين ، ومختصر الكشاف في التفسير ، المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل ، وله شرح المصابيح في الحديث ، كان إماماً مبرزاً نظاراً صالحاً متعبداً زاهداً ، ولي قضاء القضاة بشيراز ودخل تبريز وناظر بها ، وصادف دخوله إليها مجلس درس قد عقد بها لبعض الفضلاء فجلس القاضي ناصر الدين في أخريات القوم بحيث لم يعلم به أحد ، فذكر المدرس نكتة زعم أن أحداً من الحاضرين لا يقدر على جوابها ، وطلب من القوم حلها والجواب عنها ، فإن لم يقدرها فالحل فقط ، وإن لم يقدرها فإعادتها ، فلما انتهى من ذكرها شرع القاضي ناصر الدين في الجواب فقال له: لا أسمع حتى أعلم أنك فهمتها ، فخيره بين إعادتها بلفظها أو معناها ، فبهت المدرس وقال: أعددها بلفظها فأعادها ثم حلها ، وبين في تركيبه إياها خللاً ثم أجاب عنها ، وقابلها في الحال بمثلها ودعا المدرس إلى حلها فتعذر عليه ذلك ، فأقامه الوزير من مجلسه وأدناه إلى جانبه وسأله: من أنت؟ فأخبر أنه البيضاوي ، وأنه جاء في طلب القضاء

بشيراز ، فأكرمه وخلع عليه في يومه « . انتهى .

وختاماً ، يكفي للباحث المنصف أن يقرأ عن المؤسسات الدينية الشيعية والسنية في عهد دول السلاطين الشيعة ، وأن يَعدَّ العلماء الذين ظهرو وعاشوا في ظلها ، ثم ينظر في مستواهم العلمي ، ليرى وفور العدد وارتقاء المستوى العلمي والأخلاقي ، وعلاقة الاحترام بين علماء المذاهب وأتباعهم ، وكذلك الأمر في المؤسسات السياسية . وهو أمر لم يتحقق إلا في ظل الحكم الشيعي ، أو النفوذ الشيعي القوي !

٧- شهادات باحثين لحكام العراق الجوينيين

١ - اعتمد الذهبي شهادة ابن الفوطي الحنبلي في مدح الجوينين الشيعة ، فقال في تاريخه: ٨٠ / ٥١ : « وكان علاء الدين وأخوه فيها كرم سؤدد وخبرة بالأمر وفيهما عدل ورفق بالرعية وعمارة للبلاد . وليَ علاء الدين نظر العراق سنة نيف وستين بعد العماد القزويني (عمر القضي) فأخذ في عمارة القرى وأسقط عن الفلاحين مغارم كثيرة ، إلى أن تضاعف دخل العراق وعظم سوادها ، وجرَّ نهراً من الفرات مبدؤه من الأنبار ومنتهاه إلى مشهد علي رضي الله عنه ، وأنشأ عليه مائة وخمسين قرية . ولقد بالغ بعض الناس وقال: عَمَّرَ صاحب الديوان بغداد حتى كانت أجود من أيام الخلافة . ووجد أهل بغداد به راحة .

وحكى غير واحد أن أبغا قدم العراق فاجتمع في العيد صاحب شمس الدين وعلاء الدين ببغداد ، فأحصيت الجوائز والصلوات التي فرقها فكانت أكثر من ألف جائزة . وكان الرجل الفاضل إذا صنف كتاباً ونسبه إليهما تكون جائزته

ألف دينار ، وقد صنف شمس الدين محمد بن الصيقل الجزري خمسين مقامة وقدمها ، فأعطي ألف دينار . وكان لهما إحسان إلى العلماء والصلحاء ، وفيهما إسلام ، ولهما نظر في العلوم الأدبية والعقلية .

وفي وقتنا هذا الإمام المؤرخ العلامة أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن الفوطي مؤرخ عصره ، وقد أورد في تاريخه الذي على الألقاب ترجمة علاء الدين مستوفاة: هو الصدر المعظم صاحب علاء الدين أبو المظفر عطا ملك بن صاحب بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن أيوب بن الفضل بن الربيع الجويني ، أخو الوزير شمس الدين . قرأت بخط الفوطي: كان جليل الشأن تأدب بخراسان وكتب بين يدي والده وتنقل في المناصب إلى أن ولي العراق بعد قتل عماد الدين الدويني فاستوطنها وعمر النواحي وسد البشوق ، ورفد الأموال وساق الماء من الفرات إلى النجف وعمل رباطاً بالمشهد . ولم يزل مطاع الأمور رفيع القدر إلى أن بلي بمجد الملك في آخر أيام أبا قبا بن هولاقو .

وكان موعوداً من السلطان أحمد أن يعيده إلى العراق ، فحالت المنية دون الأمنية ، وسقط عن فرسه فمات ونقل إلى تبريز فدفن بها (كانت عاصمة المغول) وله رسائل ونظم ، كتب منشوراً بولاية كتابة التاريخ بعد شيخنا تاج الدين علي بن أنجب (يقصد مشروع كتابة التاريخ المسمى: جهان كشا) وكان مولده في سنة ثلاث وعشرين وست مائة ، ومدة ولايته على بغداد إحدى وعشرون سنة وعشرة أشهر . وقرأت بخطه وفاة علاء الدين في رابع ذي الحجة سنة ٦٨١ هـ .

أقول: لاحظ أن أبغا وارث أبيه هولأكو ، طاغية التتار الأكبر ، والذي دخل بغداد قبل سنوات قليلة قائداً في جيش أبيه ، فقتل ودمر ، كيف زار بغداد في حكم نائبه الجويني وأخيه ، فكان برنامجه توزيع الجوائز على النابغين المؤلفين في العلوم المختلفة ! فمن أين للسultan أبغا هذه السياسة والإدارة غير المباشرة ، وإطلاق يد نائبه ودعم سياسته في الإعمار والحرية والنهضة العلمية ، إلا من نصير الدين قاسم .

٢- اهتم الجوينيون بالمشاهد المشرفة ، فأعادوا مشهد الإمام موسى بن جعفر والإمام الجواد عليهما السلام الذي خربه المغول ، بأفضل مما كان عليه ، كما بنوا بقية مشاهد الأئمة عليهم السلام . وكانوا أول من نجح في شق فرع من الفرات الى النجف ، ووفروا خدمات البنى التحتية للزوار وطلبة العلم .

قال السيد ابن طاووس في فرحة الغري/ ١٥٧: «ولقد أحسن الصاحب عطا ملك بن محمد الجويني صاحب ديوان الدولة الإليخانية حيث عمل الرباط به (النجف) وكان وضع أساسه من سنة ست وسبعين وست مائة ، وابتدأ تحقّق الحفر للقناة إليه سنة اثنتين وستين وست مائة ، وأجرى الماء في النجف في شهر رجب سنة ست وسبعين وست مائة ، وقد كان سنجر بن ملكشاه أجهد في ذلك من قبل فلم يتفق». وفي هامشه: «أجرى نهراً من قصبة الأنبار إلى النجف الأشرف... والظاهر أن النهر المذكور هو المعروف اليوم بكري سعده». أنظر: تاريخ العراق بين احتلالين: ٣٠٩/١ .

وفي الحوادث الجامعة/ ١٧٢: «في سنة ٦٦٦ أمر علاء الدين الجويني صاحب الديوان بعمل رباط بمشهد علي عليه السلام ليسكنه المقيمون هناك ، وأوقف عليه وقوفاً كثيرة ، وأدرّ لمن يسكنه ما يحتاج إليه ».

قال اليونيني في ذيل مرآة الزمان: ٢٢٤/٤، عن عطا ملك: «كانت سيرته من أحسن السير وأعدلها بالرعية، واستمر حكمه في بغداد ما يقرب من أربع وعشرين سنة ست منها في عهد هولاءكو، وسبع عشرة سنة في عهد أباقا إلى سنة ٦٨٠، والسنة الأخيرة كانت في عهد تكودار».

وقال الفوطي في الحوادث الجامعة/ ٣٣٣: «إن هولاءكو قد أمر بعد انتهاء عمليات الإستباحة بإصلاح ما خرب من المدينة وترميم أسواقها، وإعادة أعمال أهلها إلى ما كانت عليه سابقاً. ثم وصف ابن الفوطي بعض مافعله هذا الحاكم في العراق عامة وفي بغداد خاصة فقال: تداركهم الله بلطفه فقدمها وعمّر المساجد والمدارس ورمّم الرّبط والمشاهد، وأجرى الجرايات من وقوفها للعلماء والفقهاء والصوفية، وأعاد رونق الإسلام بمدينة السلام، وحاز بهذا الفعل الجميل الذي يبقى على جبهات الزمان حسن الأجر والثناء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

وقال الدكتور جعفر خصباك في كتابه العراق في عهد الملوك الإيلخانيين: «وقد كثر الكلام عن التخريبات الواسعة التي أحدثها الغزو المغولي للعراق، ولسنا في مجال الدفاع عن أولئك الغزاة البرابرة أو النيل منهم... هولاءكو لم يجرّ على سنة جده جنكيزخان بتخريب أكثر أو كل المدن التي تقع في طريق زحفه وقتل سكانها. ويبدو لنا أن الصورة التي رسمها المؤرخون لفتاح بغداد المغولي، إنما هي انعكاس للأعمال التي قام بها جده فيها وراء النهر وخراسان!»

ثم قال: «وقد عهد هولاءكو أمر تنظيم العراق وإدارته بعد الفتح إلى مسلمين يعرفون شؤونهم ويعطفون على أهلهم، فعملوا على إعادة تعميره ونشر الاستقرار

فيه... ومن هذا كله يبدو أن عبارات التخريب التي أوردها المؤرخون عما جرى للمدينة (بغداد) مبالغ فيها ، لأن المعالم الرئيسية للمدينة كقصور الخليفة والمدارس والأسواق وغالب المحلات بقيت دون أن يصيبها غير تخريب محدود يمكن إصلاحه في وقت قصير... يضاف إلى ذلك أن الكتاب الموسوم بالحوادث الجامعة وهو معاصر ، يؤكد وجود دار الخلافة ودار الدويدار الكبير ، وجامع الخليفة ، والمدرسة النظامية وسوقها ، والمدرسة المستنصرية والمدرسة التنشئية ، ومدرسة الأصحاب ، ومدارس وربط أخرى .

وقال الدكتور خصباك : « وإذا كانت جملة في هذا الكلام تستحق الوقوف عندها طويلاً ، فإننا نكتفي بالوقوف أمام جملة واحدة تغني عن الوقوف على كل ما عداها : أعاد رونق الإسلام بمدينة السلام . لقد عاد رونق الإسلام إلى مدينة السلام : عُمِرت المساجد والمدارس والربط والمشاهد وأجريت الجرايات للعلماء والفقهاء والصوفية... أجل عاد رونق الإسلام إلى بغداد في ظل الحكم الاستقلالي الذي توفر للعراق بعد فتح بغداد... وإذا كانت مدة عماد الدين في حكم العراق لم تطل فقد خلفه في منصبه علاء الدين عطا ملك الجويني سنة ٦٥٧ الذي تركه المغول يستقل بالعراق إستقلالاً كاملاً ، والذي تفوق على سلفه في التوسل بجميع الوسائل الممكنة لبعث حركة عمرانية كبرى في العراق بأسره ، فهو الذي جدد المدارس المتداعية ، وأنشأ جملة من المدارس ودور الكتب وغير ذلك ، كما أنشأ جملة من الرباطات والملاجئ والمستشفيات وأجرى عليها الجرايات ، وعني بتعمير المشاهد في النجف وكربلاء والكاظمية وحفر الأنهار

والترع . وهو الذي شجع حركة التأليف والمؤلفين وأجزل العطاء والبذل لهم . ومن هذه الناحية نجد جملة من أمهات الأسفار والمصنفات في شتى الموضوعات العلمية والأدبية والتاريخية مهداة لخزائنه ، أو خزائن أهله وذويه .

وفي الواسع أن نقول: إن الجويني بز جميع من حكموا في عهد المغول في بعث حركة إنشائية كبيرة ، شملت العراق وفارس وآذربيجان ...

ولم تمض مدة وجيزة على سقوط بغداد بيد المغول حتى عادت إلى وجهها المشرق ، واطمأن الناس فعادوا إلى أعمالهم وزراعاتهم ، فتضاعفت عائدات بغداد ، حتى ليقول ابن شاعر الكتبي في كتابه: فوات الوفيات: ٧٥ / ٢: كانت بغداد أيام علاء الدين عطا ملك أجود مما كانت عليه أيام الخليفة !

ويقول الشيبسي في كتابه ابن الفوطي: «وفي سيرة علاء الدين الجويني كل ما بدل على التنكر للوثنيين الطغاة من حكام المغول ، وإعادة الأمم الإسلامية المغلوبة على أمرها في الشرق إلى العيش في ظل راية إسلامية ، ولو كان هؤلاء المسلمون من الشعوب المغولية». (الإسماعيليون والمغول للسيد حسن الأمين/ ٢٨٥)

٨- سبب احترام الشيعة للطرف الآخر

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: ٣٦٢ / ٢، في ترجمة أبي الفوارس سعد بن محمد بن سعد التميمي الفقيه الشافعي الشاعر المعروف بحَيْص بَيْص:

«كان فقيهاً شافعي المذهب ، تفقه بالري على القاضي محمد بن عبد الكريم

الوزان ، وتكلم في مسائل الخلاف ، إلا أنه غلب عليه الأدب ونظم الشعر ، وأجاد فيه مع جزالة لفظه... وأخذ الناس عنه أدباً وفضلاً كثيراً ، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب... قال الشيخ نصر الله بن مجلي:... رأيت في المنام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت له: يا أمير المؤمنين تفتحون مكة فتقولون من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ثم يتمُّ على ولدك الحسين يوم الطف ما تم ؟!

فقال: أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا ؟ فقلت: لا ، فقال: إسمعها منه . ثم استيقظت فبادرت إلى دار حيص بيص فخرج إليَّ فذكرت له الرؤيا ، فشهو وأجهش بالبكاء ، وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أو خطي إلى أحد! وإن كنت نظمتها إلا في ليلتي هذه ثم أنشدني:

ملكنّا فكان العفوُ منا سَجِيَّةً فلما ملكتم سألَ بالدمِ أبطَحُ
وحلَلْتُم قتل الأسارى وطالما غدونا عن الأسرى نَعْفُ ونصفح
فحسبْكُمْ هذا التفاوت بيننا وكلُّ إناء بالذي فيه ينضحُ. انتهى.

فبنو أمية ينضحون بما فيهم ، وهو إجبار الناس على بيعة خليفتهم واتباع مذهبهم ، والتكبر ومعاداة القيم ، واضطهاد من خالفهم ، بل يرون أن من سكت ولم يعلن الخضوع لهم فعقابه القتل !

وقد أمر يزيد قائد جيشه في وقعة الحَرَّة ، أن يأخذ البيعة من أهل المدينة المنورة على أنهم عبيد أقنان ليزيد ، إن شاء باع وإن شاء أمسك ، وفيهم الصحابة والتابعون ! فأخذ منهم البيعة على ذلك ، وختم ختم العبودية في أعناقهم !

أما أهل البيت النبوي الذين أذهب الله عنهم الرجس ، واختارهم للنبوّة والإمامة عليهم السلام ، فهم ينضحون بما فيهم من الإنسانية واحترام الإنسان وإن خالفهم بالرأي ، وعدم إجبار الناس على موافقتهم ، والتعايش مع المخالفين بسعة صدر ، والتمسك في نفس الوقت بعقيدتهم وقيمهم ، والعمل لها بحكمة وعقل حسب أحكام الإسلام ، ثم التضحية من أجلها إذا لزم الأمر .

وعلى نهج بني هاشم سار شيعتهم ، وعلى نهج بني أمية سار شيعتهم ، ولو تأملت في التاريخ لرأيت أن أهل البيت عليهم السلام صَحَّخُوا في الأمة دم البقاء ، وكانوا دفعاً متواصلًا لحقوق الإنسان المسلم ، وسقياً لحرية في العقيدة والتعبير !

وقد أسس هذه السياسة علي عليه السلام ، فعمل لإعادة العهد النبوي في احترام الإنسان ولم يكن في سياسته إجبار لأحد على بيعته ، ولا حطبٌ ولا حرقُ بيوت ! وكيف يجبر عليٌّ أحدًا على بيعَةٍ وهو الإنسان النبيل أباً عن جد ، والمؤمن بما أنزل على محمد ، وفي أوله حقوق الإنسان . وهو التقى الذي لا يعصي ربه بالإعتداء على حق إنسان ، بل ولا حشرة . قال عليه السلام : « والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحث أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت ، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ! ما لعلِّي ولنعم يفنى ولذة لاتبقى ! » (نهج البلاغة: ١٨/٢) .

وقد اتسع صدر علي عليه السلام لمخالفيه ، فكان الخليفة الوحيد الذي أعطاهم الحرية ولم ينقص من حقوقهم من بيت المال ولا غيره شيئاً ، حتى ولو دعوا الى الثورة عليه وشتموه في وجهه ! « كان عليه السلام جالساً في أصحابه فمرت بهم امرأة جميلة

فرمقها القوم بأبصارهم فقال عليه السلام: إن أبصار هذه الفحول طوامح ، وإن ذلك سبب هُبابها ، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله ، فإنما هي امرأة كامرأة! فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه فقال عليه السلام: رويداً إنما هو سبٌ بسبب أو عفوٌ عن ذنب». (نهج البلاغة: ٩٨/٤).

وبهذه الحرية النبوية أدان عليه السلام الحكام الذين قتلوا الناس على الكلمة وبطشوا على التهمة، وجعلوا رئيس الدولة أعظم حرمة من الله تعالى ورسله عليه السلام !

٩ - كان التشيع دائماً طاقةً لتجديد حياة الأمة

قضى الله تعالى أن يُمدَّ الحياة البشرية بالطاقة الجديدة ، من طاقة الطبيعة المتجددة ، وطاقة الناس الذين يولدون فيجددون حياة الأمم والمجتمعات . وبعوامل تؤمِّن للكائن الفردي والاجتماعي مواصلة حياته وتكاملها .

وعندما قال الله تعالى لعرب الجزيرة في أواخر حياة نبيه ﷺ: **وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ؟** (عمد: ٣٨) فمعناه أن هذا القانون جاهز وسيُفعَله الله تعالى في وقته ، فعنده مخازن جديدة من الأمم ليضيفها إلى الأمة فيمدها بدم جديد ، ويكون الجيل الثاني خيراً من الأول: **ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ!** وليس كما زعموا بأن الجيل الأول أفضل الأجيال !

إن دخول اليمن في أواخر حياة النبي ﷺ في الأمة كان مقصوداً إلهياً لإغناء مخزون الأمة ، فقد قام ثقل الفتوحات الإسلامية على أكتاف اليمانيين .

وكذلك كان دخول الشعوب المحيطة بالجزيرة في الإسلام مقصوداً إلهياً ، ولذا

وعد النبي ﷺ أمته ببلاد كبرى وقصر، ودفع الأمة باتجاهه بحيث أن سياسة الفتوحات فرضت نفسها على الحاكم بعده ﷺ، وقد كتبنا عن نخوف أبي بكر وعمر من الفتوحات وإصرار علي عليه السلام عليها ودوره فيها، فاتسعت رقعة الدولة ودخلت الشعوب أفواجا في الدين الجديد!

ولولا هذه السياسة لأكلت قبائل الجزيرة بعضها باسم الإسلام وأماتوه! كيف لا، وهم الذين أكلوا بعضهم في صراعات تافهة وحروب خاسرة، لأجل متاع بألف درهم، أو لأجل عنفوان قبلي فارغ؟!!

ولولا أهل البيت عليهم السلام لما عرفت الأمة الاجتهاد والعقل والافتتاح على العلوم.
ولولا علي عليه السلام لما كان مشروع إعادة العهد النبوي واستنقاذ الأمة من بني أمية!
ولولا الحسين عليه السلام لما انفتح باب الثورة في هذه الأمة على ظلم الحاكم.

ولولا جهاد علي والعتره النبوية الطاهرة عليهم السلام واضطهادهم وتقتيلهم في كل أرض وتحت كل نجم، لما وجد دوي هذه (التراجيديا) الإنسانية في وجدان الأمة، ولا تكون مخزونها الفاعل في ضميرها، فكان طاقة تحركها باتجاه التغيير.
لقد كان التشيع في تاريخ الأمة وما زال مضخة تجدد دمها من تراكم الفساد والمرض! ونفحة نبوية تُروّجها كلما دفعها هجير الحاكم نحو اليأس!

ألا ترى كيف تحتر المخزون الديني والروحي والإنساني في أواخر حكم عثمان بن عفان، فثار الصحابة وولوا علياً عليه السلام فأيقظ حيويتها وأغنى مخزونها؟

ثم كيف انخفض مستوى الأمة الإنساني في زمن يزيد، فأحيّاها الإمام الحسين

عليه بدمه الطاهر ، وأَجَّجَ فاعليتها ؟!

والى أيِّ مستوى وصلت الأمة بتهتك حكام بني أمية ، فَصَّخَّتْ فيها ثورة زيد بن علي عليه بشعار ثارات الحسين عليه وظلامته روح الثورة والتغيير والتجديد؟

وعندما أفرط ملوك بني عباس في طغيانهم واضطهادهم للمسلمين ، كيف مدَّت ثورات العلويين الأمة بالقيم ، وعلمتها انتزاع حقها في الثورة والتغيير ؟

وعندما غرقت الدولة العباسية في ترفها وأفكار المادية اليونانية والفارسية ، كيف أثرى الإمام الرضا عليه مخزونها من صريح الإسلام ووحى النبوة ؟

وعندما تهرأ النظام العباسي ، كيف جاءت الموجة الفاطمية من الغرب ، وقدمت بديلاً منافساً ، جدَّد الحياة والتفكير في الأمة ؟

ثم رفدتها موجة البويهيين ففرضت على العاصمة أن تخرج من جهودها الحنبلي ، وتعطي لمذهب أهل البيت عليه حريته ليغني فكرها !

وعندما ضعفت دولة البويهيين وجاءت موجة التعصب السلجوقي كيف فَقَدَ جسم الأمة قدرته على المقاومة والدفاع أمام الغزو المغولي ، فتحركت كريات الأمة البيضاء التي هي الشيعة ومذهب أهل البيت عليه ؟

وعندما ضعفت مقاومتها بعد ذلك وزاد ضغط الصليبيين على سواحلها وأعماقها ، كيف تشكلت الأمة في دول وإمارات ، فكان للشيعة في حلب ومصر والشام ولبنان دور قيادة مقاومة الروم وفاعليتها ! فأتباع الخلافة يخفون مقاومة الشيعة الفاطميين ، وقرنين من مقاومة الجيش المصري الشيعي للروم والفرنجة

وَيُطَبِّلُونَ لَصَلَاحِ الدِّينِ السَّنِيِّ ! مع أن جيشه لم يكن إلا الجيش المصري الشيعي الذي تسلك صلاح الى قيادته ، وجيش الحمدانيين الحلبي الذين اشترطوا على صلاح الدين حريتهم المذهبية ، فقبل ، فكانوا عمدة جيشه في استرداد القدس ؟! ثم انظر كيف جاءت موجة الأتراك العثمانيين لضرب القوة الشيعية وفرض الخلافة السنية بكل تعصبات العباسيين والأمويين ، فرافقتها موجة شيعية أقامت الدولة الصفوية لحفظ حريتها المذهبية !

وعندما انهارت الخلافة العثمانية بضغط الإنكليز وحروب الوهابيين ! كيف انتهت المؤسسة الدينية السنية ، وصمدت المؤسسة الشيعية وحفظت استقلالها ؟ وعندما فشلت مقاومات الأمة القومية منها واليسارية والحركات السنية ، كيف ظهرت المرجعية الشيعية في إيران فضحَّت في الأمة روح المقاومة والحياة ؟ وعندما انهزمت الجيوش والأنظمة العربية أمام إسرائيل ، كيف ظهرت موجة المقاومة الحسينية في شيعة لبنان وفلسطين ، فهزمت فئة قليلة دولة إسرائيل الأسطورية ، وضحَّت في الأمة دماً جديداً للحياة والمقاومة ؟!

وعندما أرادت الوهابية أن تقلد الشيعة في الثورة ، وضربت مركز الغرب التجاري العالمي ، فجُن جنونهم وأعلنوا الحرب على المسلمين ، كيف عجز السنة أن يخاطبواهم ! فجاء الخطاب الشيعي موازناً بين خطي المقاومة والتعايش !

إن بقاء الأمة اليوم بعناصر القوة في ثقافتها ، مدينٌ للفكر الشيعي ، ومدينٌ قبله لدماء أهل البيت عليهم السلام التي بذلوها للدفاع عن قيم الوحي وحرية الإنسان المسلم المستباحة !

وإن ما نراه اليوم من تحفز في ثقافة الأمة ، وتطلع مفكرها ومثقفها للتعرف على فكر أهل البيت وأطروحتهم عليه السلام ، إنما جاء من قناعة الأمة بأن فكر الخلافة قد استنفد طاقته ، ولا بديل له إلا أهل البيت عليهم السلام ، لأنهم في مخزونها الذهني مشروع نجاة ، كلما استنفد مذهب الخلافة طاقته وخطابه ، وأفلس !

١٠- الغزو المغولي سيئ لكنه فتح الباب للطاقات الجديدة

كان الغزو المغولي لبلاد المسلمين حدثاً سيئاً ، لكن نتائجه كانت ضرورية ! ويكفي أنه أزاح قوى الجمود والترف ، وجاء بكوادر جديدة قادت الأمة وأعادت بناءها ، وكان أول تأثيرها إسلام السلاطين المغول على أيديهم ! لكن إسلام المغول بذاته كان ذنباً أشد عند رواة الخلافة وعُبادها ، لأن المغول لم يختاروا مذهبها واختاروا مذهب التشيع !

لذلك كثر كذب المتعصبين عليهم ، حتى صرت تشك فيما كتبوه حتى عن وحشية المغول ! لقد قتل المغول خلقاً كثيراً ودمروا في بغداد وغيرها ، لكن ما كتبه المتعصبون عن تدميرهم لمكتبات بغداد ليس صحيحاً ! فقد أقنع نصير الدين عليه السلام هولاكو أن يحافظ على مدارس بغداد ومساجدها ومكتباتها ، فسلمت كلها من تدمير وحوش المغول ، إلا مركزين فقط هما : جامع الخلفاء ، ومشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .

وقد نص المؤرخون على سلامة مؤسسات العاصمة الثقافية ، وهم مؤرخون سنيون عاصروا الحادثة كابن الفوطي البغدادي الحنبلي ، وابن العبري ، وابن

الطقطقي ، ورشيد الدين ، وعبد الرحمن سنبط الإربلي . ونص الذهبي عن سلامة المستنصرية وأوقافها ! لكن المؤرخين الشاميين يصرون على الكذب !

قال في صبح الأعشى: ٣٣٤/٤، يصف بغداد: «ومن بيوتها ما هو مفروش بالآجر أيضاً ملصق بالقيز وهو الزفت ، ولهم الصنائع العجيبة في التزيق بالآجر ، وبها وجوه الخيز من الجوامع والمساجد والمدارس والخوانق والربط والبيارستانات والصدقات الجارية ، ووجوه المعونة ، وناهيك أنها كانت دار الخلافة ومقر ملوك الأرض ، ومنها قلائد الأعناق ، وترايبها لى القبل ، وإثمد الأحداق .

قال في مسالك الأبصار: قال الحكيم نظام الدين بن الطياري: وأوقافها جارية في مجاريها ، لم تعترضها أيدي العدوان في دولة هولاء ولا فيما بعدها ، بل كل وقف مستمرٌ بيد مُتوليه ومن له الولاية عليه ، وإنما نقصت الأوقاف من سوء ولاية أمورها لا من سواها .»

وقال ابن كثير في النهاية: ٢٤٩/١٣: «وفيها عمل الخواجة نصير الدين الطوسي الرصد بمدينة مراغة ، ونقل إليه شيئاً كثيراً من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد وعمل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ، ورتب لكل واحد في اليوم والليلة ثلاثة دراهم ، ودار طب فيها للطبيب في اليوم درهمان ، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم ، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم .»

وذكر الذهبي في تاريخه: ١١٣/٥٠، أن مكتبة مراغة ضمت أكثر من ٤٠٠ ألف مجلد. بل تقرأ في مصادر سنية اهتمام السلاطين المغول الشيعة بالكتب والعلم والعلماء والمدارس والمراكز ، أضعاف اهتمام الخليفة العباسي !

ويكفيك ما كتبه ابن الفوطي وهو مدير مكتبة المستنصرية ، عنها وعن غيرها من المكتبات والمدارس ، وعن زيارة السلطان وكبار المسؤولين لها ، والإحتفال فيها بتوزيع الجوائز من السلطان المغولي ، على العلماء المؤلفين من مختلف المذاهب ، وعلى الأطباء والمهندسين !



العلامة الحلي يواصل جهود المحقق الطوسي رحمته الله

١- شخصية العلامة الحلي رحمته الله

منذ أشرق على العراق نور النبوة ، وحطت فيه شمس الإمامة ، كان وما زال مركز إشعاع ومنبع هداية ، وكان لمدينة الحلة الفيحاء من ذلك نصيب وافر ، فلو لم يكن لها إلا العلامة الحلي رحمته الله لكفاها فخراً !

الفقيه المرجع ، والفيلسوف الناقد ، والعالم الموسوعي ، وصاحب الشخصية المميزة ، التي شغفت أجباءها ، وأثرت في أعدائها .

كان العلامة رحمته الله أعجوبة في الذكاء والحفظ ، وتوقد الذهن ، وعمق الفكر ، وسعة الصدر ، وهو أول من عُرف بلقب (آية الله) ، وقد ألفت العديد من كتبه في أسفاره مع السلطان ، أو في سفره إلى الحج وزيارة قبر النبي والأئمة عليهم السلام ، وكان يصحب معه مكتبته التي يحتاج إليها على بضعة جمال ، لكن ما يحمله صدره تعجز عن حمله مئات الجمال !

قال الصفدي في الوافي: ٥٤/١٣: « الحسن بن يوسف بن المطهر ، الإمام العلامة

ذو الفنون ، جمال الدين ابن المطهر الأسدي الحلي المعتزلي (!) عالم الشيعة وفقههم ، صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته . تقدم في دولة خربندا تقدماً زائداً ، وكان له ممالك وإدارات كثيرة وأملاك جيدة ، وكان يصنف وهو راكب ! شرَحَ مختصر ابن الحاجب ، وهو مشهور في حياته . انتهى .

وعندما زار نصير الدين قَلْبُكُ الحلة حضر درس المرجع المحقق الحلي قَلْبُكُ ، ولم يقبل أن يقطع درسه وكان بحثه في مسألة القبلة فذكر استحباب التياسر لأهل العراق ، فقال نصير الدين : لا وجه للإستحباب ، لأن التياسر إن كان من القبلة إلى غيرها فهو حرام وإن كان من غيرها إليها فواجب . فأجابه المحقق في الحال : بل منها إليها ! فسكت الطوسي ، ثم ألَّفَ المحقق في ذلك رسالة وأرسلها إليه فاستحسنها ، وقد أوردها ابن فهد في المذهب . (معجم رجال الحديث : ٣٠ / ٥) .

وقال السيد الأمين في أعيان الشيعة : ٤١٨ / ٩ : « الإستحباب المذكور مبني على أن الكعبة المعظمة هي قبلة القريب والحرم قبلة البعيد ، والحرم عن يسار الكعبة ثمانية أميال وعن يمينها أربعة أميال فإذا انحرف العراقي إلى جهة يساره لم يخرج عن سمت القبلة لاتساع المسافة فيما يستقبل ، فالانحراف اليسير إلى بعض جهاتها لا يخرج عنها بل يكون منها إليها » .

كان العلامة الحلي يومها في مقتبل عمره ، وقد أعجب نصير الدين بنبوغه ، ولما سئل بعد زيارته عما شاهده قال : رأيت خَرَّيْتاً (خبيراً) ماهراً ، وعالمأ إذا جاهد فاق . يقصد المحقق الحلي والعلامة الحلي رحمهما الله . (أعيان الشيعة : ٣٩٦ / ٥) .

٢- دراسة العلامة عند المحقق الطوسي رحمته الله

ولد العلامة الحلي رحمته الله في سنة ست مئة وبضع وأربعين ، وقيل ثمان وأربعين . وكان مجي نصير الدين أسيراً مع الطاغية هلاكو سنة ٦٥٥ ، لكنه زار الحلة بعد ذلك عندما جاء الى العراق ليتفقد أوضاعه ، قال العلامة رحمته الله : « وكان الشيخ الأعظم خواجه نصير الدين محمد الطوسي رحمته الله وزير هلاكو خان ، فأنفذه إلى العراق فحضر الحلة فاجتمع عنده فقهاء الحلة... فأشار إلى الفقيه نجم الدين جعفر بن سعيد ، وقال: من أعلم هؤلاء الجماعة؟ فقال له: كلهم فاضلون علماء إن كان واحد منهم مبرزاً في فن كان الآخر مبرزاً في فن آخر ، فقال: من أعلمهم بالأصولين؟ فأشار إلى والذي سديد الدين يوسف بن المطهر وإلى الفقيه مفيد الدين بن محمد بن جهيم فقال: هذان أعلم الجماعة بعلم الكلام وأصول الفقه». (مجمع الفائدة: ١/ ١٧، وطرائف المقال: ٢/ ٢٤٢).

وقال ابن كثير في النهاية: ٢٨١/ ١٣: « وفيها (٦٦٢) قدم نصير الدين الطوسي إلى بغداد من جهة هولاءكو ، فنظر في الأوقاف وأحوال البلد... ».

فيكون عمر العلامة يومها خمس عشرة سنة أو أكثر، ويكون وصف نصير الدين له بأنه: « عالم إذا جاهد فاق » شهادة بنبوغة المبكر ، فكان على صغر سنه ثاني شخصية جذبت نظره ، بعد خاله المحقق الحلي رحمته الله .

وانفرد الحر العاملي رحمته الله بقوله إن الطوسي درس الفقه على العلامة . قال في أمل الآمل: ٨١/ ٢: « الشيخ العلامة جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي

بن المطهر الحلي . فاضل عالم ، علامة العلماء ، محقق مدقق ، ثقة ثقة ، فقيه محدث متكلم ماهر ، جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزلة ، لا نظير له في الفنون والعلوم العقلية والنقلية ، وفضائله ومحاسنه أكثر من أن تحصى . قرأ على المحقق الحلي ، والمحقق الطوسي في الكلام وغيره من العقلية ، وقرأ عليه في الفقه المحقق الطوسي . وقرأ العلامة أيضاً على جماعة كثيرين جداً من العامة والخاصة . انتهى .

ولو صح ما ذكره الحر العاملي رحمته الله فمعناه أن المحقق الطوسي كان يذاكر العلامة في مسائل الفقه ، لأن شغله في أواخر حياته في الفلك والرياضيات ، كان أكثر منه في الفقه . أما دراسة العلامة على نصير الدين فكانت في أواخر حياته ، عندما سكن في بغداد ، ويدل عليه قول العلامة رحمته الله في إجازته لبني زهرة : « ومن ذلك جميع ما صنفه الشيخ السعيد المعظم خواجه نصير الملة والحق والدين محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه ، وقرأه ورواه ، عني عنه ، وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية ، وله مصنفات كثيرة في العلوم الحكمية والأحكام الشرعية على مذهب الإمامية ، وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق نور الله ضريحه . قرأت عليه إلهيات الشفا لأبي علي بن سينا ، وبعض التذكرة في الهيئة تصنيفه ، ثم أدركه الموت المحتوم قدس الله روحه » . (البحار : ١٠٤ / ٦٢) .

لاحظ المكانة الخاصة لنصير الدين عند العلامة ، فقد ذكره قبل خاله المحقق الحلي ، وقال عنه : « هو أستاذ البشر والعقل الحادي عشر » . (أعيان الشيعة : ٩ / ٤١٤) .

بل صرح بأفضليته على خاله في علم الهيئة وربياً مطلقاً فقال رحمته الله : « وأهل هذا العلم

(علم الهيئة) في هذا العصر قليل جداً ، ورأيتاه منحصراً في خالي الذي ما سمح الزمان بمثله ، بعد نصير الملة والدين « . (مجمع الفائدة: ١/ ٣٧) . ويبدو أن العلامة شرح كتاب التجريد لأستاذه قبل تلك الفترة .

٣- العلامة الحلي رحمته الله خليفة المحقق الطوسي رحمته الله

استطاع المرجع نصير الدين الطوسي أن يربي عدداً كبيراً من النوابغ والعباقرة ، في الطب والفلك والرياضيات والإدارة والسياسة والفقه ، اغترفوا من بحر علمه وتوجيهه وخبرته ، وقاموا بأدوار عظيمة في إغناء ثقافة المسلمين وحياتهم ، فساعد ذلك على جبران خسارة المسلمين من الغزو المغولي والظلم العباسي .. لكن أهم شخصية أشبهته وجسدت خطه ، كان تلميذه العلامة الحلي رحمته الله ، فكان جديراً بلقب "خليفة نصير الدين الطوسي رحمته الله" وقد واصل ما بدأه أستاذه فركز جهده على العمل العقائدي مع الشخصيات القيادية المغولية ، فزرع فيهم عقيدة التشيع والولاية لأهل البيت عليهم السلام ، التي تعطي صاحبها احترام الإنسان وقبول الرأي الآخر ، وروح العمل والعمران .

وساعد على ذلك أن العلامة درس علي المحقق الطوسي في مرحلة أوج عبقريته وتجاربه ، فاستفاد من علمه وخبراته ، وطبيعي أن يكون هولاء واولاده عرفوا إعجاب نصير الدين به ، وثقته بعقله وعلمه وتقواه ، وأن يكون عرفه لهم بأنه خليفته المطلق ، أما الآخرون فهم خلفاء نسيبون له .

٤- السلطان المغولي يتشيع ويدعو للمذهب الشيعي

نبدأ بشهادة ابن بطوطة لأنه سني متعصب ، عاش مع عوام الناس وكتب آراءهم ، قال في رحلته: ١٤٩/١: «كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الإمامية يسمى جمال الدين بن مطهر ، فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت بإسلامه التتر ، زاد في تعظيم هذا الفقيه فزين له مذهب الروافض وفضله في غيره ، وشرح له حال الصحابة والخلافة وقرر لديه أن أبا بكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله (ص) وأن علياً ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة ، ومثّل له ذلك بما هو مألوف عنده من أن الملك الذي بيده إنما هو إرث عن أجداده وأقاربه ، مع حداثة عهد السلطان بالكفر وعدم معرفته بقواعد الدين (!) .

فأمر السلطان بحمل الناس على الرض ، وكتب بذلك إلى العراقيين وفارس وأذربيجان وأصفهان وكرمان وخراسان ، وبعث الرسل إلى البلاد ، فكان أول بلاد وصل إليها بغداد وشيراز وأصفهان ، فأما أهل بغداد فامتنع أهل باب الأزج منهم وهم أهل السنة ، وأكثرهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وقالوا: لا سمع ولا طاعة ، وأتوا المسجد الجامع في يوم الجمعة ومعهم السلاح وبه رسول السلطان ، فلما صعد الخطيب المنبر قاموا إليه وهم اثنا عشر ألفاً بسلاحهم ، وهم حماة بغداد والمشار إليهم فيها ، فحلفوا له أنه إن غير الخطبة المعتادة ، إن زاد فيها أو نقص منها فلنهم قاتلوه وقاتلوا رسول الملك ، ومستسلمون بعد ذلك لما شاء الله ! وكان السلطان أمر بأن تسقط أسماء الخلفاء

وسائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر إلا إسم عليٍّ ومن تبعه كعمار رضي الله عنهم ، فخاف الخطيب من القتل وخطب الخطبة المعتادة !

وفعل أهل شیراز وأصفهان كفعل أهل بغداد ، فرجعت الرسل إلى الملك فأخبروه بما جرى في ذلك ، فأمر أن يؤتى بقضاة المدن الثلاث ، فكان أول من أتى به منهم القاضي مجد الدين قاضي شیراز ، والسلطان إذ ذاك في موضع يعرف بقراباغ وهو موضع مصيفه ، فلما وصل القاضي أمر أن يرمي به إلى الكلاب التي عنده وهي كلاب ضخام في أعناقها السلاسل مُعدة لأكل بني آدم ، فإذا أوتي بمن يسلط عليه الكلاب جعل في رحبة كبيرة مطلقاً غير مقيد ، ثم بعثت تلك الكتاب عليه ، فيفر أمامها ولا مفر له ، فتدركه وتمزقه وتأكل لحمه !

فلما أرسلت الكلاب على القاضي مجد الدين ووصلت إليه بصبغت إليه وحركت أذنانها بين يديه ولم تهجم عليه بشئ ! فبلغ ذلك السلطان فخرج من داره حافي القدمين فأكبَّ على رجلي القاضي يقبلهما وأخذ بيده وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب ، وهي أعظم كرامات السلطان عندهم ، وإذا خلع ثيابه كذلك على أحد كانت شرفاً له ولبنيه وأعقابهم ، يتوارثونه ما دامت تلك الثياب أو شئ منها ، وأعظمها في ذلك السراويل .

ولما خلع السلطان ثيابه على القاضي مجد الدين أخذ بيده وأدخله إلى داره ، وأمر نساءه بتعظيمه والتبرك به ، ورجع السلطان عن مذهب الرفض وكتب إلى بلاده أن يُقرَّ الناس على مذهب أهل السنة والجماعة ، وأجزل العطاء للقاضي وصرفه إلى بلاده مكرماً معظماً ، وأعطاه في جملة عطاياه مائة قرية من قرى جهمكان

وهو خندق بين جبلين طوله أربعة وعشرون فرسخاً يشقه نهر عظيم ، والقرى منتظمة بجانبه ، وهو أحسن موضع بشيراز ، ومن قراه العظيمة التي تضاهي المدن قرية مَيَمَنُ وهي للقاضي المذكور ، ! انتهى.

أقول: هذا النص يدل على أن تشيع السلطان كان له وقعٌ شديد على الحنابلة المتعصبين، فباب الأزج محلّتهم في بغداد . (السماعي: ١/١١٩، ولباب ابن الأثير: ١/٤٥).
لكن هؤلاء الحنابلة المجسمة أعداء السنة والشيعة معاً ، قال في الكامل: ٩/٥٥١:
«ولما سار الملك الرحيم عن بغداد كثرت الفتن بها ، ودامت بين أهل باب الأزج والأساكفة وهم السنية ، فأحرقوا عقاراً كثيراً » .

ووصف ابن كثير علاقتهم السيئة بسنة بغداد ، فقال في النهاية: ١٢/١٩٧: «منصور أبو المعالي الجيلي القاضي الملقب سَيَدَكَة ، كان شافعياً في الفروع أشعرياً في الأصول ، وكان حاكماً بباب الأزج ، وكان بينه وبين أهل باب الأزج من الحنابلة شأن كبير (بغض) سمع رجلاً ينادي على حمار له ضائع ، فقال: يدخل الأزج ويأخذ بيد من شاء ! وقال يوماً للنقيب طراد الزينبي: لو حلف إنسان أنه لا يرى إنساناً فرأى أهل باب الأزج لم يحث... ولهذا لما مات فرحوا بموته كثيراً!»
وكان أئمة الحنابلة في باب الأزج من العجم ، ففي تاريخ الذهبي: ٣٩/٨٩: «قال ابن السمعاني: أبو محمد عبد القادر فخر أهل جيلان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره ، فقيه صالح دَيِّن ، كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة ، تفقه على المخرمي ، وصحب الشيخ حماد الدباس ، قال وكان يسكن باب الأزج في المدرسة التي بنوا له ، مضيت يوماً لأودع رفيقاً لي ، فلما انصرفنا قال لي بعض من

كان معي: ترغب في زيارة عبد القادر والتبرك به؟ فمضينا ودخلت مدرسته وكانت بكرة، فخرج وقعد بين أصحابه وختموا القرآن، فلما فرغنا أردت أن أقوم فأجلسني وقال: حتى نفرغ من الدرس، وألقى درساً على أصحابه ما فهمت منه شيئاً! وأعجب من هذا أن أصحابه قاموا وأعادوا ما درس لهم، فلعلهم فهموا لإلفهم بكلامه وعبارته. انتهى.

وبهذا تعرف أن ابن بطوطة أخذ كلامه من مبالغات الحنابلة وخيالهم!

وقد زاد عليه الصفدي، فاخترع أن الله قد أمات السلطان بسبب ذلك!

قال في الوافي: ١٢٩/٢: «فعوجل بعد يومين بهيضة مزعجة داواه الرشيد فيها بمسهل منظف فخارت قواه، وتوفي في رمضان سنة ست عشرة وسبع مائة».

ولم ينتبه واضعوا الرواية التي اعتمدها الصفدي وغيره، إلى أن مرسوم السلطان كان في سنة ٧٠٣، ووفاته سنة ٧١٧، وأن مدة يومين لا تكفي لطبع أسماء الأئمة عليهم السلام على الدنانير الذهبية، وأن يصل خبرها إلى جنوب لبنان وينظم شاعرهم قصيدة في مدح السلطان، كما روى الصفدي نفسه!

ولا تكفي لتأليف العلامة كتابه منهاج الكرامة سنة ٧٠٩، ثم ينتشر ذلك في البلاد والمعاهد، ويتخوف منه ابن تيمية، ويرفع عقيرته بالويل والثبور!

ونشكر الله تعالى أن ابن كثير كشف بدون قصد، زيف رواية ابن بطوطة والصفدي، عن بطولة حنابلة بغداد والانتقام المزعوم من السلطان!

قال في النهاية: ٥٦/١٤: «وفيها (سنة ٧٠٩) أظهر ملك التتر خربندا الرفض في بلاده

وأمر الخطباء أن لا يذكروا في خطبتهم إلا علي بن أبي طالب وأهل بيته، ولما وصل خطيب باب الأزج إلى هذا الموضع من خطبته بكى بكاءً شديداً وبكى الناس معه ونزل ولم يتمكن من إتمام الخطبة، فأقيم من أتمها عنه وصلى بالناس! كما كذب ابن كثير مقولة إن السلطان تراجع عن مرسومه ومذهبه، فقال في: ٧٧/١٤: «ثم تحول إلى الرفض وأقام شعائره في بلاده، وحظي عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحلبي تلميذ نصير الدين الطوسي، وأقطعه عدة بلاد. ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات». انتهى.

فالصحيح أن السلطان المغولي تشرف بمذهب أهل البيت عليهم السلام على يد العلامة الحلبي رحمته الله وكتب مرسوماً إلى البلاد بتدريسه في المدارس، ولم تحدث في بغداد ردة فعل من السنيين، سوى أن حنابلة باب الأزج ببغداد بكى خطيبهم، فاستبدلوه بخطيب آخر وكان الله يحب المحسنين!

أما ماذكروه من جيش الحنابلة في باب الأزج، وقصة قاضي شيراز وكراب السلطان، إنها هو تخيلات الحنابلة أجداد الوهابية!

٥- لماذا تشيع السلطان محمد خدابنده؟

ذكروا ثلاثة أسباب لتشيع السلطان قازان وأخيه محمد خدابنده:

الأول: أن السلطان طلق زوجته بالثلاث وندم، فأفتى له فقهاء المذاهب بأن طلاقه صحيح وأنها تحرم عليه حتى تنكح زوجاً غيره.

فأرشدوه إلى العلامة الحلبي رحمته الله فأحضره وناظر الفقهاء وأثبت لهم بطلان

الطلاق لأنه بلا شهود وشروط ، ولأن الطلاق بالثلاث لا يقع إلا طلاقاً واحداً.. الخ.

والثاني: أن السلطان زار قبر أمير المؤمنين عليه السلام ورأى مناماً في النجف ، فدفعه ذلك الى البحث عن مذهب التشيع ، فأعجبه وانتمى اليه .

والثالث: أن السلطان غازان خان كان سنة ٧٠٢ في بغداد ، فاتفق أن سيداً علوياً صلى الجمعة مع السنة ثم صلى الظهر منفرداً فقتلوه ! فشكا ذووه إلى السلطان فتألم له وغضب من قتل رجل من أولاد الرسول عليه السلام بسبب أنه أعاد صلاته ! فأخذ يبحث عن المذاهب ، وكان في أمرائه جماعة شيعة منهم الأمير طرمطار بن مانجو بخشي ، وكان في خدمة السلطان من صغره وله وجه عنده ، فرغبه في التشيع فدخل فيه ، واهتم بالسادة وعمارة مشاهد الأئمة عليهم السلام وأسس دار السيادة في إصفهان وكاشان وسيواس روم ، وأوقف عليها أملاكاً كثيرة ، وكذا في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد بقيت بعض آثاره الى الآن . وبعد أن توفي سنة ٧٠٣ ، خلفه أخوه خدابنده ، وأعلن تبنيه لمذهب الشيعي .

ومصدر هذه الروايات الثلاثة كتاب ذيل جامع التواريخ، للمؤرخ الحافظ آبرو الخوافي ، وبعضهم نقلها عن مخطوط : الالكلي المنتظمة . (راجع: خاتمة المستدرک: ٤٠٣/٢ ، ولؤلؤة البحرين/ ٢٢٤ ، ومجالس المؤمنين: ٥٧١/٢ . ومقدمة قواعد الأحكام) .

قال في الذريعة: ٤٩/١٠: «ذيل جامع التواريخ رشیدی، الذي ألفه الوزير رشيد الدين فضل الله الطبيب وزير غازان ثم الشاه خدابنده ، إلى أن قتل ٧١٧ ، وانتهى تاريخه إلى وفاة غازان في ٧٠٣ ، فذيله المؤرخ الشهير حافظ آبرو ، شهاب الدين

عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافي الخراساني المولود حدود ٧٦٣ وكان مع الأمير تيمور في حروبه في ٧٨٨ بأمر شاه رخ ، وفي ٨٢٠ أمره السلطان شاه رخ بتأليف هذا الذيل ، فألحق بتاريخ الرشيدي من ٧٠٣ إلى ٧٩٥ ، وتوفي حافظ أبرو ٨٣٤ وطبع الذيل مع مقدمة وتعليقات للدكتور خان بابا البياني في ١٣١٧... وذكر فيه: أن أول من تشيع من المغول السلطان غازان ، ومنشؤه قتل العلوي ببغداد في ٧٠٢ ، لأجل صلاة الجمعة . قال: وكان شيعياً إلى أن توفي . وكذا ذكر سبب تشيع أخيه السلطان خدا بنده وأتباعهما . انتهى.

أقول: الظاهر أن السلطان خدا بنده عليه السلام وأخاه قازان تعرفا على مذهب التشيع وأحباه واعتنقاه ، كما نص الشيخ البهائي عليه السلام وغيره .

قال في توضيح المقاصد / ٢٧: «فيه (شهر شوال) سنة ثلاث وسبع مائة توفي السلطان محمود غازان ، وكان له ميل تام إلى التشيع ، ولكنه لم يتمكن من إظهاره ، وإنما أظهر أخوه السلطان محمد شاه خدا بنده ، أنار الله برهانه .

وفي الذريعة: ٢٧٠ / ٣: «وحكى القاضي في مجالس المؤمنين عن تاريخ غازاني سبب استبصار الأخوين السلطان محمود غازان وشاه خدا بنده محمد ، وإثبات تشيعهما وولائهما لأهل البيت عليهم السلام ، بنوع يظهر منه ارتضاؤه لطريقتهما .

وفي مقدمة مختلف الشيعة: ١ / ١١١: «فتشيع الملك (قازان) وبعث إلى البلاد والأقاليم حتى يخطبوا للأئمة الإثني عشر عليهم السلام في الخطبة ويكتبوا أساميهم عليهم السلام في المساجد والمعابد . والذي في أصبهان موجود الآن في الجامع القديم الذي كتب في زمانه في ثلاث مواضع ، وعلى منارة دار السيادة التي تمها سلطان محمد

بعد ما أحدثها أخوه غازان أيضاً موجود . وفي محاسن أصفهان أن ابتداء الخطب كان بسعي بعض السادات لإسمه ميرزا قلندر ، ومن المعابد التي رأيت معبد بير بركان الذي في لنجان بني في زمانه، الأسامي موجودة الآن ، وكذا في معبد قطب العارفين نور الدين عبد الصمد النطنزي الذي له نسبة إليه من جانب الأم موجود الآن». (مجالس المؤمنين: ٣٦١/٢ عن تاريخ الحافظ آبرو ، وتحفة العالم: ١٧٦/١ وخاتمة المستدرک: ٤٦٠ ، وإحقاق الحق: ١١١٦/١ ، وأعيان الشيعة: ٤٠٠/٥ ، وغيرها).

فمجالس المناظرة التي كانت تجري بحضور السلطان ، أو كان يعقدها ويدعو إليها العلامة رحمهما الله وفقهاء المذاهب الأربعة ، كانت عملاً مقصوداً لتكون مبرراً لإعلان تشيعه ، وإصدار مرسومه السلطاني بذلك .

وذكرت الروايات عدة مناظرات لها علاقة بإعلان السلطان تشيعه ، شارك فيها من الشيعة العلامة الحلي وتاج الدين الآوي ، ومن السنة قاضي القضاة نظام الدين عبد الملك المراغي الشافعي ، وله تأليف في المعقول ، وابن صدر جهان الحنفي البخاري ، وقطب الدين الشيرازي ، وعمر الكاتبي القزويني ، وأحمد بن محمد الكيشي ، وركن الدين الموصلی . وذكروا أن ابن العلامة "فخر المحققين" كان شاباً في العشرينات من عمره ، وحضر مع والده .

أما مواد هذه المناظرات فذكرت الروايات منها: أن العلامة رحمهما الله دخل الى مجلس السلطان ، وأخذ حذاءه بيده ، وجلس قرب السلطان !

فقال الفقهاء للسلطان: ألم نقل لك إنهم ضعفاء العقول ؟! فقال الملك: سلوه ما فعل ؟ فقالوا له: لأي شيء أخذت نعلك معك وهذا مما لا يليق ؟!

قال: خفت أن يسرقه الحنفية كما سرق أبو حنيفة نعل رسول الله ﷺ!
فصاحت الحنفية: متى كان أبو حنيفة في زمن النبي! لقد ولد بعد مائة سنة من
وفاة النبي ﷺ!

فقال: نسيت لعله كان السارق الشافعي!
فصاحت الشافعية وقالوا: كان تولد الشافعي في يوم وفاة أبي حنيفة وكان
نشوؤه في الماتين من وفاة رسول الله ﷺ!
فقال: لعله كان مالك! فقالت المالكية بمثل ما قالته الحنفية.

فقال: لعله كان أحمد بن حنبل! فقالوا بمثل ما قالته الشافعية.
فتوجه العلامة إلى الملك فقال: أيها الملك علمت أن رؤساء المذاهب الأربعة لم
يكن أحدهم في زمن رسول الله ﷺ ولا في زمن الصحابة! فهذه إحدى بدعهم
أنهم اختاروا من مجتهديهـم هؤلاء الأربعة، ولو كان منهم من كان أفضل منهم
بمراتب لا يجوزون أن يجتهد بخلاف ما أفتاه واحد منهم.

فقال الملك: ما كان واحد منهم في زمن رسول الله والصحابة؟!
فقال الجميع: لا. فقال العلامة: ونحن معاشر الشيعة تابعون لأمير المؤمنين
أخ رسول الله ﷺ وابن عمه ووصيه.

وعلى أي حال فالطلاق الذي أوقعه الملك باطل لأنه لم تتحقق شروطه، لأن
الله يقول: فَأَمْسِكُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ،
فهل فعله الملك بمحضرهما؟ قال: لا... الخ.

كما ذكرت الروايات: أن العلامة خطب بعد انتصاره في المناظرة ، فصلى على النبي والأئمة الإثني عشر عليهم السلام ، فاعترض السيد ركن الدين الموصلّي وقال: ما الدليل على جواز الصلاة على غير الأنبياء ؟

فقرأ العلامة في جوابه مباشرة قوله تعالى: الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ .

فقال الموصلّي: فأَي مصيبة أصابت علياً وأولاده ليستوجبوا بها الصلاة؟

فذكر له العلامة مصائبهم المشهورة ، وقال: وأي مصيبة أعظم عليهم أن من ذراريهم ويقصد الموصلّي، من يرجح عليهم المنافقين الجهال المستوجبين للعنة والنكال ! فتعجب الحاضرون من قوة جواب العلامة ، وضحكوا على الموصلّي .

هذا ، وقد اعتمد السيد رضا الصدر رحمته الله في مقدمته لطبعة نهج الصدق ، على رواية تقول إن السلطان خدابنده أصيب بصدمة من تناقضات المذاهب وبعض فتاويها ، فبقي متحيراً في اختيار المذهب ثلاث سنوات ، فاقترح عليه أحد أمراءه المسمى طيمطاز اختيار مذهب الشيعة ، لأن الملك غازان كان أعقل أهل زمانه وأكملهم وقد اختار مذهب الشيعة ، فلم يعجب الشاه كلامه وطلب من العلامة أن يؤلف له كتاباً في التشيع فكتب له (نهج الحق وكشف الصدق) و(منهاج الكرامة) وزاره في عاصمته السلطانية وأهداهما له ، وجرت هناك مناظراته مع علماء المذاهب .

لكن الأصح أن السلطان خدابنده وأسرته كانوا قبل ذلك شيعة ، كما قدمنا .

وذكر السيد الأمين في أعيان الشيعة: ٣٩٩/٥، أنه توجد مؤشرات على أن المناظرة جرت في بغداد، ونقل عن الروضات أن العلامة قال: «كان في القرب والمنزلة عند السلطان المذكور بحيث كان لا يرضى أن يفارقه في حضر ولا سفر، بل نقل أنه أمر له ولتلاميذه بمدرسة سيارة من الخيام المعمولة من الكرباس الغليظ تنتقل بانتقاله أينما سافر معه، يدل على ذلك ما وجد في آخر بعض مؤلفاته أنه وقع الفراع منه في المدرسة السيارة السلطانية في كرمانشاهان».

وأضاف السيد الأمين: «وفي مدة إقامته في صحبة السلطان المذكور، ألف له عدة كتب مثل كتاب منهاج الكرامة، وكتاب كشف الحق، ورسالة نفى الجبر، ورسالة حكمة وقوع النسخ، التي سأله عنها السلطان».

وأكمل هناك الألف الأول من كتاب الألفين. قال في مقدمة كشف الحق: وامثلت فيه مرسوم سلطان وجه الأرض، الباقية دولته إلى يوم النشر والعرض سلطان السلاطين، خاقان الخواقين مالك رقاب العباد وحاكمهم، وحافظ أهل البلاد وراحمهم، المظفر على جميع الأعداء، المنصور من إله السماء، المؤيد بالنفس القدسية والرياسة الملكية، الواصل بفكره العالي إلى أسنى مراتب المعالي، البالغ بحدسه الصائب إلى معرفة الشهب الثواقب، غياث الحق والدين الجايئو خدا بندا محمد، خلد الله ملكه إلى يوم الدين، وقرن دولته بالبقاء والنصر والتمكين، وجعلت ثواب هذا الكتاب واصلًا إليه، أعاد الله بركاته عليه بمحمد وآله الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين.

وقال في أول منهاج الكرامة: فهذه رسالة شريفة ومقالة لطيفة، إلى أن قال:

خدمت بها خزانة السلطان الأعظم... في آخر الموجود من كتاب الألفين: فهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الكتاب وذلك في غرة رمضان المبارك سنة ٧١٢، وكتب حسن بن مطهر ببلدة جرجان في صحبة السلطان الأعظم غياث الدين محمد أوجايتو خلد الله ملكه... وصنف في سفره ذلك الرسالة السعدية، ولعله ألف في سفره ذلك الرسالة التي في جواب سؤالين سأل عنهما الخواجة رشيد الدين فضل الله الطيب الهمذاني وزير غازان، الذي اجتمع به في ذلك السفر الآتي ذكرها في مؤلفاته...».

٦- الوجه الشرعي لتعظيم العلامة للسلطان الغولي

الوجه الشرعي أن باب التقية الواسع، وقد أحلها الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام مع السلطان، فمن الإمام الصادق عليه السلام قال: «التقية من دين الله. قلت: من دين الله؟ قال: إي والله من دين الله، ولقد قال يوسف: أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ، والله ما كانوا سرقوا شيئاً! ولقد قال إبراهيم: إِنِّي سَقِيمٌ، والله ما كان سقيماً. وعنه عليه السلام قال: ما بلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف، إن كانوا ليشهدون الأعياد ويشدون الزنانير (فيها الصلبان) فأعطاهم الله أجرهم مرتين». (الكافي: ٢/٢١٧)

يضاف الى ذلك أن هدف العلامة من تبجيله وتعظيمه، تشجيع السلطان على تبني المذهب الحق، وأن تأخذ كتبه طريقها بمراسيم سلطانية الى المراكز العلمية ولهذا أهدى عدداً منها الى خزانة السلطان، فأخذت صفة الرسمية في معاهد الدولة. ومنها ما ألفه بطلب السلطان نفسه، فكان طبيعياً أن يهديه الى خزانته.

٧- مضمون مرسوم السلطان محمد خدابنده وأبعاده

شمل مرسوم السلطان بتبني مذهب التشيع: العراق بكامله والخليج واليمن ، وإيران ، وما وراء النهر أي بلاد آسيا الوسطى ، وتركيا التي كانت تسمى بلاد الروم . وقد أصدره في أول توليه السلطة استكمالاً لعمل أخيه السلطان قازان .

ولم تذكر المصادر نص المرسوم ، بل ذكرت أنه أمر بحذف إسم أبي بكر وعمر من خطبة الجمعة ، أي ما كان فرضه المنصور العباسي على المسلمين ! وأن يذكر بدله إسم عليٍّ والأئمة الأحد عشر من ولده عليه السلام ، فثارت نائرة أتباع الخلافة ورفعوا عقيرتهم بأنه بدعة في الدين ، وصاحوا وناحوا ! مع أنه ليس أكثر من استبدال إسم صحابين بأسماء العترة النبوية الذين هم صحابة وأهل بيت عليهم السلام .

والأمر الثاني ، الذي ذكرته المصادر من عمل السلطان خدابنده ، أنه كتب أسماء الأئمة الإثني عشر عليهم السلام على العملة الذهبية والفضية .

والأمر الثالث ، أنه أنشأ في عدد من المناطق داراً باسم (دار السيادة) لخدمة السادة من ذرية النبي عليه السلام من أبناء علي وفاطمة عليهما السلام ، وهي مؤسسات اجتماعية تهتم بمعاشتهم ، وحل مشاكلهم ، وتعليمهم .

والأمر الرابع ، أنه أعاد (حَيَّ على خير العمل) الى الأذان ، وهذه الفقرة لها أهمية وتاريخ ، فقد حذفها عمر بن الخطاب من الأذان وهدد من يقولها ، وأصرَّ عليها أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عبر العصور ، حتى صارت علامةً للشيعة الإمامية والزيدية ، وشعاراً للثورة على نظام الخلافة ، ولذا خصصناها بعنوان !

والأمر الخامس ، أن السلطان عمّم مصادر مذهب أهل البيت عليهم السلام ونشر كتب علمائه ، خاصة نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي ، وقد نص المؤرخون على أن كتب العلامة الحلي رحمته الله دُرّست في حياة مؤلفها ، وهذا نادراً ما يحصل .

قال الصفدي في الوافي: ٥٤/١٣: «الحسن بن يوسف بن المطهر الإمام العلامة ذو الفنون ، جمال الدين ابن المطهر الأسدي الحلي المعتزلي (١) عالم الشيعة وفقيههم صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته ! تقدم في دولة خربندا تقدماً زائداً ، وكان له ممالك وإدارات كثيرة وأملاك جيدة ، وكان يصنف وهو راكب ! شرّح مختصر ابن الحاجب ، وهو مشهور في حياته » . انتهى .

وأول كتاب اشتهر في حياة مؤلفه كتاب تجريد الاعتقاد للمحقق الطوسي رحمته الله وقد شرّحه علماء من مذاهب مختلفة ، ثم اشتهر كتاب العلامة الحلي رحمته الله شرح ابن الحاجب في أصول الفقه ، وفرض نفسه بسرعة للتدريس في مدارس المذاهب الأربعة في مختلف البلاد ، ثم اشتهر كتابه منهاج الكرامة الذي أثار حفيظة المتعصبين كابن تيمية ، فرد عليه بكتاب سماه الرد على الرافضي ، ثم سموه له بعد مدة طويلة: منهاج السنة ! ولا بد أن مصادر مذهب أهل البيت كالكافي ، وكتب الفقه ، وسيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ، قد انتشرت في أنحاء البلاد يومذاك .

أما ما عدا ذلك من الأوضاع الثقافية والدينية فلم تمسه السلطة الشيعية ، بل أبقت المدرسة النظامية والمستنصرية وبقية المؤسسات السنية بأيديهم كما كانت ، حتى أنها لم تضيف إليها تدريس المذهب الشيعي ! وأبقت جهاز القضاء كما كان ، لكن منعت فرض قضاة سنة على مناطق الشيعة .

٨- أضواء على حذف ذكر الشيخين من خطبة الجمعة

أمر الله تعالى المسلمين بالصلاة على نبيهم ﷺ في صلاتهم ، وأن يقرنوا معه آله وعترته ﷺ ، وروت ذلك أصح مصادر السنين . كما أمر تعالى نبيه ﷺ أن يوصي أمته بالقرآن والعتره ﷺ ويقرنهما معاً ، وروت ذلك أصح مصادر السنين !

وقد خضع القرشيون مضطرين فصلوا على النبي وآله ﷺ في صلاتهم ، لكنهم ابتدعوا في غيرها قَرَنَ زعمائهم بالنبي ﷺ ، وبذلك رفعوا شعار: صحابة النبي ، مقابل شعار النبي: أهل بيتي وعترتي ﷺ !

ثم أمر معاوية أن يذم الخطيب في صلاة الجمعة علي بن أبي طالب وأولاده ﷺ ويلعنهم ، فطبق المسلمون ذلك سنين متتالية ، واعتبره بعضهم سنة كسنة النبي ﷺ ، حتى جاء عمر بن عبد العزيز في مطلع القرن الثاني غالغى مرسوم معاوية ، لكنه توفي مسموماً واستمر اللعن الى آخر دولة بني أمية !

وبعد نجاح الثورة العباسية ، اختلف المنصور العباسي مع حلفائه الحسينيين فثاروا عليه ، فأراد أن يغيب العلويين ويرغم أنفهم وأنف نفسه كما قال ! فأمر بمدح أبي بكر وعمر في خطبة الجمعة والدعاء للخليفة !

وكان ذلك في القرن الثاني، وصار سنة الى أن أبطله مرسوم السلطان محمد خدابنده ! قال العلامة الحلي رحمه الله في كتاب نهج الحق/ ٤٩: «ذهبت الإمامية إلى أن الجمعة يجوز فعلها في الصحراء مطلقاً . وقال أبو حنيفة: لا يجوز إلا في نفس المصر أو في موضع يصلى فيه العيد . وقال مالك: لا تصح الجمعة إلا في الجامع .

وقد خالفا عموم القرآن . وقد ظهر من هذه المسائل للعاقل المنصف أن الإمامية أكثر إيجاباً للجمعة من الجمهور ، ومع ذلك يشنعون عليهم تركها حيث إنهم لم يجوزوا الإتيان بالفاسق ومرتكب الكبائر والمخالف في العقيدة الصحيحة ، وأنهم لا يجوزون الزيادة في الخطبة التي خطبها النبي ﷺ وأصحابه والتابعون إلى زمن المنصور . وقال رحمهما الله في منهاج الكرامة / ٦٩ : « فانظر إلى من يغير الشريعة ويبدل الأحكام التي جاء بها النبي ﷺ ويذهب إلى ضد الصواب ، معاندة لقوم معينين هل يجوز اتباعه والمصير إلى أقواله ؟! مع أنهم ابتدعوا أشياء اعترفوا بأنها بدعة وأن النبي ﷺ قال: كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فإن مصيرها إلى النار ! وقال رحمهما الله : من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو رد عليه !

ولو ردُّوا عنها كرهته نفوسهم ، ونفرت قلوبهم ! كذكر الخلفاء في خطبتهم ، مع أنه بالإجماع لم يكن في زمن النبي ﷺ ، ولا في زمن أحد من الصحابة والتابعين ، ولا في زمن بني أمية ، ولا في صدر ولاية العباسيين ، بل هو شيء أحدثه المنصور ، لما وقع بينه وبين العلوية فقال: والله لأرغمن أنفي وأنوفهم وأرفع عليهم بني تيم وعدِّي ! وذكر الصحابة في خطبته ، واستمرت هذه البدعة إلى هذا الزمان ! (منهاج الكرامة / ٦٩).

على ضوء هذا، كان مرسوم السلطان محمد رحمهما الله تصحيحاً لتحريف المنصور لسنة النبي ﷺ ، وحذفاً لما ابتدعه واستدركه على رسول الله ﷺ !

وقد شهد بعض علمائهم بأن ذكر أبي بكر وعمر في خطبة الجمعة ، بدعة !

قال المقرئ في إمتاع الإسماع: ٣/ ١١ : « قال الشيخ محي الدين أبو زكريا النووي:

واتفقوا على جواز جعل غير الأنبياء (كالصحاباء) تبعاً لهم في الصلاة ، ثم ذكر هذه الكيفية وقال: الأحاديث الصحيحة في ذلك ، وقد أمرنا به في التشهد ولم يزل السلف عليه خارج الصلاة أيضاً . قالوا: ومنه الأثر المعروف عن بعض السلف: اللهم صل على ملائكتك المقربين وأنبيائك المرسلين ، وأهل طاعتك أجمعين ، من أهل السماوات والأرضين . وأجيب: بأن ادعاء الإنفاق غير معلوم الصحة فقد منع جماعة الصلاة على غير الأنبياء ﷺ مفردة وتابعة كما تقدم ، فمن جعل الإنفاق ؟ وهذا التفصيل الذي ذكرتموه وإن كان معروفاً عن بعضهم في أصلهم بقوله: بل يمنعه . وهب أنا نجوز الصلاة على أتباعه بطريق التبعية له ، فمن أين يجوز إفراد المقرّ أو غيره بالصلاة عليه إستقلالاً ؟!

ودعواكم أن الأحاديث صحيحة في ذلك غير مسلم بها ، فأين تجدون في الأحاديث الصحيحة الصلاة على غير النبي ﷺ وأزواجه وذريته ، حتى قلت (والصحاباء) ؟ فليس فيما ذكر الصحابة ولا الأتباع !

وكذا قولكم وقد أمرنا به في التشهد ، فما أمرنا في التشهد إلا بالصلاة على آله وأزواجه وذريته فقط ، دون من عداهم ، أوجدونا ولن تجدوه أبداً . انتهى .

ولهذا استنكر الحافظ المحدث عبد الله الصديق الغماري المغربي ، على الإمام الوهابي ناصر الألباني وحكم عليه بأنه مبتدع ، لأنه يضيف الصحابة في صلاته على النبي ﷺ ! وكتب رسالة سماها: القول المقنع في الرد على الألباني المبدع ، قال فيها: «ونبه هنا على خطأ وقع من جماهير المسلمين قلده فيه بعضهم بعضاً ، ولم يتفطن له إلا الشيعة ! ذلك أن الناس حين يصلون على النبي ﷺ يذكرون معه

أصحابه ، مع أن النبي ﷺ حين سأله الصحابة فقالوا: كيف نصلي عليك؟ أجابهم بقوله: قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد . وفي رواية: على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم . ولم يأت في شيء من طرق الحديث ذكر أصحابه ! مع كثرة الطرق وبلوغها حد التواتر! فذكرُ الصحابة في الصلاة على النبي ﷺ زيادة على ما علمه الشارع ، واستدراك عليه وهو لا يجوز ! وأيضاً فإن الصلاة حق للنبي وآله ﷺ ولا دخل للصحابة فيها ، لكن يترضى عنهم . انتهى . ورد عليه الألباني في مقدمة سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٨/٣ ، بعدة صفحات لكنه لم يأت بباطل !

٩- لماذا اخترع المنصور الترمذي على الشيخين في خطبة الجمعة

أسس الحسينيون حركة الثورة على الأمويين ، وبايعهم العباسيون وكانوا أتباعاً لهم ، فقد بايعوا محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى على أنه المهدي الموعود ! وكان المنصور يأخذ بركابه ويقول: هذا مهدينا !

ثم اتفق العباسيون من وراء ظهر الحسينيين مع قائد الثورة أبي مسلم الخراساني فغضب الحسينيون وثاروا على العباسيين بعد توليهم السلطة بمدة ، واحتلوا اليمن والحجاز والبصرة ، وقاد إبراهيم بن عبدالله بن الحسن سبعين ألف مقاتل نحو الكوفة وكاد يحتلها ، وهياً المنصور العباسي فرسه للهرب وهو يصيح: أين قول صادقهم ، يقصد الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث أخبره بأنه سيحكم !

وشاء الله أن يصيب إبراهيم قائد الجيش الحسيني سهمٌ طائر فيقتله ، فانفرط

جيشه وانتصر العباسيون !

عندها فكر المنصور العباسي أن يضرب أبناء علي عليه السلام كلهم بمن فيهم الحسينيون ، ويأخذ منهم المرجعية الدينية ، فيؤسس مذهباً مقابلهم !

ثم صعد موقفه ليغيض العلويين عامة ، فتبنى تنقيص مكانة علي عليه السلام وتضخيم مكانة أبي بكر وعمر ، وقال كلمته المشهورة: «والله لأرغمن أنفي وأنوفهم وأرفع عليهم بني تيم وعدي»! وأمر بمدح أبي بكر وعمر في الجمعة ! (منهاج الكرامة/ ٦٩). وبدأ المنصور بنفسه في ذلك فصلى الجمعة ومدح أبا بكر وعمر في خطبة الصلاة ! وأمر مالكا إمام المذهب بسياسته الجديدة !

«قال مالك: قال لي المنصور: من أفضل الناس بعد رسول الله ؟ فقلت: أبو بكر وعمر . فقال: أصبت ، وذلك رأي أمير المؤمنين » . (النهاية/ ١٠/ ١٣٠).

وكان مالك بعدها يظهر تأسفه ، لأنه خالف سياسة المنصور الجديدة ، وكتب في كتابه الموطأ أحاديث تدم الصحابة ، وهي أحاديث الحوض ، التي تنص على أن الصحابة يدخلون النار ولا ينجو منهم إلا مثل هَمَل النعم ، حسب تعبير البخاري ! لكن كتاب مالك كان انتشر ولا يمكنه حذف ذم الصحابة منه !

قال الحافظ المغربي في فتح الملك العلي/ ١٥١: «حكى عن مالك أنه قال: ما ندمت على حديث أدخلته في الموطأ إلا هذا الحديث! وعن الشافعي أنه قال: ما علمنا في كتاب مالك حديثاً فيه إزراء على الصحابة إلا حديث الحوض ، ووددنا أنه لم يذكره » !

ومعنى ذلك أن العباسيين غيروا سياستهم مئة وثمانين درجة ، وتبنوا سياسة

الأمويين التي ثاروا عليها مع الحسينيين بشعار يالشارت الحسين ، والدعوة الى الرضا من آل محمد ، والبراءة من بني أمية وظالمي آل محمد رحمته الله !

١٠- وصارت بدعة المنصور ديناً عند أتباع بني أمية !

من يومها صار الغلو في أبي بكر وعمر وتنقيص حق أهل البيت عليهم السلام ديناً رسمياً تجبر الحكومة الناس عليه ، وتكفر من لا يوافقها وتهدر دمه !

وقد قتلوا ألفاً مؤلفة من المسلمين قديماً وحديثاً من أجل أبي بكر وعمر ، وألبسوا قتلهم ثوباً دينياً ! وهذا سبب بغضهم للسلطان خدابنده ، وتشويههم لشخصيته رحمته الله ! وهو سبب عقدة ابن تيمية من كتاب منهاج الكرامة ومؤلفه العلامة الحلي رحمته الله ! قال ابن تيمية في منهاجه: ١٦٥/٤: «والرافضة شر من هؤلاء وهؤلاء (النواصب والخوارج) يبغضون أبا بكر وعمر وعثمان ويسبونهم ، بل قد يكفرونهم ، فكان ذكر هؤلاء وفضائلهم رداً على الرافضة . ولما قاموا في دولة خدابنده الذي صنف له هذا الرافضي هذا الكتاب ، فأرادوا إظهار مذهب الرافضة وإطفاء مذهب أهل السنة والكتاب ، وعقدوا ألوية الفتنة وأطلقوا عنان البدعة ، وأظهروا من الشر والفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد .

وكان مما احتالوا به أن استفتوا بعض المنتسبين إلى السنة في ذكر الخلفاء في الخطبة هل يجب ؟ فأفتى من أفتى بأنه لا يجب ، إما جهلاً بمقصودهم ، وإما خوفاً منهم وتقية لهم ، وهؤلاء إنما كان مقصودهم منع ذكر الخلفاء ، ثم عوضوا عن ذلك بذكر علي والأحد عشر الذين يزعمون أنهم المعصومون .

فالمفتي إذا علم أن مقصود المستفتي له أن يترك ذكر الخلفاء ، وأن يذكر الإنسي عشر وينادي بحي على خير العمل ليبطل الأذان المنقول بالتواتر من عهد النبي ، ويمنع قراءة الأحاديث الثابتة الصحيحة عن رسول الله (يقصد في فضل أبي بكر وعمر) ويعوض عنها بالأحاديث التي افترها المفترون (في مدح أهل البيت عليهم السلام) ويبطل الشرائع المعلومة من دين الإسلام ، ويعوض عنها بالبدع المضلة ، ويتوسل بذلك من يتوسل إلى إظهار دين الملاحدة ، الذين يطنون مذهب الفلاسفة ويتظاهرون بدين الإسلام ، وهم أكفر من اليهود والنصارى ، إلى غير ذلك من مقاصد أهل الجهل والظلم الكائدين للإسلام وأهله ، لم يحلَّ للمفتي أن يفتي بها يجرُّ إلى هذه المفاصد !

وإذا كان ذكر الخلفاء الراشدين هو الذي يحصل به المقاصد المأمور بها عند مثل هذه الأحوال ، كان هذا مما يؤمر به في مثل هذه الأحوال ، وإن لم يكن من الواجبات التي تجب مطلقاً ولا من السنن التي يحافظ عليها في كل زمان ومكان . فقد اعترف ابن تيمية بأن ذكر أبي بكر وعمر في خطبة الجمعة من فعل المنصور ولا دليل على تشريعه ! لكنه مع ذلك أفتى بأن ذكرهما واجب وإن كان لا أصل له في الدين ، لأجل حفظ (الدين) ! (راجع نقد السيد الميلاني لاستدلال ابن تيمية في شرح منهاج الكرامة: ١/ ٣١٦) .

وختاماً ، تدل النكتة التالية على مبالغتهم في فرض الشيخين على عوام المسلمين ، رواها شيخهم أبو حيان في البصائر والذخائر / ٧١٢ ، قال : « قال بعض المغفلين وقد جرى ذكر الصحابة : أنا لا أعرف إلا الشيخين : الله ، والنبي ! »

١١- الآثار الإيجابية لمرسوم السلطان المغولي بتبني التشيع

كان ذلك المرسوم إنصافاً ضرورياً لمذهب أهل البيت عليهم السلام ، وإنهاءً لمنعهم من ممارسة مذهبهم وإجبارهم على مذهب الخليفة ! كما كان كسراً للتعنيم العباسي الجائر ، ومنع الأمة من التعرف على أئمة العترة النبوية ، ومذهبهم وعلومهم وسيرتهم العطرة عليهم السلام ، وأنهم هم أهل البيت وآل النبي صلى الله عليه وآله المطهرون ، الذين أوصى بهم ، وليس زوجات النبي وبني العباس ، كما أشاع إعلام السلطة !

ولهذا تنفس الشيعة الصعداء ، وفرحوا في كافة البلاد كما نص المؤرخون ، وقد روى الصفدي في الوافي: ١٢٩/٢ ، قصيدة ابن الحسام العاملي في تأييد هذا المرسوم ، فقال: «السلطان خربندا محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكوب بن جنكز خان المغولي القان غياث الدين خدابندا ، معناه عبد الله ، وإنما الناس غيره وقلوا خربندا ، صاحب العراق وأذربيجان وخراسان ، ملك بعد أخيه غازان وكانت دولته ثلاث عشرة سنة... وكان مسلماً فما زال به الإمامية إلى أن رَفَضُوهُ وَغَيَّرَ شعار الخطبة وأسقط ذكر الخلفاء من الخطبة سوى علي رضي الله عنه... ولما تشيع السلطان خدابندا المذكور قال جمال الدين إبراهيم بن الحسام ، المقيم بقرية مجدل سلم من بلاد صفد ، يمدحه:

وأخصُّه بمدايحي وثنائي	أهدي إلى ملك الملوك دعائي
جهلاً فقيه عقيدي وولائي	وإذا الوري والوأملاك غيره
ساد الملوك بدولة غراء	هذا خدابندا محمد الذي

ملكُ البسيطة والذي دانت له أكنافُها طوعاً بغيرِ عناء
اغتك هيتك التي أعطيتها عن صارم أو صعدة سمراء
ولقد لبستَ من الشجاعة حُلَّةً تغنيك عن جيش ورفع لواء
ملاً البسيطة رغبةً ومهابةً فالناس بين مخافة ورجاء
من حوله عُصَبُ كآساد الشرى لا يرهبون الموت يوم لقاء
وإذا ركبت سرى أمامك للعدى رعبٌ يقلقلُ أنفُس الأعداء
ولقد نشرتَ العدل حتى أنه قد عمَّ في الأموات والأحياء
فلسيَّهن ديناً أنت تنصرُ ملكه وطبيَّسه السداري بحسَم الداء
نبَّهته بعد الخمول فأصبحت تعلو بهمته على الجوزاء
وبسطت فيه بذكر آل محمد فوق المنابر ألسُن الخطباء
وغدَّت دراهمك الشريفة نقشُها باسم النبيِّ وسيد الخلفاء
ونقشتَ أسماء الأئمة بعده أحسنَ بذاك النقش والإسماء
ولقد حفظتَ عن النبي وصيةً ورفعتَ قرباءهُ على القرباء
فابشر بها يوم المعاد ذخيرةً يُجزيكها الرحمنُ خيرَ جزاء
يا ابن الأكساسة الملوك تقدموا وورثتَ ملكهم وكل علاء انتهى.

ومن جهة ثالثة ، فقد فتح مرسوم السلطان خدابنده الباب رسمياً أمام فكر أهل البيت عليه السلام بأصالته وقوته ، فشقت أحاديثهم وسيرتهم طريقها بقوة وجاذبية ، وانفتح الباب أمام مؤلفات علماء مذهبهم ، خاصة مؤلفات المرجعين العبقريين نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي، واحتلت مكان الصدارة والإعجاب في

حواضر العالم الإسلامي، وعند كبار علماء المذاهب .

وقد بخلت مصادر التاريخ بأكثر أخبار هذه الفترة ، بسبب أنه جاءت بعدها موجة حكم الشراكسة والعثمانيين ، المعادين للشيعة ، الحريصين على تشويه تاريخهم ! وسترى مدى ظلم مؤرخيهم لعهد السلطان المتشيع وابنه بو سعيد ! ومن جهة رابعة: ضمن هذا المرسوم تطبيق سياسة المذهب الشيعي في إعطاء الحرية لكل المذاهب ، وهو ما لا يستطيع توفيره غيره !

كما ضمن الإنفتاح العلمي على التطوير والإعمار ، وهو ما يتميز به المذهب الشيعي عن غيره ، فإن نظرة الى الإعمار والخدمات والتقدم الإقتصادي الذي تحقّق للعراق في ظل الحكم الشيعي ، وإحصائية بسيطة لعدد العلماء والمؤلفات في ذلك العهد وما بعده ، تضع يدنا على سعة ما قام به ذلك السلطان الشيعي ، بتوجيه نصير الدين والعلامة وتلاميذهم ، وما أثمرته مشاريعهم .

١٢- عمل النواصب لتشويه شخصية السلطان محمد خدابنده

وسبب غضبهم عليه أنه تبنى مذهب أهل البيت وكتب أسماءهم عليهم السلام على العملة ، وأمر بذكرهم في خطبة الجمعة بدل أبي بكر وعمر . فاستحق بذلك عندهم أن يخفوا محاسنه وعدله ، وأن يفتروا عليه ويسموه (عبد الحمار) !

قال السيد المرعشي في شرح إحقاق الحق: ١/ ٧٠: «قال المؤرخ الجليل معين الدين النطنزي في كتابه منتخب التواريخ ، الذي شرع في تأليفه سنة ٨١٦ وأتمه سنة ٨١٧ ، وطبع بطهران ١٣٣٦ ، ما ملخصه: إن السلطان محمد خدابنده الجايتو كان ذا

صفات جليلة وخصال حميدة ، لم يقتَرَفْ طيلة عمره فجوراً وفسقاً ، وكان أكثر مجالسته للفقهاء والزهاد والسادة الأشراف . ووقفه الله لتأسيس صدقات جارية منها: أنه بنى ألف دار من بقاع الخير والمستشفيات ، ودور الحديث ، ودور الضيافة ، ودور السيادة ، والمدارس ، والمساجد ، والخانقاهات ، بحيث أراح الحاضر والمسافر ، وكان زمانه من خير الأزمنة لأهل الفضل والتقوى .

حكم البلاد ستة عشرة سنة من بلاد العجم إلى إسكندرية مصر وإلى ما وراء النهر ، توفي سنة ٧١٧ أو ٧١٩ ، ودفن بمقبرته التي أعدها في بلدة سلطانية...

وقال مولانا العلامة السعيد القاضي الشهيد في المجالس ما محصله: إن لفظة أوجايتو (الجايتو) كلمة مغولية معناها بالفارسية (فرخنده). (أي المبارك).

ومن آثاره دار السيادة في أصفهان وكاشان وسيواس من بلاد الروم ، وفي مشهد أمير المؤمنين عليه السلام ، وبالشام وديار بكر وغيرها ، وعيّن لها الأوقاف ..

وراج حال أهل العلم والفضل في دولته بحيث رتب لهم مدرسة سيارة ، وكان ينتقل معه أينما انتقل جماعة من العلماء والمدرسين والمشتغلين كمولانا العلامة الحلي ، والمولى بدر الدين التستري ، والمولى نظام الدين عبد الملك المراغي ، والمولى برهان الدين ، والخواجة رشيد الدين ، والسيد ركن الدين الموصللي ، والكاتب القزويني ، والكيشي ، وقطب الدين الفارسي ، وغيرهم .

وفي كتاب تحفة الأبرار المخطوط للعلامة آقا محمد جعفر الكرمانشاهي قال: وكان الجايتو من أفاضل الملوك ، سريع الانتقال حاضر الجواب ، وتحكى عنه في سرعة الذهن وحضوره غرائب وعجائب ... ولهذا الملك الجليل عدة بنين وبنات

أشهرهم ابنه السلطان أبو سعيد ، وله وإخوته عقب متسلسل ، فيهم الفقهاء والأمرء والشعراء وأرباب الفضل والورع والتقوى .

وبعدما اختار التشيع لُقب (خدا بنده) وقد غيرَ بعض المتعصين من العامة كابن حجر العسقلاني وغيره ذاك اللقب الشريف إلى (خربنده) وذلك لحميتهم الجاهلية الباردة ! ومن الواضح لدى العقلاء أن طهارة لسان المؤرخ من البذاءة والفحش ، من الشرائط المهمة في قبول نقله والإعتماد عليه . وقد نبزوه بهذا اللقب لبغضهم آل الرسول ﷺ هذا الداء الدفين في قلوبهم وتلك الأحقاد البدرية والحنينية ! وهاك صورة الدراهم التي ضربت باسمه في محيطها أسماء الأئمة الطاهرين عليهم الصلاة والسلام ، وفي وسطها هذه الجملة:

(ضرب في أيام دولة السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم الجائتو سلطان غياث الدنيا والدين خدا بنده محمد خلد الله ملكه) .

وعندنا شيء من تلك السكك والضروب ، وقد نقشت أسماء المعصومين عليهم السلام متصلة بمحيط الدائرة الكائنة على السكة ، وفي وسطها اسم السلطان . انتهى .

أقول: المغول والماليك من فصيلة واحدة ، والحكم الشرعي فيهما أنهما فئتان تسلطتا على بلاد المسلمين بدون رضاهم ، فالحكم فيهما كإناءين لا يصلحان لشرب ولا وضوء: أَهْرِقْهُمَا وَتَيِّمَ ! فلماذا يقبل السنيون الماليك ويمدحونهم ، ولا يقبلون المغول ؟! نعم ، لقد أفسد المغول ودمّروا ، ثم استعمروا بشكل غير مباشر وعمّروا ! وغزا الماليك الأمة من الداخل بإفساد أقل ، لكنهم استعمروا بشكل مباشر وأفسدوا أكثر ؟! فلماذا يفضلونهم على المغول ؟!

السبب أن رواة الخلافة لا يهجمهم ظلم المالك والمغول ولا عدلهم ، وإنما يهجمهم مذهبهم وهل هم سنة ليمدحهم ، أو شيعة ليذموهم ! فلا تنتظر منهم أن يمدحوا السلطان خدا بنده الشيعي ، إلا في فلتاتهم !

لقد مدحوا أخاه السلطان قازان ، وولده السلطان بهادر بو سعيد ، الذي حكم مدة أطول من أبيه ، لأنهم جعلوهما سُنيَّين !

لكنهم لم يستطيعوا أن يقولوا إن خدا بنده كان سنياً ، لأنه أصدر مرسوماً أبطل فيه مرسوم المنصور العباسي بمدح أبي بكر وعمر وعثمان في خطبة الجمعة ، وأمر أن يمدح الخطيب بدلم علياً والأئمة من أولاده عليه السلام ! ولهذا شوها صورته ما استطاعوا ، ولم يشفع له أنه ضمن حرية المذاهب واحترم علماءها ، وأنه عمَّر العراق بواسطة حكامه الجوينيين ، حتى عاد أفضل مما كان في عهد العباسيين !

إن كرههم لهذا السلطان وصل إلى حد العقدة ، لمجرد أنه قال إن النبي ﷺ لم يأمرنا بذكر إسم أبي بكر وعمر بعد صلاة الجمعة ، بل أوصى بالقرآن والعترة فاذكروهم في خطبة الجمعة ! فصار من أهل النار ، وصار الكذب عليه واجباً ! وأول ما كذبوا عليه أنهم سموه (عبد الحمار) لأن إسمه محمد ولقبه (خدا بنده) وهو فارسي بمعنى عبدالله ، فجعلوه (خريندا) أي عبد الحمار !

وهذا يعني أن الذين ارتكبوا الكذبة فُرُسُ أقحاح ، لأن الذي يغير (خدا بنده) إلى (خريندا) هو فارسي متمكن من الفارسية !

قال في مآثر الإنافة: ٢/ ١٢٨: «وملك بعده أخوه خدا بندا ، والعامّة تقول خريندا» .

أقول: يتهم القلقشندي العامة بذلك ، وقد ترجم له أكثر علمائهم باسم (خريندا) ومنهم القلقشندي نفسه ! فهل هو والذهبي وابن حجر وابن كثير وابن خلدون وأمثالهم ، من العوام الذين لا يفهمون ؟!

بل الذي غير لقبه علماء السوء ، وقد اخترعوا لذلك سبباً فزعم ابن تغري الشركسي الشامي في النجوم الزاهرة: ٢٣٨/٩، أنه وجد سبب تسمية أبيه له (عبد الحمار) ! قال: « ومن الناس من يسميه خُدايندا بضم الخاء المعجمة والبدال المهملة ، والأصح ما قلناه (أي خريندا) ! وخدايندا معناه عبد الله بالفارسي ، غير أن أباه لم يسمه إلا خريندا وهو اسم مهمل معناه عبد الحمار ! وسبب تسميته بذلك أن أباه كان مهتماً ولد له ولد يموت صغيراً ، فقال له بعض الأتراك: إذا جاءك ولد فسمه إسماً قبيحاً يعيش ، فلما ولد له هذا سماه خريندا في الظاهر واسمه الأصلي أبجيتو (المبارك) فلما كبر خريندا وملك البلاد ، كره هذا الإسم واستقبحه ، فجعله خدايندا ، ومشى ذلك بمماليكه وهدد من قال غيره ، ولم يُفده ذلك إلا من حواشيه خاصة !

ثم قال ابن تغري: « ولما ملك خريندا أسلم وتسمى بمحمد ، واقتدى بالكتاب والسنة ، وصار يحب أهل الدين والصلاح ، وضرب على الدرهم والدينار إسم الصحابة الأربعة الخلفاء (هذا كذب) حتى اجتمع بالسيد تاج الدين الآوي الرافضي وكان خبيث المذهب ، فما زال بخريندا حتى جعله رافضياً ، وكتب إلى سائر ممالكه يأمرهم بالسب والرفض ! ووقع له بسبب ذلك أمور !

قال النويري: كان خريندا قبل موته بسبعة أيام قد أمر بإشهار النداء ألا يذكر

أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وعزم على تجريد ثلاثة آلاف فارس إلى المدينة النبوية لينقل أبا بكر وعمر من مدفنهما ، فعجل الله بهلاكه إلى جهنم وبئس المصير هو ومن يعتقد معتقده كائناً من كان . انتهى.

أقول: هذا مثال على تعمدهم الكذب بأنه لم يعيش لأبيه أولاد فسياه عبد الحمار! وهم يعرفون أن السلطان قازان أخوه ، بشهادتهم: «ولما هلك قازان ولي بعده أخوه خربندا وابتدأ أمره» (تاريخ الذهبي: ٣٧/٥٢، وابن خلدون: ٥٤٩/٥) .

وذكروا له إخوة أكبر منه وهم: نوروز بن أرغون بن أبغا (الدرر الكامنة: ٢٥/٤) وبيدار بن أرغون (نهاية ابن كثير: ٣٨٥/١٣) ! لكنهم يكذبون جهاراً لنصرة السنة ! ومن كذبهم قولهم إنه أراد نبش قبر أبي بكر وعمر والقاء عظامهما من عند قبر النبي ﷺ فحدثت معجزة ، ومات بعد سبعة أيام !

ومن كذبهم ما قاله في السلوك: ٥١٣/٢: «وكان رافضياً قتل أهل السنة ! وكان منهمكاً في شرب الخمر متشاغلاً باللهو ! وقام بعده ابنه أبو سعيد بعهدته إليه . وكان مُحَوَّلاً بإحدى عينيه ، عادلاً في رعيته ، ملك ثلاث عشرة سنة وأشهرأ » .

وقال في مآثر الإنافة: ١٢٨/٢، تحت عنوان (خربندا): «افتتح أمره بالدخول في الإسلام ، وتسمى بمحمد وتلقب غياث الدين ، وأقام دين الإسلام وعظَّم الخلفاء ، وكتب أسماءهم في سكتته على الدراهم والدنانير...» .

وقال ابن خلدون: ٥٤٩/٥: «ولما هلك قازان ولي بعده أخوه خربندا... ثم صحب الروافض فساء اعتقاده وحذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش أسماء الأئمة

الإثني عشر على سكته ، ثم أنشأ مدينة بين قزوين وهمذان وسماها السلطانية ونزلها، واتخذ بها بيتاً لطيفاً بلبن الذهب والفضة ، وأنشأ بإزائها بستاناً جعل فيه أشجار الذهب بثمر اللؤلؤ والفصوص ، وأجرى اللبن والعسل أنهاراً ، وأسكن به الغلمان والجواري تشبيهاً له بالجنة ، وأفحش في التعرض لحرمت قومه !

ثم سار إلى الشام سنة ثلاث عشرة وعبر الفرات ونزل الرحبة ورجع ، ثم هلك . ويقال مات مسموماً على يد بعض أمرائه ، سنة ست عشرة » . انتهى .

أقول: لم يذكر ابن خلدون ولا غيره مصدراً لكلامهم عن السلطان الشيعي خدابنده ، مع أن عصره قريب منهم ، ومن عادة الكذابين في التاريخ أن لا يذكروا مصدراً ، لأنه لا يوجد ! وقد يسندونه الى مجهول فيقولون: قال أهل العلم !

لقد توفي السلطان خدابنده سنة ٧١٦ ، وتوفي ابن خلدون سنة ٨٠٨ ، ومعناه أنه رأى بقايا الجيل الذين عاصروا السلطان ! لكن ذم الشيعة عنده لا يحتاج الى مصدر فليكتب ما شاء ، وأتباع الخلافة يصدقونه ويدافعون عنه !

وزاد ابن خلدون: ٤٩٤/٥: «وشاع بين الناس أنه داخل الروافض الذين عند خربندا في إخراج الشيخين من قبريهما ، وعظم ذلك على الناس» . انتهى .

لاحظ قوله: وشاع بين الناس ! لكن ابن تغري والذهبي قالوا إنه أمر المسلمين بسب أبي بكر وعمر فظهرت معجزة ! وإن شمس الدين الموصلی عندما سبها: وَرِمَتْ عيناه حتى كادتَا تخرجان من وجهه ، واسودَّ جسمه حتى بقي كالقير وانتفخ ، وخرج من حلقه شيء يصرع الطيور (صغير شديد!) فحمل إلى بيته فما جاوز ثلاثة أيام حتى مات ، ولم يتمكن أحد من غسله مما يجري من جسمه

وعينيه ودفن... جاء إلى بغداد أصحابنا وحدثوا بهذه الواقعة وهي صحيحة! (الوافي: ١٨/٣، وذيول العبر: ٤٦/٦).

١٣- وزاد ابن تيمية على الجميع في التجني

قال في منهاجه: ٣٧٥/٦: «والرافضة إذا تمكنوا لا يتقون، وانظر ما حصل لهم في دولة السلطان خدابندا، الذي صنف له هذا الكتاب، كيف ظهر فيهم من الشر الذي لو دام وقوي، أبطلوا به عامة شرائع الإسلام». انتهى.

وقال في منهاجه: ٤٣٠/٨: «ولقد بلغني عن ملك المغول خدابنده الذي صنف له هذا الرافضي كتابه هذا في الإمامة، أن الرافضة لما صارت تقول له مثل هذا الكلام إن أبا بكر كان يبغض النبي (ص) وكان عدوه، ويقولون مع هذا إنه صحبه في سفر الهجرة الذي هو أعظم الأسفار خوفاً! قال كلمة تلزم عن قولهم الخبيث، وقد برأ الله رسوله منها لكن ذكرها على من افترى الكذب الذي أوجب أن يقال في الرسول مثلها، حيث قال: كان قليل العقل! ولا ريب أنه فعل ما قالته الرافضة فهو قليل العقل، وقد برأ الله رسوله وصديقه من كذبهم، وتبين أن قولهم يستلزم القدح في الرسول!»

فقد تخوف ابن تيمية من قوة السلطان والشيعة! وأضاف أنه بلغه من مجهول أن السلطان كافر، لأنه اتهم النبي ﷺ بأنه لا عقل له، لأنه صحب أبا بكر!

١٤- أخفوا كل منجزات السلطان محمد خدابنده!

وقد تعمدوا كتمان فضائل هذا السلطان الشيعي ومنجزاته ، فاكتفى بعضهم بقوله (كان عادلاً في رعيته) (السلوك: ٥١٣/٢) ! وأهملوا ذكر الحريات والعمران في عصره ، وإطلاقه يد الجوينيين حتى عمَّروا العراق بمستوى قياسي ! ولم يذكروا خدماته في الحرمين وطريق الحج ومشاهد أهل البيت عليه السلام ، وأنه أراح الحجاج والزوار والمسافرين ، ولا ذكروا ازدهار المكتبات والمدارس والعلم والعلماء في عهده ، ولا إنشاءه جامعة في السلطانية جاء لها بكبار علماء المذاهب الأربعة من العالم ، وكان يجلس في بعض دروسهم ، وكان يجالس العلماء ويحبهم .

وأنه برعايته للمذاهب السنية ظهر منها علماء كبار مشهورون كصدر جهان الحنفي ، ونظام الدين المراغي ، والعضدي الإيجي ، وبدر الدين الشوشري ، وقطب الدين اليمني التستري ، وغيرهم ، وغيرهم .

وغاية ما قاله ابن كثير: «كان موصوفاً بالكرم ومحباً للهو واللعب والعمائر» (النهاية: ٨٨/١٤) ولم يقل أي هو ، ولم يقل إن تلك العمائر هي المدارس والمكتبات ومحطات طريق الحج ! وقد أشرنا الى كثرة العلماء والمؤلفات ، والى واردات الأوقاف الضخمة وجوائز الدولة السخية للمؤلفين . (راجع: تاريخ المغول للدكتور عباس إقبال ، فقد أُرِّخَ للجوانب الحضارية والعمرانية ونبوغ الشخصيات في عهودهم) .

ولا ذكروا الموسوعة التاريخية برعاية محمد خدابنده ، التي قال عنها في كشف الظنون: ٥٣٩/١: «جامع التواريخ فارسي، لخواجه رشيد الدين فضل الله الوزير

المقتول في سنة ٧١٨، وهو تاريخ كبير في دولة جنكيز وأولاده، ذكر فيه أنه لما شرع في التبييض مات السلطان غازان في شوال سنة ٧٠٤، وجلس مكانه ولده خدابنده محمد، فأمره بإتمامه وإدخال إسمه في العنوان، وأمر أيضاً بإلحاق أحوال الأقاليم وأهلها، وبأن يجعل جامعاً لتفاصيل ما في كتب التواريخ. وأمر من تحت حكمه من أصحاب تواريخ الأديان والفرق بالإمداد اليه من كتبهم، وأمر أيضاً بأن يجعله مذيلاً بكتاب صور الأقاليم ومسالك الممالك». انتهى.

وقد ألف الأستاذ المحامي عباس العزاوي كتاباً خاصاً في التعريف بهذه الموسوعة باسم: التعريف بالمؤرخين في عهد المغول، قال فيه: «فرغ منه في شعبان سنة ٧١١، إلا أن المؤلف لم يقف عند حدود هذه السنة، إنما استمر إلى سنة ٧٢٨، فزاد عليه وختمه بمناقب السلطان أبي سعيد، قال: ولم يكتبه للتاريخ، وإنما اتخذ التاريخ وسيلة فأبدى قدرة في التحرير والبلاغة، وصناعة الإنشاء والترصيع والتسجيع، ولكنه مملوء فرائد تاريخية لا يستهان بها بوجه». (مجلة تراثنا/ ٥٨/ ١٨٠).

من هنا يحق للباحث أن يشك فيما دونوه عن عصر خدابنده، فمن باب المثال أنهم كذبوا عليه في سبب معركته مع أهل كيلان، فزعموا أنه فرض عليهم سب المذاهب! قال الذهبي في عبره: ٦/ ٣٤: «أن يكون له عندهم نائب، وأنهم يسبون الأشعري وأبا حنيفة!» لكن ابن كثير قال في النهاية: ١٤/ ٥٠: «وفي المحرم (سنة ٧٠٧) وقعت الحرب بين التتر وبين أهل كيلان، وذلك أن ملك التتر طلب منهم أن يجعلوا في بلادهم طريقاً إلى عسكره، فامتنعوا من ذلك!»!

ثم ذكر ابن كثير أن أهل كيلان أبادوا جيش خدابنده وكان ستين ألفاً! وقال:

«ثم إن ملك التتر أرسل الشيخ براق الذي قدم الشام فيما تقدم إلى أهل كيلان يبلغهم عنه رسالة ، فقتلوه وأراحوا الناس منه ، وبلادهم من أحصن البلاد وأطيبها لاتستطاع ! وهم أهل سنة وأكثرهم حنابلة ، لا يستطيع مبتدع أن يسكن بين أظهرهم ! انتهى.

أقول: جعلوا أهل كيلان وطبرستان سنة ليجعلوا المعركة ضد السنة ! وهذا تزوير فاضح لأنهم شيعة زيديون من زمن الدولة العباسية ، كما شهد المؤرخون !
ففي خلاصة الأثر للمحبي/ ٤٨٦: من كلام العباد مع رجل: «وذلك لأنك كنت كيلانياً وأهل كيلان زيديون». وفي أعيان الشيعة: ١/ ٢٠٠: «جيلان: مشتملة على جبال وعقبات كثيرة والأشجار مشتبكة بينها ، وتنقسم قسمين قسم لاهجان وتوابعها ، وقسم رشت وملحقاته . وأهل تلك البلاد كانوا زيدية جارودية من زمان ناصر الحق الذي كان باعث إسلامهم ، إلى ظهور الشاه عباس ، ثم انتقل سلاطينهم مع أكثر أهل لاهجان إلى مذهب الإمامية».

١٥- محاولتهم قتل السلطان محمد خدابنده !

في الختام ، نذكر تآمر المتعصبين لقتل هذا السلطان المؤمن ، كما ذكرته مصادرهم ، وكان من المتآمرين قاضي بغداد ابن عضية العجمي الحنبلي !

ففي السلوك للمقريزي: ٢/ ٤٧١: «وفيها قدم البريد من حلب بأن خربندا ملك التتر قتل جماعة من خواصه !

وفي الدرر الكامنة: ٥/ ٣٥٨: «محمد بن علي الساجي العجمي ، كان من الكبار

بالعراق ، وأنشأ ببغداد جامعاً غرم عليه ألف ألف ، وغضب عليه خربندا فأمر بقتله ، وقتل الوزير مبارك شاه ، ويحيى بن إبراهيم بن صاحب سنجار ، فقتلوا جميعاً في شوال سنة ٧١١ ، بسبب أن الشريف تاج الدين رفع عليهم عند خربندا أنهم تواطؤوا على قتله . ويقال إن الساوجي حين قدم للقتل صلى ركعتين وودع أهله ، وثبت للقتل وخلع فرجيته على قاتله ! انتهى.

أقول: هذا من عنتریات الحنابلة في شجاعة قاضيهام أمام القتل ! فقد زعموا أن السلطان محمد خدابنده قتله ، بينما قال الصفدي لم يقتله بل عزره بالضرب ، وعاش بعد ذلك عشر سنوات ! قال في الوافي: ٦/ ١٨٥: «أحمد بن حامد بن عصبه القاضي جمال الدين قاضي بغداد الحنبلي ، الذي عُزِر في أيام خربندا ، توفي سنة إحدى وعشرين وسبع مائة !»

والعجب أن ابن حجر أيد ذلك في الدرر الكامنة: ١/ ١٣٥ ، ونقض ما قاله أولاً ! فقال: «ولي قضاء بغداد وعظم قدره عند خربندا، ثم تغير عليه ومات سنة ٧٢١» !



السلطان المغولي بو سعيد بن محمد خدابنده

١- آخر سلاطين المغول السلطان الشاب بو سعيد

(بو سعيد) إسم علم كما نص عليه الصفدي في الوفيات: ٢٠٢/١٠، قال: «بو سعيد ملك التتار صاحب العراق وخراسان وأذربيجان والروم والجزيرة.. والصحيح على أنه علّم بلا ألف ، هكذا رأيت كتبه التي كانت ترد منه على السلطان الملك الناصر يكتب على ألقابه الذهبية (بو سعيد) باللازورد الفائق ، ويزمّك بالذهب ». وقد مدح المؤرخون الشيعة السلطان بو سعيد ، لأنه على خط أبيه في تبني التشيع والحرية المذهبية وسياسة الإعمار . ووافقهم المؤرخون السنة على مدحه ، حتى الذين أبغضوا أباه ، حيث جعلوه سنياً مخالفاً لأبيه فمدحوه !

قال السيد الأمين في أعيان الشيعة: ٣٥٥/٢: «السلطان أبو سعيد بهادرخان بن السلطان محمد خدابنده ، الملقب بالجايتمو خان المغولي..

وملك منهم في بلاد الإسلام واحد وعشرون ملكاً وكانت مدة ملكهم ١٦٨ سنة وشهرين ، من سنة ٦٠٣ إلى سنة ٧٧١ ، ودخلوا في دين الإسلام أخيراً .

وأول من أسلم منهم السلطان أحمد خان بن هولأكو ، ثم غازان خان بن

أرغون بن أبقا بن هولأكو ، وأسلم بإسلامه ثمانون ألفاً من المغول ، ثم أخوه محمد خدابنده الجايتو والد المترجم ابن أرغون ، وتشيع على يد العلامة الحلي... تعلم (بوسعيد) حسن الخط على الخواجة عبد الله الصيرفي ، وكان في الشجاعة ممتازاً على جميع سلاطين المغول.. وكان يصيَّف في مدينة سلطانية ويشتو في بغداد أو قرباب وله ميل تام إلى أهل الفضل والنباهة والشعراء ، وكان حسن السيرة والصورة ، وبقي في السلطنة ١٩ سنة وثلاثة أشهر ، وبعد وفاته وقع المهرج والمرج في المملكة ، ولم يبق لسلاطين المغول بعده إستقلال بالسلطنة في بلاد إيران ، بل كان في كل طرف من إيران ملك حاكم...

ذكره صاحب مجالس المؤمنين في عداد الملوك الشيعة ، ويؤيده أن أباه السلطان محمد خدابنده كان قد تشيع على يد العلامة عليه السلام ، والولد على سر أبيه ، وكذا عم أبيه السلطان أحمد كان قد تشيع ، وكذا عمه السلطان غازان ...

في مجالس المؤمنين: تولى السلطنة بعد أبيه بولاية العهد ، وجاء من خراسان إلى مدينة سلطانية وفي أوائل صفر سنة ٧١٧ جلس فيها على سرير السلطنة وعمره اثنتا عشرة سنة ، وتولى تدبير المملكة الأمير جوبان ، ولم يكن لأبي سعيد من السلطنة إلا الاسم ، فصبر أبو سعيد على ذلك... وأخيراً غضب السلطان على الجوبانيين فأمر بقتل الأمير جوبان وأولاده ، ونهب دوره ودور أولاده وأتباعه ، فأخرجت من دورهم خزائن الأموال ، وأمر بقتل الجوبانيين في جميع الولايات . ولما استقل أبو سعيد بالملك استوزر الخواجة غياث الدين محمد بن الخواجة رشيد الدين الذي قتله الأمير جوبان ! ونشر لواء العدل وبسط بساط الأمن

والرفاهية ، كما ذكره الأوحدي الذي كان من خواص ذلك السلطان في كتابه: جام جم ، والأيميني الشاعر ، كان في زمانه ، وقال في ذلك شعراً بالفارسية. اهـ. وفي بعض التواريخ الفارسية المخطوطة.. تولى السلطان أبو سعيد بهادر خان بن الجايو المُلِك بعد أبيه ، وحيث أنه كان طفلاً ابن اثنتي عشرة سنة ، سلم زمام السلطنة بيد الأمير جويان سلدوز ، فولى الأمير جويان أولاده على البلاد ، فولى ولده الأمير حسن على أيلة خراسان ، وولده الشاه محمود على كرجستان ، وولده الأمير تيمور تاش على ديار بكر والروم ، وجعل ولده الأمير دمشق نائب السلطان . وزوج السلطان بابنة ابنه دلشاد خاتون ، بنت الأمير دمشق ، وعزل الخواجة رشيد الدين من الوزارة ، ثم قتله بتهمة أنه سَمَّ السلطان الجايو ، وكان قتله في حدود أهر سنة ٧١٨ . وبعد مضي ١٢ سنة من سلطنة أبو سعيد تغير على الأمير جويان ، وعشق ابنته بغداد خاتون التي كانت متزوجة بالأمير الشيخ حسن الإيلخاني ! وأراد من جويان أن يطلقها من الأمير الشيخ حسن ويزوجه إياها ، فلم يمكنه الأمير جويان من ذلك ، فقامت بسبب ذلك فتنة عظيمة ذهب فيها الأمير جويان وأولاده الثلاثة ، وكان ذلك آخر أمرهم !

وأخيراً طلق الأمير الشيخ حسن بغداد خاتون وتزوجها السلطان ، وسلم بيدها زمام الحكم ولقبها بخواندكار . وكان الجوبانيون في زمان غازان خان والجايو خان والسلطان محمد خدابنده ، من الأمراء الكبار . انتهى.

ونسجل هنا الملاحظات التالية:

١ - استمر السلطان بو سعيد يدير مملكته من عاصمتهم في إيران ، وهي مدينة السلطانية قرب قزوین . واستمر في عهده حكم العراق لآل الجويني ، الذين قامت سياستهم على الإعمار واحترام الحريات .

وقد سجلت المصادر اهتمام بو سعيد كأيّه بالنهضة العلمية ، فكان يطلب تأليف كتب في موضوعات ، خاصة فيما يتعلق بتاريخ المغول: ككتاب: روضة أولي الألباب في تواريخ الأكابر والأنساب ، في أحوال ملوك خطا وأوصافهم ، لفخر الدين محمد بن أبي داود . (كشف الظنون: ١/٩٢٥). وكتاب: نزهة القلوب ، لحمد الله بن أبي بكر المستوفي ، في التاريخ من زمن النبي ﷺ إلى عصره ، ألفه لوزيره محمد بن رشيد الدين . (أعيان الشيعة: ٢/٣٥٦). وكتاب: نزهت جهان ونادره زمان ، لمعين الدين الأسفرايني ، ألفه بطلب السلطان بو سعيد . (كشف الظنون: ٢/١٩٧٦). وكتاب: مثنوي شاهنامه ، لأحمد بن محمد التبريزي ، نظمه باسم السلطان أبو سعيد خان بهادر ، وهو في التاريخ ، من عهد يافث بن نوح إلى سنة ٧٣٨ ، ويوجد في المتحف البريطاني ٢/٢٧٨٠). (الذريعة: ١٩/٢١٧). وذكر في: ١٩/٢٣٠: (مثنوي شهنشاه نامه أو منظومة أمحمد أحمد بن محمد التبريزي، في تاريخ المغول (المتحف البريطاني: ٢٧٨٠)). (الذريعة: ١٩/٢٣٠). وكتاب: مجمع الأنساب ، لمحمد بن علي بن أبي بكر ألفه باسم السلطان أبو سعيد والأمير محمد بن رشيد الدين . (المتحف البريطاني: ١٦٦٩٦ ، والمليّة بباريس: ١٢٧٨). (الذريعة: ١٩/٢٠). وكتاب: نسائم الأسحار من لطائف الإخبار ، في تاريخ الوزراء بالفارسية لناصر الدين بن متجب المنشي ألفه باسم أبي سعيد بهادر خان في: أيا صوفيا - ٣٤٨٧ بعنوان ألقاب الوزراء . (الذريعة: ٢٤/١٣٢). وكتاب: مثنوي هما وهمايون ، لكمال الدين محمود الكرمانی مدح في مقدمته أبو سعيد بهادر خان والخواجة غياث الدين محمد الوزير . (الذريعة: ١٩/٣٤٢). وكتاب: سمت العلى ، في تاريخ القراختائين في كرمان ، تأليف ناصر الدين المنشي ابطلب من وزيره محمد رشيد الدين . (الذريعة: ١٢/٢٣٠).

٢ - نلاحظ أن المغول كانوا بشكل عام يميلون الى اللغة الفارسية أكثر من

العربية ، والسبب أن الفارسية كانت منتشرة في مناطق بخارى وما وراء النهر المجاورة لهم ، وربما كان هولاء وأولاده يعرفون الفارسية من صغرهم .

ولعلمهم لذلك اتخذوا عاصمتهم السلطانية في إيران ، وكتبوا واستكتبوا مؤلفين بالفارسية ، وكانت الفارسية اللغة الرسمية في بلاطهم ثم العربية ، أما في بغداد فكانت الفارسية منتشرة الى جانب العربية من زمن العباسيين ، لأن أكثر قادتهم العسكريين وعلماء البلاط من الفرس ! كما نلاحظ أن الملوك المغول الذين انتقلوا الى بغداد وحكموها مباشرة بعد بو سعيد ، كانوا يجيدون العربية ، وأولهم الشيخ حسن الجلالي أو الإيلخاني ، فقد كان متعلماً ، يتقن العربية .

٣- يختلف السلطان بو سعيد عن أبيه محمد خدابنده رحمته الله ، فشخصية أبيه أرقى منه وأمتن . وسبب ضعف بو سعيد أنه عندما توفي أبوه سنة ٧١٦ كان غلاماً ابن اثنتي عشرة سنة ، وكان في ولاية والدته وزوج عمته جويان ، وكان رشيد الدين الهمداني وزير أبيه عاقلاً مدبراً ، لكنه كبير السن ، وكان جويان أقوى منه فهو مغولي وقائد جيوش المغول وحاكم تركيا ، لذلك سيطر على البلاط السلطاني بمجرد وفاة خدابنده ، وجعل ابنه دمشق خان ممثلاً له ونائباً للسلطنة ، وقلص نفوذ الوزير رشيد الدين ، ثم اتهمه بقتل خدابنده ، وقتله !

وبلغ من نفوذ جويان أنه منع بو سعيد من التصرف حتى استدان من تاجر ، كما قال ابن بطوطة !

بل فكر جويان بعزل بو سعيد واستبداله بسلطان آخر من أولاد هولاء ، أو الحلول هو مكانه وإن لم يكن هولاء !

وقد سبب ذلك غضب بو سعيد على جوبان وأولاده فقتلهم سنة ٧٢٨، أي عندما صار في سن ٢٣، وليس من أجل أنه عشق بنت جوبان المتزوجة، كما قالوا .

٤ - يمدح رواة الخلافة جوبان أكثر من بو سعيد ، ربما لأن جوبان كان متواطئاً معهم ، يعمل في الخفاء لضرب مذهب التشيع الذي تبناه خدائنده ، والشخصيات الذين قربهم . والنص التالي يكشف عن ذلك !

قال السخاوي في التحفة اللطيفة: ١/ ٢٤٩: «جوبان بن تدوان نائب القان أبو سعيد بن خربندا ، امتلك البلاد المشرقية ، وهو صاحب المدرسة الجوبانية بالمدينة التي بنيت في سنة أربع وعشرين وسبع مائة ، وجعل له فيها تربة ملاصقة لجدار المسجد بين جدار الشباك والحصن العتيق ، واتخذ فيها شباكاً في جدار المسجد وهو اليوم مسدود . كان مناصحاً للمسلمين في الباطن ، وفيه خير ودين... دبر المملكة في أيامه مدة طويلة على السداد ، ثم تغير عليه سلطانه وقتل ولده دمشق خواجاً في سنة سبع وعشرين ، فهمَّ جوبان بمحاربة أبي سعيد ، فلم يتمكن ، ثم ظفر أبو سعيد به فقتله...

وكان شجاعاً مهيباً شديد العطاء كبير الشأن كثير الأموال عالي الهمة ، صحيح الإسلام ، ذا حظ من صلاة وبرّ ، بذل ذهباً كثيراً حتى أوصل الماء إلى بطن مكة وقيل إنه أخذ من ملكه ألف ألف دينار ، وكانت ابنته بغداد خاتون زوجة أبي سعيد ، وابنة تمرتاش متولي ممالك الروم ، وابنه دمشق قائد عشرة آلاف ، وكان سلطان أبو سعيد تحت يده ! ثم زالت سعادتهم وتنمر لهم بو سعيد فقتل دمشق وفر أبوه جوبان إلى والي هراة لاثناً به ، فقتله بأمر أبي سعيد في سنة ثمان وعشرين

وسبع مائة ، ولعله من أبناء الستين ، قاله الذهبي في ذيل سير النبلاء .

وقد ترجمه المجد فقال: الجوبان الأمير الكبير ، نائب المملكة القاءانية وأتابك العساكر المغلية ، ومنشئ المدرسة الجوبانية بالمدينة الشريفة ، وليس بها مدرسة ولا رباط ولا دار أحسن بناء وأتقن وأمكن وأمتن وأحصن منها...

وأطال في مدحه وخدماته في مكة والمدينة ثم قال: وله على المسلمين أياد منها إيقاع الصلح بين السلطانين أبي سعيد والملك الناصر ، ولولاه لشارت فتن تقطعت منها الأواصر وتشققت منها الخواصر ، ومنها ترحيل خربندا عن رحبة مالك بن طوق ، وإخماد تلك الثائرة التي جل غمرها عن الطوق ! يحكي أنه لما نزل خربندا على الرحبة ونصب المجانيق رمى منجنيق قرا سنقر حجراً أزعزع القلعة وشق منها برجاً ، ولو رمى آخر لهدمها ، وكان يطوف على العساكر ويشاهد المحاصرين ، فلما رأى ذلك أحضر المنجنيقي وقال له: تريد أن أقطع يدك الساعة ، وسبه وذمه بانزعاج وحنق وقال: وذلك في شهر رمضان تحاصر المسلمين وترميهم بحجارة المنجنيق ! ولو أراد القاءان أن يقول لهؤلاء المغل الذين معه إرموا على هذه القاعدة تراباً كل فارس مخللة كانوا طموها ، وإنما يريد هو أن يأخذها بالأمان من غير سفك دم ، والله متى عدت لرمي حجر آخر سمرت على سهم المنجنيق ! وكان ينزع النصل من الشباب ويكتب عليه إياكم أن تدعنوا وتسلموا وطولوا روحكم فهؤلاء ما لهم ما يأكلونه ! وكان يحذرهم هكذا دائماً بسهام يرميها إلى القلعة ! ثم اجتمع بالوزير وقال له هذا القاءان ما يبالي ولا يقع عليه عتب وفي غد وبعده إذا تحدث الناس أيش يقولون: نزل

خربندا على الرحبة وقاتل أهلها وسفك دماءهم وأهدرها في شهر رمضان !
 فيقول الناس: فما كان له نائب مسلم ولا وزير مسلم ، وقرر معه أن يحدثا
 القاءان خربندا في ذلك ويحسن له الرحيل عن الرحبة.. وهذه الحركة تكفيه إن
 شاء الله تعالى ذخيرة ليوم حسابه . حَقَّن دماء المسلمين ودَفَعَ الأذى عنهم...
 وأما الصلاح الصفدي فإنه قال: لما جهزت ابنته بغداد تابوته ليدفن بالمدينة بلغ
 الخبر السلطان الملك الناصر ، فجهز الهجن إلى المدينة ، وأمرهم أن لا يمكنوه من
 الدفن في تربته ، فدفن تابوته في البقيع.. توفي في العام المذكور شهيداً ، وخلف
 من الأولاد تمرتاش ، ودمشق خواجا ، وصرغان شبرا ، ويغضبطي ، وسلجُوق
 شاه ، والأشرف ، والأشتر . انتهى.

ويقصد السخاوي بقوله: كان مناصحاً للمسلمين في الباطن: المسلمين السنيين ،
 وأن جوبان كان يساعدهم سرّاً ! ومنه نفهم سبب صراعه مع الوزير الشيعي
 الكفوء رشيد الدين الهمداني ، وزير السلطان خدابنده ووزير أخيه قازان ،
 وتلميذ نصير الدين قَلْبُكُ ، وصاحب كتابي جوامع التاريخ ومفتاح التفاسير . فقد
 اتهمه جوبان بأنه قتل خدابنده ، وقتله !

كما نلاحظ أنهم جعلوا جوبان سبب رجوع خدابنده عن حملته على دمشق ،
 وأنه منعه عن احتلال الرحبة ، ولا نعرف السبب الحقيقي ، لكن نعرف أنهم
 كذابون في ادعاء الفضائل لجوبان المغولي ، وادعاء المساوي لخدابنده .

٥ - إن ترك العلامة الحلي رحمته عاصمة المغول (السلطانية) بعد وفاة السلطان
 خدابنده رحمته ، يدل على أن جو البلاط المغولي لم يكن مساعداً لمواصلة مشروعاته

في خدمة المذهب الحق ، والسبب أن جويان المتعصب ضد الشيعة كانوا مسيطراً على البلاط ، حتى كبر السلطان بو سعيد وتخلص منه !

كان العلامة رحمته الله يدرك أن وضع المغول مقبل على تحولات ، وأن على مرجعية الشيعة وعلمائهم أن يناوؤا بأنفسهم عن تلك الأجواء . ثم إنه بالأساس أتى الى عاصمة المغول بدعوة ملحة من السلطان محمد خدابنده ، وقد انتهت الدعوة بوفاة ، فعاد الى مركزه الحلة ، ليؤلف أعظم مؤلفاته وأنفعها .

وقد كانت فرصة جيدة لبو سعيد ، بعد أن قُتل جويان وثار لوزير أبيه الشيعي ، واستوزر ابنه محمداً ، أن يدعو العلامة مجدداً ، لكن شخصيته لم تكن قوية كأبيهم رحمته الله .

٢- السلطان بو سعيد مغولي أكثر منه شيعياً

شاهد ابن بطوطة السلطان بو سعيد في فترة الشتاء أو الربيع التي كان يمضيها في بغداد . قال في رحلته: ١/ ٢٤٥: «أبو سعيد بهادرخان ، وكان ملكاً فاضلاً كريماً ملك وهو صغير السن ، ورأيته ببغداد وهو شامل ، أجمل خلق الله صورة ، لا نبات بعارضه ، ووزيره إذاك الأمير غياث الدين محمد بن خواجه رشيد ، وكان أبوه من مهاجرة اليهود ، واستوزره السلطان محمد خدابنده والد أبي سعيد ، رأيته يوماً بحرّاقة في الدجلة وتسمى عندهم السيارة ، وهي شبه سلورة ، وبين يديه دمشق خواجه بن الأمير جويان المتغلب على أبي سعيد ، وعن يمينه وشماله شباران فيها أهل الطرب والغناء ، ورأيت من مكارمه في ذلك اليوم أنه تعرض له جماعة من العميان فشكوا ضعف حالهم ، فأمر لكل واحد منهم بكسوة

وغلام يقوده ، ونفقة تحري عليه .»

وقال ابن كثير في النهاية: ٧٧/١٤: «وقام في الملك بعده ولده أبو سعيد ، وله إحدى عشرة سنة ، ومدير الجيوش والممالك له الأمير جويان ، واستمر في الوزارة علي شاه النيريزي ، وأخذ أهل دولته بالمصادرة وقتل الأعيان ممن اتهمهم بقتل أبيه مسموماً ، ولعب كثير من الناس به في أول دولته . ثم عدل إلى العدل وإقامة السنة فأمر بإقامة الخطبة بالترضي عن الشيخين أولاً ثم عثمان ثم علي ، ففرح الناس بذلك وسكنت بذلك الفتنة والشرور والقتال الذي كان بين أهل تلك البلاد وهراة وأصبهان وبغداد وإربل وسأوه ، وغير ذلك .»

وفي النهاية: ٢٠١/١٤: «وقد كان من خيار ملوك التتار وأحسنهم طريقة ، وأثبتهم على السنة وأقومهم بها ، وقد عز أهل السنة بزمانه وذلت الرافضة ، بخلاف دولة أبيه ، ثم من بعده لم يقيم للتتار قائمة ، بل اختلفوا ففترقوا شذر مذر إلى زماننا هذا ، وكان القائم من بعده بالأمر ارتكاؤون من ذرية أبغا ، ولم يستمر له الأمر إلا قليلاً» .

أقول: لاحظ أن ابن كثير المتعصب حمّل السلطان بو سعيد الطفل مسؤولية أعمال جويان ! ثم زعم أن بو سعيد صلّح بعد ذلك وتراجع عن مذهب أبيه وأذل الشيعة (الرافضة) الذين أعزّهم أبوه ! ولم يأت بدليل على زعمه !

ثم زعم أن مرسوم خدابنده بتبني المذهب الشيعي كان سبباً لفتن وحروب وأن بو سعيد أطفأها بمرسومه المضاد ! وهي أحداث منها مكذوب من أصله كالتّي زعموها في محلة الخنابلة ببغداد ، أو محرفة كالذي زعموه في كيلان

وطبرستان . وقد تكون صغيرة وضخموها !

وقال الصفدي في الوفيات: ٢٠٢/١٠: « وكان مسلماً (أي سنياً) قليل الشر وادعاً، يكره الظلم ويؤثر العدل وينقاد للشرع ويكتب خطاً قوياً منسوباً . ويجيد ضرب العود ، وصنف مذاهب في النغم نقلت عنه .. أبطل بوساطة وزيره محمد بن الرشيد مكوساً كثيرة وفواحش وخموراً ، وهدم كنائس بغداد وخلع على من أسلم من الذمة ، وأسقط مكوس الفاكهة من سائر ممالكه ، وورث ذوي الأرحام (أي كل التركة للبت كما هو مذهب الشيعة) وكان قبل موته بسنة قد حج في ركب العراق، وكان المقدم عليه بطلاً شجاعاً ، فلم يمكن أحداً من العرب أن يأخذ من الركب شيئاً ، فلما كانت السنة الثانية خرج العرب على الركب ونهبوه وأخذوا منهم شيئاً كثيراً ، فلما عادوا شكوا إليه ، فقال: هؤلاء العرب ليسوا في مملكتنا أو في مملكة الناصر ، وإنما هؤلاء في البرية لا يحكم عليهم أحد ، يعيشون بقائم سيفهم ممن يمر عليهم ، وقال: هؤلاء فقراء كم مقدار ما يأخذون من الركب ، نحن نكون نحمله إليهم من عندنا كل سنة ، ولا ندعهم يأخذون من الرعايا شيئاً . فقالوا له يأخذون ثلاثين ألف دينار ، ليراها كثيرة فيبطلها ! فقال: هذا القدر ما يكفيهم ! اجعلوها كل سنة ستين ألف دينار ، وتكون تحمل من بيت المال كل سنة إليهم ، صحبة متسفر من عندنا ! فمات تلك السنة رحمته الله ولم يُسَفَّرْ شيء . وهادن سلطان الإسلام وهاداه ، وانقرض بيت هولاء بموته ، وجرت بعده أمور يطول الشرح فيها » .

أقول: يقصد بسلطان الإسلام ، السلطان الشركسي المنسوب من الخليفة العباسي في

القاهرة بعد سقوط بغداد . ونحوه ابن تغري في النجوم الزاهرة: ٣٠٩/٩ .

وهذه النصوص تعطينا أضواء على شخصية السلطان بو سعيد ، أهمها:

١ - أن شخصيته كانت محبوبة ، ويدل أمره بتعيين رواتب سنوية للبدو الذين كانوا يغيرون على قوافل الحجاج ، على أنه كان عملياً سمحاً كريماً . كما يدل إبرامه الصلح مع سلطان مصر ، على أنه واقعي تخلى عن أحلام المغول في اجتياح بلاد الشام ومصر ، وأوروبا الغربية .

٢ - لكن بو سعيد كان يتصرف كحاكم مغولي يواجه طمع الأمير جوبان ، زوج عمته ووزير أبيه ، الذي كان القائد العام لجيش المغول (بلاد الروم) وقد تسلط على مملكة أبيه ، ونصب أولاده حكاماً على تركيا وأرمينيا وغيرها .

٣ - عندما كبر بو سعيد وضع خطة مع خاله وبعض قادة جيشه ، للتخلص من جوبان ، ونجح في ذلك وقتل جوبان وأولاده بعد معركة وجيل ، واستوزر بدله محمد بن رشيد الدين الهمداني ، وكان سبب انتصاره على جوبان أن المغول مطيعون لذرية هولاكو وجنكيز ، حتى مقابل قادتهم الذين ينشقون عليهم ! فقد كان مع جوبان أولاده مير حسن وهو الأكبر ، وطالش ، وجلوخان وهو أصغرهم ، وهو ابن أخت السلطان أبي سعيد من أمه ساطي بك بنت السلطان خدابنده ، ومعه عساكر التتر وحواميها ، فاتفقوا على قتال السلطان أبي سعيد وزحفوا إليه والتقوا مع جيشه في خراسان !

فحدث أمر عجيب رواه ابن بطوطة: ٢٤٧/١ : فلما التقى الجمعان هرب التتر إلى سلطانهم وأفردوا جوبان ! فلما رأى ذلك جوبان نكص على عقبيه وهرب إلى

صحراء سجستان وأوغل فيها ، وأجمع على اللحاق بملك هراة غياث الدين مستجيراً به ومتحصناً بمدينته وكانت له عليه أباد سابقة ، فلم يوافقته ولداه حسن وطالش على ذلك وقالوا له: إنه لا يفي بالعهد وقد غدر بفيروز شاه بعد أن لجأ إليه وقتله ، فأبى جويان إلا أن يلحق به ففارقه ولداه وتوجه معه ابنه الصغير جلوخان ، فخرج غياث الدين لاستقباله وترجل له وأدخله المدينة على الأمان ، ثم غدره بعد أيام وقتله وقتل ولده ، وبعث برأسيهما إلى السلطان أبي سعيد !

٣- هروب الدمرداش بن جويان الى مصر

قال ابن خلدون: ٤٣٥/٥: «ولما بلغ الخبر بمقتله إلى ابنه دمرداش في أمارته ببلاط الروم (تركيا) خشي على نفسه ، فهرب إلى مصر وترك مولاه أرتق مقيماً لأمر البلد وأنزله بسيواس ، ولما وصل إلى دمشق ركب النائب لتلقيه وسار معه إلى مصر ، فأقبل عليه السلطان وأحله محل الكرامة ، وكان معه سبعة من الأمراء ، ومن العسكر نحو ألف فارس فأكرمهم السلطان ، وأجرى عليهم الأرزاق وأقاموا عنده ، وجاءت على أثره رسل السلطان أبي سعيد وطالبه بذمة الصلح الذي عقده مع الملك الناصر ، وأوضحوا لعلم السلطان من فساد طويته وطوية أبيه جويان وسعيهم في الأرض بالفساد ، ما أوجب إعطاءه باليد ، وشرط السلطان عليهم إمضاء حكم الله تعالى في قراسنقر نائب حلب ، الذي كان فرّاً سنة اثنتي عشرة مع أقوش الأفرم إلى خربندا.. فلما شرط عليهم السلطان قتله كما قتل دمرداش ، أمضوا فيه حكم الله تعالى ، وقتلوه جزاء بما كان عليه من الفساد!»

أقول: لاحظ أن العالم الإسلامي كان مقسماً بين قوتين هما المماليك والمغول ، وكانت سوريا تابعة لسلطان المماليك ، فغضب سلطانهم سنة ٧١٢ على حاكم حلب قراسنقر ، فهرب إلى سلطان المغول خدابنده ، فجعله حاكم همدان ولم يسلمه إلى سلطان مصر . ولما هرب دمرداش من بو سعيد إلى مصر سنة ٧٢٨ ، طالب المماليك بتطبيق معاهدة الصلح ، وأن يقتلوه وبيعوا إليه برأسه ، فطلب السلطان المملوكي مقايضته بقرا سنقر ! فدمر طاش وقراسنقر ، إن اتفق السلطانان صار مفسدين في الأرض يجب قتلها وتبادل رأسيهما ، وإن اختلف السلطانان فهما أميران وحاكمان عادلان لزلاتين ، يأتى المسلمون بهما في الصلاة ويدعون لهما في خطبة الجمعة ! وهكذا يتغير دين الحكومات !

٥ - ذكر رواية الخلافة أن بو سعيد عشق ابنة جوبان (بغداد خاتون) المتزوجة ! وطلب منه أن يطلقها من زوجها ليتزوجها فأبى جوبان ! وبعد أن قُتل جوبان وأولاده طلقها من زوجها وتزوجها ! قال الصفدي في الوافي: ١٠/١١١: «بغداد خاتون: ابنة النوين جوبان ، كان السلطان بو سعيد يحبها ويميل إليها ميلاً عظيماً إلى الغاية ، وكان أبوها لا يدعها تقرب من الأردو ، ولكن تكون غائبة مع زوجها الشيخ حسن هنا وهنا ! فلما قتل بو سعيد أخاها دمشق خواجاً وهرب أبوها جوبان ثم قتل ، ودخل أخوها تمر تاش إلى مصر ، تمكن بو سعيد منها وأخذها من زوجها ، وصارت عنده مكينة لها الحكم في المالك ، ولها وزيرة وتركب في موكب من الخواتين وتشد في وسطها السيف ، وتحكمت وهرب منها علي باشا أخو أم بو سعيد وخاله ، ولم يأخذه (بو سعيد) في هواها لومة لائم ، ولم

تزل كذلك على ما هي عليه من المكانة عند بو سعيد حتى مات ، وتملك أربكوون المذكور فيما تقدم فأخذها وقتلها سنة ست وثلاثين وسبع مائة ، وكانت كثيرة التنقيب على أخبار أخيها تمرتاش . انتهى . وذكروا أن زوجها بو سعيد كان في المقابل يرسل سلطان مصر ليقتل جوبان ويبعث اليه برأسه ! فاستجاب له وقتله وبعث برأسه ، فكرهته بغداد خاتون وكرهها ، فقامت بسُمِّه فمات وعمره ٣٢ سنة ! «ولما عرف الأمراء أن بغداد خاتون هي التي سمته أجمعوا على قتلها، ودبر لذلك الفتى الرومي خواجه لؤلؤ وهو من كبار الأمراء وقدمائهم ، فأتاها وهي في الحمام فضرها بدبوسه وقتلها ، وطرحت هنالك أياماً مستورة العورة بقطعة تليس» . (ابن بطوطة في رحلته: ١/٢٤٦).

أقول: قد تكون هذه القصة مكذوبة ، وقد تكون صحيحة ، وحياة السلاطين الشراكسة في مصر ، والسلاطين المغول من أولاد جنكيز ، مليئة بنقاط الضعف ، ويظهر أن خير المغول على الإطلاق السلطان محمد خدا بنده وأخوه قازان رحمهما الله ، وخير سلاطين المماليك قانصوه الغوري رحمه الله .

٤- أذن الله بزوال المغول فأعقم سلطانهم بو سعيد !

حكّم المغول القسم الأكبر من بلاد المسلمين بنشر قواعد عسكرية فيها تسمى (الشُّخْنَة) وكان قادة هذه الشحنات الحكام الحقيقيين للبلاد ، فهم ينصبون الحكام من أهل البلاد أو غيرهم ، وكان السلطان وشحناته لايتدخلون إلا في الأمور الأمنية الأساسية ، وبهذا امتازوا عن ممالك مصر الذين حكموا مباشرة.

وتوسع المغول في نشر شحنتهم ، فشملت عواصم البلاد ومدنها الكبيرة ، وأحياناً القرى والطرق الأساسية ، وقد يصل عدد شحنتهم في البلد الى مئة شحنة ، وعدد جنودها الى ثلاث مئة ألف جندي !

وكانت القوات المغولية في بلاد المسلمين ثلاثة أقسام ، فمنهم مسلمون شيعة ، وهم قلة بالنسبة لمجموعهم ، ومنهم سنة أو يئن بين كالذين مع جويان وأولاده وهم قلة أيضاً . ومنهم من لم يدخلوا في الإسلام وظلوا متمسكين بشريعة الياسة الوثنية ! ولكنهم جميعاً مطيعون طاعةً تامة لسلطانهم من أولاد جنكيز ، ولم يؤثر تشيع سلاطينهم على طاعتهم لهم !

وكانت أقسى ضربة للمغول قتل بو سعيد بيد معشوقته أخت جويان ، ولم يكن له ولد ولا ولي عهد من أقاربه أولاد جنكيز ، فأحدث موته فراغاً وصراعاً بين المغول ، كانت فيه نهاية سلطنتهم القوية ودولتهم الواسعة ! فبادر وزيره محمد بن رشيد الدين الى اختيار شخص من أولاد جنكيز ، لأنهم هم العائلة الوحيدة التي يطيعها المغول ، لكن اختياره لم يكن موفقاً !

قال ابن حجر في الدرر الكامنة: ١/ ٤١٣: « أريكوون ويقال أرخان المغلي من ذرية جنكزخان ، كان أبوه قُتل فنشأ هذا جندياً في غمار الناس ، فلما مات أبو سعيد نهض الوزير محمد بن رشيد الدولة فقال هذا الرجل من عظماء ألقان فبايعه العسكر وولي السلطنة بعد القان بوسعيد ، فظلم وعسف وقتل الخاتون بغداد بنت جويان زوج بو سعيد ، وكان عليُّ بابّة بالجزيرة فلم يدخل في الطاعة ، وأخذ بغداد وأحضر موسى بن علي بن بايدو بن أبغا بن هلاكو وسلطنه ،

وعمل بين الفريقين مصافً ، فاستظهر ابن علي بابَه (السلطان الجديد) وقتل الوزير (بن رشيد الدين) صبراً في ثامن رمضان ، وقتل أربكون في شوال صبراً أيضاً وذلك في سنة ٧٣٦ ، وكانت مدة سلطنته شهرات خمسة أو ستة ، واستقر موسى الذي سلطنوه نحو ثلاثة أشهر ١. انتهى.

أقول: هذه صورة للوضع في بغداد ، ولم يكن غيرها من ولايات العراق وإيران وتركيا وما وراء النهر والقوقاز ، أفضل منها ! فقد أذن الله تعالى بانبيار المغول ، الذين كانوا أكبر قوة عسكرية مقاتلة ، فأبقاهم بلا ملك يرث قيادتهم من آل هولاكو أو جنكيز ، فاضطربت مملكتهم ، وانقسمت !

قال القلقشندي في مآثر الإنافة: ١٣٩/٢: «ومات أبو سعيد سنة ست وثلاثين وسبع مائة ، ودفن بمدينة السلطانية ولم يعقب ، وانقرض بموته ملك بني هولاكو ، واختلف أهل دولته ، وافرقت الأعمال التي كانت بيده وصارت طوائف ، كما كانت ملوك طوائف الفرس . ولما مات أبو سعيد نصب أهل الدولة موسى خان من أسباطهم على بغداد وتوريز (تبريز) وأعمالهما ، وقام بتدبير دولته علي باشا من أمراء دولتهم . وكان الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن أبلكان ، المعروف بالشيخ حسن الكبير ، وهو ابن عم السلطان أبي سعيد ، معتقلاً ببلاد الروم ، فأخرج من السجن بعد موت أبي سعيد ، ووصل بغداد وخلع موسى خان ونصب مكانه محمد بن عنبرجي من عقب هولاكو ، واستولى الشيخ حسن على بغداد وتوريز (تبريز) وسار إليه حسن بن دمرداش من بلاد الروم ، فغلبه على توريز ، وقتل محمد بن عنبرجي... الخ.».

٥- موجة تيمور لنك المجنونة الفاشلة !

رافقت عملية تَشَكُّل شعوب الأمة في دول جديدة ، حملة مغولية كانت عاملاً في تسريع حركة الأمة لتشكيل دولها أحياناً أو تبطيئها . وهي مغامرة تيمور لنك (أي تيمور الأعرج) الذي كان مهوساً بأن يكون مثل جنكيز وهولاكو !

وقد بدأ عمله في منطقة المغول بعد وفاة السلطان بو سعيد ، واتخذ سمرقند عاصمة له ، وادعى أن أمه من ذرية جنكيز ، ومع ذلك جاء بشخص مغمور من ذرية جنكيز إسمه (صرغتمش) فبايعه سلطاناً ، وعين نفسه نائبه العام المفوض ! وكانت أحلام جنكيز وهولاكو تملأ مخيلته في احتلال العالم ، وكان قائداً عسكرياً ماهراً ، لكن لم يكن عنده عقل إداري !

وقد خاض حروباً مع ملوك محليين وانتصر عليهم ، وجمع نحو ثلاث مئة ألف جندي ، واجتاح بلاد القوقاز وهزم ملوكها ، ثم اجتاحت روسيا فهزم جيشها ، ثم اجتاحت إيران فقاومته بعض مناطقها وانتصر عليها ، ثم اجتاحت العراق فخضع له ورثة السلطان بو سعد من الإيلخانيين أو هربوا منه ، فنصب في بغداد حاكماً ، ثم اجتاحت سوريا وأحرق دمشق ، ثم رجع واحتل بغداد ثانية ، ونصب فيها ابنه شاه رخ ، ثم احتل تركيا وأسر ملكها العثماني بايزيد ، ثم غزا الهند وانتصر على جيشها الكثيف ، واحتل عاصمتها دلهي .

ثم عاد الى عاصمته سمرقند ، وهياً جيشاً جراراً لغزو ممالك الصين ، وسار في فصل الشتاء فواجه مطراً وثلوجاً شديدة ، فمات قسم من جيشه من شدة البرد والثلج ، ثم مرض هو ومات ، وذلك في سنة ٨٠٨ هجرية ، وعمره نحو ثمانين

سنة ، فرجع حفيده بجنازته ، ودفنه في سمرقند ، وحكم مكانه .

وحكم بعده ابنه ولي عهده شاه رُخ أفغانستان وشرق إيران وعاصمته هراة ، وهذا كل ما بقي لورثة تيمور ، من طول البلاد وعرضها التي اجتاحتها !

كان هذا المجنون ماهراً في التدمير والإحتلال ، غيباً في الإحتفاظ بما احتله ، ينسى الهدف الذي بيده ، ويسارع الى هدف آخر لتصوره أنه يغتنم الفرصة !

كان عمله كموجة الجراد التي تهاجم منطقة فتأكل ما فيها ، ثم تتركها الى منطقة أخرى ! فكانت القوى التي هزمها ، أو قوى غيرها ، تعود بعد مغادرته وتحكم المنطقة ! فلم يستعمل سياسة جنكيز وهولاكو في إبقاء قواعد عسكرية إلا في المناطق القريبة من سمرقند ، ثم في بغداد التي احتلها ، ونصب عليها والياً مسعود السربداري ، فطرده المغول الإيلخانيون ، ثم احتلها ثانية ونصب عليها ابنه شاه رُخ بن تيمور ، فلجأ الإيلخانيون الى الأتراك والمصريين فساعدوهم ، فاسترجعوا بغداد وطردها شاه رُخ ، فغضب تيمور لذلك وعاد من دمشق واحتل بغداد ثالثة ، لكنها تركها ولم يعين فيها حاكماً ، ثم احتل تركيا وأسر ملكها ، ولم يرتب وضع تركيا ، فقد عرف أن ملك الهند مات ، فاغتنم الفرصة وزحف بجيشه وخاض حرباً كبرى واحتل الهند ، لكنها تركها ولم ترتب حكمها وعاد الى سمرقند وانشغل بمشروع غزو الصين ، ومات في طريقه اليها !

«ذكر بعض العلماء أن ابن خلدون لما أقبل على تيمورلنك قال له: دعني أقبل يدك ! فقال (تيمور): ولم ؟ فقال له: لأنها مفاتيح الأقاليم ! يشير إلى أنه فتح خمسة أقاليم وأصاب يده خمسة فلكل أصبع إقليم ! وهذا أيضاً من دهاء ابن خلدون..

ثم قال لتيمورلنك: إني ألقت كتاباً في تاريخ العالم . ثم قال له تيمورلنك: كيف ساغ لك أن تذكرني فيه وتذكر بختنضر مع أننا خربنا العالم؟!

فقال له ابن خلدون: أفعالكما العظيمة ألحقتكما بالذكر مع ذوي المراتب الجسيمة ، أو نحو هذا من العبارات ن فأعجبه ذلك « . (نفع الطيب: ٢/ ٩٩٤) .

قال ابن خلدون: « قال لي تيمور: أين بلدك؟ قلت بالمغرب الجواني ، قال: وما معنى الجواني في وصف المغرب؟ قلت: معناه الداخلي أي الأبعد ، لأن المغرب كله على ساحل البحر الشامي من جنوبيه ، فالأقرب إلى هنا برقة وإفريقية ، والمغرب الأوسط تلمسان وبلاد زناته ، والأقصى فاس ومراكش وهو معنى الجواني . فقال لي: وأين مكان طنجة من تلك المغرب؟ فقلت في الزاوية التي بين البحر المحيط والخليج المسمى بالزقاق ، ومنها التمدية إلى الأندلس لقرب مسافته ، لأن هناك نحو العشرين ميلاً ، فقال: وسلجماسة؟ فقلت: في الحد ما بين الأرياف والرمال من جهة الجنوب .

فقال: لا يقتضي هذا ، وأحب أن تكتب لي بلاد المغرب كلها ، أقاصيها وأدانيها وجبالها وأنهارها وقراها وأمصارها ، فقلت: يحصل ذلك بسعادتك .

فكتبت له بعد انصرافي من المجلس ما طلب ، أقمت في كسر البيت وكتبته في أيام قليلة ، وأوعيت الغرض في مختصر وجيز ، يكون في اثنتي عشرة كراسة ، ودفعته إليه فأخذه من يدي وأمر موقعه بترجمته إلى اللسان المغلي ، وهذا يدل على عقله وبعده نظره وأنه ربما كان يخطر بباله فتح إفريقية « ! (أعيان الشيعة: ٣/ ٦٦٣) .

خلاصة الأحداث الكبرى بعد انهيار المارد المغولي

١- اضواء على أهم الأحداث في قرنين بعد حكم المغول

هذا الفصل خلاصة لفصول من الكتاب في طبعته الأولى ، فقد رأينا أن نلخصها هنا ، ثم ننشرها مفردة بعناوينها ، وهي أربعة بحوث: في موجة تيمور لنك على العالم الإسلامي ، وفي نشوء الدولة الصفوية ، والدولة العثمانية ، وفي التعصب المذهبي وحيي على خير العمل .

(١) بدأ انهيار المغول بموت السلطان بو سعيد

توفي آخر سلاطين المغول سنة ٧٣٦ هجرية فانهار النفوذ المغولي ، وأخذت تتشكل دول من أهل البلاد ، وأهمها الدولة الفارسية ، والدولة العثمانية . ثم جاءت موجة مغولية جديدة بقيادة تيمور لنك ، فاجتاح كل المناطق التي كان يحكمها المغول ، وهي العراق وإيران والخليج وتركيا وشرق آسيا كله ، وقسم من شرق أوروبا . وزاد عليها الشام والهند وروسيا ، ولكنه كان يترك

البلد الذي يحتله ويهاجم غيره ، ولم يستقر إلا في عاصمته سمرقند شرق إيران ، وقد أقام المغول بعده في الهند دولاً .

(٢) وبدأت تتشكل الدول المحلية

وقد احتاجت عملية تَشَكُّل الأمة بعد المغول ، واستيعاب موجتهم الثالثة الى قرن من الزمان ، ونتج عنها ولادة الدولة العثمانية والصفوية . أما دولة المماليك فبقيت خارج حكم المغول ، حتى احتلها السلطان سليم العثماني سنة ٩٣٢هـ .

فقد بادر زعماء بعض البلاد الى السيطرة على بلدهم ، وطرّدوا الحامية المغولية ، كما في إيران . بينما رضي أهل بعض البلاد كالعراق بحكام مغول بعد موت بو سعيد ، لأنهم اعتبروهم منهم . أما تركيا فقام حكامها السلاجقة وورثتهم المغول العثمانيون ، بعزل الحامية المغولية في مدينة سيواس الأناضولية .

(٣) المد الشيعي الذي أحدثه نصير الدين فُلَانِي

كان المد الشيعي الذي أحدثه نصير الدين الطوسي فُلَانِي قوياً ، وقد ساعد على نجاحه أن الحكم المغولي طبق سياسة المذهب الشيعي في الحريات المذهبية والإعمار والخدمات ، فكسب رضا الجميع !

وقد استفاد السيد صفي الدين الأردبيلي شيخ الطريقة الصفوية ، من هذا المد فبدأ هو وأولاده بالعمل لإقامة الدولة الصفوية .

(٤) بسبب عدل الجوينيين تمسك العراقيون بالإيلخانيين

كانت سيرة الجوينيين والسلطان محمد خدابنده وابنه بو سعيد ، سبباً في قبول العراقيين بحكم المغول الإيلخانيين بعد بو سعيد ، فحكموا العراق قرنين ، وشملت دولتهم الأهواز وتبريز وهمدان وغيرها . ورضي بهم السنة العراقيون وفيهم حنابلة متعصبون ، ولم يطرحوا إعادة حكم الخلافة العباسية أو غيرها ! بل لم نسمع منذ سقوط الخلافة العباسية صوتاً واحداً من أهل العراق يطالب بإعادة الخلافة أو يدعو الى مقاومة المغول ، مع أنه كان في بغداد سنة متعصبون ! وسبب ذلك أن السنة العراقيون ومنهم الحنابلة ، طلقوا الخلافة العباسية بالثلاث غير آسفين عليها ، وفضلوا عليها نمط الحكم الذي قدمه الشيعة في الحرية والبناء ، بل التفوا في القرن الثامن والتاسع حول الحكام الإيلخانيين الشيعة ، ووقفوا معهم أمام غزو تيمور لك وغيره ، فهم يشعرون أن المغول الإيلخانيين مسلمون عراقيون ، وأنهم خير لهم من الخلافة .

بينما نرى أتباع الخلافة في البلاد البعيدة يتغنون ببغداد المنصور والرشيد والمتوكل ، وكأنه لا خَبَرَ عندهم بأن بغداد طلقت الخلافة بالثلاث ، وأن العباسيين أنفسهم لم يطالب أحد منهم بإعادة الخلافة ، مع أنهم كانوا كثرة وكان لهم نقابة في بغداد ! فقد وجدوا كغيرهم في حكم الجوينيين من الحرية والإعمار ما لم يجدوه في حكم الخلفاء !

(٥) نجت مصر من موجات المغول

كانت مصر هدفاً لغزو هولاكو ، ثم ابنه قازان ، ثم تيمور لنك ، وقد احتلوا دمشق مقدمة لغزوها ، لكن الله تعالى نجى مصر منهم وتراجع هولاكو وتيمور عن غزوها ، وانهزم قازان في معركة عين جالوت على يد الأمير قطز المملوكي الشرقي ! ونتج عن ذلك أنه في مقابل تبني المغول للتشيع ، تبنى المماليك الشراكسة الخلافة العباسية السنية ، وجاؤوا بعد سقوط بغداد بعباسي ونصبوه خليفة ، وكان يظهر عند نصب السلطان والمناسبات التشريعية ، واستمروا على ذلك حتى سقط حكمهم بيد العثمانيين سنة ٩٢٣ ، فأخذ سليم الخليفة العباسي الى استانبول ، وأجبره على خلع نفسه والبيعة له ، وأعلن نفسه خليفة !

وفي فترة حكم المماليك استخدموا المتعصبين السنة للدعاية والتحريك ضد المغول والشيعة ، فاتهموا الشيعة بأنهم جاؤوا بالمغول الى بغداد !

وكان من أبرز من سخره الشيخ عبد الحلیم بن تیمیة ، الذي رد على مذهب الشيعة في كتابه الذي سماه (الرد على الرافضي) وسمّوه فيما بعد: منهاج السنة .

وقد كفر ابن تیمیة الشيعة ، مع أنه اعترف بإسلام السلطان قازان عندما احتل دمشق ، وجاء اليه هو وعلماء دمشق وبايعوه ، وخطب ابن تیمیة بالنيابة عنهم معلناً طاعته ، وخطبوا باسمه خطب الجمعة كسلطان المسلمين !

لكن ابن تیمیة تراجع عن ذلك وتحمس مع حاكم الشام المملوكي ، وأفتى له بإبادة الشيعة في بلاد الشام ، بحجة أنهم كفار ، فهاجموا مناطقهم ، وهي بعلبك وكسروان ، وجبل عامل ، فقتلوا منهم ألوفاً مؤلفة !

(٦) رفعوا راية الصحابة مقابل أهل البيت عليهم السلام

تَرَكَّزَ الخلاف السني الشيعي حول اتِّباع الصحابة أو اتِّباع أهل البيت عليهم السلام، فقد جعل السنيون اتِّباع أبي بكر وعمر وولايتهما أهم أركان الإسلام، والمساس بهما كفرًا يوجب خروج صاحبه من الدين، وهُذِرَ دمه عرضه وماله، فيكون قتله واجباً وماله وعرضه غنيمة لهم! وبهذا يفتي مشايخ الوهابيين تقليداً لابن تيمية وينفذونه في بلادهم وأينما استطاعوا، كما فعل الزرقاوي وأتباعه في العراق!

بينما يُصَرُّ الشيعة على أن المسلمين مكلفون باتِّباع أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم لأن النبي ﷺ أوصى بالثقلين القرآن والعتره، ولم يوصَ باتِّباع الصحابة، فالمسلم حرٌّ في أن يعتقد فيهم ما وصل اليه اجتهاده أو تقليده!

(٧) أين كان العرب في عهد موجات المغول

يسأل الإنسان أين كان العرب في عهود الغزو المغولي والمملوكي، ولماذا لم نسمع طول هذه القرون بقوة عسكرية عربية يحسب لها حساب؟
والجواب: أن العرب كانوا استفذوا مخزونهم العسكري، ومن لا يملك قوة عسكرية كافية، لا يكون له تأثير في الأحداث الكبيرة.

فقد استُهلكت قوة العرب العسكرية في فتح المناطق المحيطة بهم وهي العراق وإيران والشام ومصر، وانشغلوا بإدارتها وأثرت الرفاهية عليهم وعلى أولادهم! فدخل في صناعة الأحداث مخزون الأمم الأخرى، ومن أولها خراسان، المنطقة

التي تتوفر فيها العدد والطاعة والمهارة القتالية . ثم مخزون الشعوب التركية المتعددة . ثم جاء مخزون أكبر منها ، وهم المغول من بر الصين .

إن قبائل الجزيرة كانت من الأصل تصلح للبدء والإنطلاق لتحقيق أهداف النبوة فقط ، لكنها لا تكفي لمواصلة المسيرة المطلوبة ، لقلة مخزونها القتالي !

ولذا حرص النبي ﷺ على أن يضيف إليها مخزون اليمن وفارس ، وأخبر عن دورهما في المستقبل ، كما أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بأن العباسيين سيستغلون حديث النبي ﷺ عن خراسان وراياتها السود ، ويصلون الى الحكم بواسطتهم ، ثم ينتهي ملكهم بموجة المغول من جهة خراسان ، قال : « ملك بني العباس عُسْرٌ لا يُسْرَ فيه لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلسان لن يزيلوه ، ولا يزالون في غضارة من ملكهم حتى يشذ عنهم مواليهم وأصحاب ألويتهم ، ويسلط الله عليهم علجاً يخرج من حيث بدأ ملكهم لا يمر بمدينة إلا فتحها ولا ترفع له راية إلا هدها ولا نعمة إلا أزالها » . (غيبة النعماني/ ٢٥٨).

ومعناه أن مخزون المغول الآتي بعد قرون ، سيكتسح ملك بني عباس ويبيده ! أما قصة المماليك في بلاد المسلمين ، فتبدأ بأن الخليفة العباسي عجز عن تجنيد مقاتلين من العرب ماهرين مطيعين ، لسد حاجته في حماية نفسه والبلاد ، فاستورد مقاتلين من مخازن شعوب أخرى ، من أسواق القوقاز ومنغوليا وتركيا وغيرها ! فازدهرت تجارة العبيد والرقيق بين عاصمة الخلافة وأقاصي الأرض وتكونت (مافيا) سرقة الناس لبيعهم الى وكلاء الخليفة الذين يشترون الموالي !

ومما نقله التاريخ أن التركمان الغُزّ سرقوا جماعة لبيعهم ، وكان فيهم طالب

علم ، فكانوا في طريقهم يَحُلُّون وثاقه ليصلي بهم إماماً ! فقال لهم يوماً: هل يجوز بيع القرآن؟ قالوا: لا، فقال: إن الإمام كالقرآن فلا يجوز لكم بيعي فأطلقوني! فتشاوروا بينهم ثم قالوا له: هل يجوز إهداء القرآن؟ قال نعم . قالوا: أنت كالقرآن لا نبيعك بيعاً ، بل نهديك لوكيل الخليفة هدية !

ولما كثر المماليك الترك وآذوا الناس في بغداد ، ألزم الناس الخليفة المعتصم أن يبنى له وللماليكه معسكراً خارج بغداد ، فبنى العاصمة الجديدة سامراء !

وفي مصر استكثر الحكام من المماليك الشراكسة القوقازيين والمغول ، فسيطروا على البلد ، وحكموا مصر أكثر من ثلاث مئة سنة ، حتى احتلها منهم المماليك المغول العثمانيون سنة ٩٢٣ ، وأعلن سلطانهم سليم نفسه خليفة !

وفي كل هذه القرون والأحداث ، غاب العرب ، كمخزون عسكري وجيش قوي .

٢- نشوء الدولة الشيعية الفارسية في إيران ومحيطها

قال ابن خلدون: ٥/ ٥٥٦: « لما توفي أبو سعيد سنة ست وثلاثين وسبع مائة ولم يعقب ، اضطربت الدولة ومرج أمر الناس ، وافترق الملك طوائف وغلب أزيد صاحب الشمال على طائفة من خراسان فملكها ، واستبد بهرة الملك حسين وألان محمود ، فرشحه من أهل دولة لسلطان أبي سعيد عاملاً على أصبهان وفارس ، فاستبد بأمره واتخذ الكرسي بشيراز ، إلى أن هلك وولي بعده ابنه أبو اسحق أمير شيخ ، سالكاً سبيله في الإستبداد ، وكانت له آثار جميلة ، وله صنف الشيخ عضد الدين كتاب المواقف ، والشيخ عماد الدين الكاشي شرح كتاب المفتاح ، وسموها باسمه . وتغلب أيضاً محمد بن المظفر على كرمان ونواحها ، فصارت بيده وطمع في الإستيلاء على فارس... » .

وهذا يدل على أن موت السلطان المغولي بو سعيد وعدم وجود وريث له ، زاد من تحفز قادة البلاد في إيران كما في غيرها ، لإقامة دول مستقلة .

١- كانت إيران سنية وكان فيها بؤر شيعية

نشأ التشيع في عهد رسول الله ﷺ وكان شيعة علي عليه السلام في المدينة. ثم انتشر في اليمن والكوفة والشام والعالم ، وكان الغالب على إيران التسنن ، وفيها شخصيات وبقاع شيعية ، وبهذا المعنى فإن التشيع في إيران قديم من مطلع الإسلام ، وقد غرس بذرته المباركة سلمان الفارسي عليه السلام عندما قام بدوره الواسع في فتح إيران ، ثم عندما حكمها من المدائن عاصمة كسرى .

وساهم مع سلمان في نشر التشيع كبار الصحابة كحذيفة وعمار والعشرات من تلاميذ علي عليه السلام ممن شاركوا في فتح العراق وإيران وبلغوا فيها الدين .

ثم نصل الى عهد أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه الإيرانيين الذين كانوا يلتفون حول منبره في الكوفة ، حتى أن الأشعث بن قيس جاء يوم جمعة وأراد أن يجلس قرب المنبر فلم يجد مكاناً ، فقال: « يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك يعني العجم ، فركض المنبر برجله حتى قال صعصعة بن صوحان: ما لنا وللأشعث ! يقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لايزال يذكر .

فقال عليه السلام: من عذيري من هؤلاء الشياطين ، يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار ، ويهجر قوماً للذكر ! أفتأمرني أن أطردهم؟! ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين . أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً » ! (شرح النهج: ٢٠/ ٢٨٤).

ثم نصل الى ثورة التوابين ، وبعدها ثورة المختار للأخذ بشار الحسين عليه السلام فنرى كثرة الإيرانيين المشاركين فيها ، حتى سباهم الأمويون الكيسانية ، نسبة الى كيسان الفارسي ، الذي كان من أصحاب المختار الخاصين .

ثم نصل الى تأسيس الأشعرين الشيعة مدينة قم ، في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام ، وانتقال العلماء والرواة المضطهدين اليها ، وسرعان ما عمرت وامتلات بالشيعة ، ونشطوا لنشر التشيع في إيران .

ثم نصل الى مجي الإمام الرضا عليه السلام الى إيران ، والهوة العميقة التي أحدثها في عقيدة الإيرانيين وأفكارهم ، والتلاميذ الذين تخرجوا عليه ، وتأثروا به .

ثم نصل الى دولة الشيعة الزيديين في شمال إيران التي دامت أكثر من قرن .
ثم نصل الى أصحاب الأئمة من أهل البيت عليه السلام فنجد كثرة منهم من مناطق إيران المختلفة ، ومن كابل ، وبلخ ، وبخارى ، وسمرقند ، والشيشان ، والكرج أي جورجيا ، ومدن آذربيجان ، وتركيا .

ومن نماذج ذلك ما رواه الكشي: ٢/ ٨٦٦: عن « محمد بن جعفر بن إبراهيم الهمداني وكان إبراهيم وكيلاً وكان حج أربعين حجة ، قال: أدركت بنتاً لمحمد بن إبراهيم بن محمد فوصف جمالها وكمالها ، وخطبها أجلة الناس فأبى أن يزوجه من أحد ، فأخرجها معه إلى الحج ، فحملها إلى أبي الحسن عليه السلام ووصف له هيأتها وجمالها وقال: إني إنما حبستها عليك تخدمك ، قال: قد قبلتها فاحملها معك إلى الحج وارجع من طريق المدينة ، فلما بلغ المدينة راجعاً ماتت ! فقال له أبو الحسن صلوات الله عليه: بنتك زوجتي في الجنة يا بن إبراهيم » .

ثم نصل الى حركة البويهيين وكانوا طالبي ملك ، لكنهم كانوا مع أكثرية جنودهم شيعة ، وسيطروا على إيران ، ثم العراق ، وفرضوا على الخلافة العباسية الاعتراف بسلطانهم ، وحقهم في تعيين الخليفة وعزله !

ومع تحفظنا على سلوك البويهيين وسياستهم ، لكن حركتهم تدل على وجود أرضية واسعة للتشيع في إيران ، استغلها البويهيون لتجنيد الجنود وخوض المعارك والوصول الى الحكم ، وكانت بالنتيجة موجة شيوعية ضاعفت من اتساع التشيع في إيران ، وغيرها .

ثم نصل الى موجة التشيع التي أحدثها نصير الدين الطوسي قائماً ، والتي

كانت استثماراً لمخزون التشيع الماضي في إيران ، وإطلاقاً لموجة تشيع جديدة ، تفاعلت وتنامت حتى وجدت قيادة كفوءة من الصفويين ، فاستوعب التشيع كل إيران تقريباً .

٢- أول حركة ضد المغول حركة شيعية

كانت حركة السربدارية أقوى حركة ضد المغول ، وبدأت في عهد السلطان بوسعيد ، وهي حركة شيعية صرفة ، وهذا يكفي لرد تهمة النواصب للشيعية بانهم تحالفوا مع المغول ، ويدل على أن بو سعيد لم يكن شيعياً كأبيه خدابنده عليه السلام . وبينما كان علماء الشيعة يقاومون طغيان المغول في إيران فيعلقونهم على أعواد المشانق ، كانوا يقاومون المماليك في بلاد الشام أيضاً ، كما حدث للفقير الكبير الشهيد محمد بن مكّي عليه السلام ، الذي طلب منه حاكم دولة السربدارية علي بن المؤيد المجنى الى إيران ليكون مرجعهم فلم يستطع ، لأن المماليك كانوا فرضوا عليه الإقامة الجبرية في دمشق ، ثم دبّروا عليه شهوداً بأنه يطعن في أبي بكر وعمر ، فقتلوه وصلبوه ، ثم أحرقوا جثته الطاهرة عليه السلام ، وذلك قبل سنتين من شهادة علي بن مؤيد عليه السلام على يد تيمور لنك ! (طرائف المقال: ٢/ ٤٢٦)

وقد ظهرت حركة السربدارية ضد الحكم المغولي في شمال إيران وبدأت في قرية باشتين من ولاية بيهق ، وامتدت الى كيلان شمالاً ، وشملت شرقاً منطقة طوس ، وقسماً من بلاد ما وراء النهر الى حدود سمرقند . وقادها علي بن المؤيد ، وأرسل وزيره القاضي شرف الدين الآوي الى المرجع الشيعي

محمد بن مكي قُلَيْبُ تلميذ ابن العلامة الحلي قُلَيْبُ، يطلب منه الحضور إلى عاصمتهم ليكون مرجعاً لهم ، ويشرف على القضاء ، فاعتذر وكتب له متناً فقهياً مختصراً وشاملاً سماه: اللمعة الدمشقية .

وقد كتب المستشرق الروسي أي. ب. بتروشفسكي: حركة السربدارية في خراسان ، وأرخ لها السيد حسن الأمين في مستدركات أعيان الشيعة: ١٧٧/٢ . وخلاصتها أنه كان في مسجد سبزوار رجل إسمه الشيخ خليفة يُدرّس الطلبة والناس ، فأراد بعض المتعصبين من علماء السنة منعه من التدريس ، وزعموا أنه ينشر البدع ، وأفتوا بوجوب قتله وأرسلوا الفتوى إلى السلطان بو سعيد ، فأرجع الأمر إلى علماء المنطقة والحاكم ، فاغتالوه سرّاً في ٢٢ ربيع الأول سنة ٧٣٦ ، وكان أبرز تلاميذه الشيخ حسن الجوري ، فأخذ ينشر تعاليمه في منطقة نيشابور فالتف الناس حوله ، وبعث برسالة إلى الأمير محمد بك بن أرغون شاه ، يطلب منه رفع بعض المظالم ، فأراد قتله ، فاخفى حتى حبسوه في مشهد سنة ٧٣٩ .

ووقعت حادثة في قرية باشتين في بيهق فكانت شرارة الحرب مع السلطة المغولية ، وذلك أن خمسة من المغول نزلوا في دار حسين حمزة وحسن حمزة من أهالي قرية باشتين فضيفوهم ، فطلبوا منهما الخمر والوجه الحسن وأصروا على طلبهم وأسأوا إليهما وتشاجروا ، فقتلهم البيهقيون وقالوا: نحافظ على أعراضنا ، ونحن مستعدون أن نسلم رؤوسنا إلى المشنقة ، فسموا (سَرِّدَار) أي رأس على المشنقة ، وفرَّ صاحب البيت من وجه السلطة ، وأرسل علماء الدين هندو حاكم خراسان ، إلى أهل القرية يطلب أن يسلموهما فامتنعوا ، وتزعم

الحركة عبد الرزاق العلوي الحسيني السبزواري بن الخواجة فضل الله الباشتيني فغضب الوزير وأرسل مائة جندي لاعتقالهما ، فواجههم عبد الرزاق وهزمهم ، وقصد مركز علاء الدين هندو ، فهرب مع رجاله إلى أسترآباد ، فلحقوه وقتلوه في منطقة جرجان ، ثم استولوا على أمواله ، وكانوا سبع مائة رجل .

ثم سيطروا على مدينة سبزووار وجُوزين وأسفرايين وجاجرم وبياراجمند ، وضربوا النقود ، ولما توفي أميرهم عبد الرزاق سنة ٧٣٨ ، خلفه أخوه وجيه الدين مسعود ، وخاض حروباً مع عسكر المغول من سنة ٧٣٩ إلى ٧٤٥ ، حيث وقعت لهم معركة مع حاكم هرات أرغون شاه ، فهزموه وهرب ، فقويت دولتهم بقيادة وجيه الدين مسعود ، وتوجيه الشيخ حسن الجوري .

وأرسل الأمير محمد بيك بن الأمير أرغون شاه رسالة إلى الشيخ حسن الجوري يطلب منه عدم مساعدة جماعة السريدارية ، فأجابه الشيخ: يجب على الملك وعلينا أن نطيع الله عز وعلا ، وأن نعمل حسب آيات القرآن المجيد..إذا عمل الملك حسب ما أمره الله ورسوله ﷺ ستنبه ، وفي غير هذه الحالة فالسيف يكون الفاصل بيننا وبينه . ومعناه أنه اشترط عليهم أن يُلغوا العمل بشريعة الياسة الجنكيزية التي كانت سارية بينهم ، وكانوا يجبون الضرائب بموجبها ! فتوجه طوغاي تيمور خان بعسكره لحربهم في ما زندران ، وكانوا ثلاثة آلاف وسبع مائة رجل ، وأرسلوا مبعوثاً اليه يطلبون موافقته على العمل بالشريعة وحقن الدماء ، فأجابهم طوغاي: أنتم جماعة من القرويين تريدون التأمر علينا ، ووقع بينهم معركة سنة ٧٤٢ ، انتصر فيها السريدارية ، وبسطوا سلطتهم على

أنحاء خراسان . وروى ابن بطوطة المعاصر لتلك المعركة ما سمعه من المتعصبين أتباع ملك هرات ، فقال في رحلته ١/٤٢٥: « فعظم جيشه (مسعود زعيم السريدارية) واستفحل أمره ، وتمذهب جميعهم بمذهب الرافض ، وطمحوا إلى استئصال أهل السنة بخراسان ، وأن يجعلوها كلمة واحدة رافضية ، وكان بمشهد طوس شيخ من الرافضة يسمى بحسن ، وهو عندهم من الصلحاء فوافقهم على ذلك وسموه بالخليفة ! (هذا للتهويل وإسره الشيخ خليفة) وأمرهم بالعدل فأظهروه ، حتى كانت الدراهم والدنانير تسقط في معسكرهم فلا يلتقطها أحد حتى يأتي ربها فيأخذها (شهادة مهمة) وغلبوا على نيسابور ، وبعث إليهم السلطان طغيتمور بالعساكر فهزموه ، ثم بعث إليهم نائبه أرغون شاه فهزموه وأسرهم ومنوا عليه ، ثم غزاهم طغيتمور بنفسه في خمسين ألفاً من التتر فهزموه وملكوا البلاد ، وتغلبوا على سرخس والزواة وطوس وهي من أعظم بلاد خراسان ، وجعلوا خليفتهم بمشهد علي بن موسى الرضا... واجتمعت الرافضة في مائة وخمسين ألفاً من الفرسان وكانت الملاقاة بصحراء بوشنج ، وصبر الفريقان معاً ثم كانت الدائرة على الرافضة وفرّ سلطانهم مسعود ، وثبت خليفتهم حسن في عشرين ألفاً حتى قتل وقتل أكثرهم ، وأسر منهم نحو أربعة آلاف... وكانت هذه الواقعة بعد خروجي من الهند عام ثمانية وأربعين ». انتهى.

وفي نص ابن بطوطة مكذوبات سمعها من المماليك الغوريين الأحناف في هرات ، عن شخصيات السريدارية ومذهبهم ، وعن أعداد جيش الطرفين .

وفي السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة ٧٥٤ ، تمكن السريداية من القضاء

على آخر معقل لحكومة سلالة هولوكو ، وبذلك نظفوا منهم دولتهم ، وشملت ولاية كركان وأسترباد وقسماً من ساحل بحر الخزر الى مدينتي طوس ومشهد . وأبرز قادتهم علي بن المؤيد ، الذي ضرب النقود باسم الأئمة الإثني عشر عليه السلام وكان يحترم السادة والعلماء احتراماً خاصاً ، وكانت ملابسه بسيطة ، وكان يتجول في الليالي في الأزقة والمحلات ، يتفقد الضعفاء والأيتام .

وفي سنة ٧٨٣ دخل تيمور لنك بجيشه الجرار مدينة سبزوار ، واستقبله علي بن المؤيد فأبقاه على حكمه وأكرمه ، ثم اعتقله مدة طويلة وأمر بقتله سنة ٧٩٥ . وبعد موجة تيمور قام أهالي سبزوار بقيادة الشيخ داود السبزواري لإحياء حكومة السربدارية ، إلا أن تيموراً توجه بنفسه إلى سبزوار وحاصرها وارتكب فيها مذبحة ، وأمر بدفن ما يقرب من ألفي رجل أحياء في جدار أحد الأبراج ! ولكنهم عاودوا انتفاضتهم بعد وفاة تيمور سنة ٨٠٧ ضد ولده شاهرخ ، وكانت بينهم معارك ، فسيطر على أثرها شاهرخ على عاصمتهم سبزوار وأنهى دولتهم .

٣- صفى الدين الأردبيلي جد الملوك الصفويين

نص الشيخ البهائي والمحقق البحراني رحمهما الله ، على أن صفى الدين الأردبيلي جد الملوك الصفويين عليه السلام كان شيعياً ، قال في الكشكول : « كان من علماء الشريعة الحقّة وكبراء مشايخ الطريقة والحقيقة ، وقد جمع من علوم البواطن والظواهر ، وهو من أجلة سادة آل الإمام الهمام موسى بن جعفر عليه السلام » .

وكان الشيخ صفى من شخصيات إيران التي يحترمها السلطان خدابنده

والعلامة الحلي ، فقد نقل الرازي في كتابه هفت إقليم: «إن السلطان محمد خدابنده الملقب لما بنى مدينة سلطانية بين تبريز وقزوین وجمع الأكابر والأشراف والعلماء والفضلاء والمشايخ ، واستضافهم فيها ، يوم شروعه في بنائها أو كمالها ، كان في جملتهم الشيخ صفي». انتهى.

وكان الشيخ صفي شيخ الطريقة الصوفية ورئيس خانقاه «وهو رباط الصوفية ومتعبدهم ، فارسية أصلها خانه كاه ، هذا محل ذكره». (الزبيدي في تاج العروس: ٣٢٠/١٩ ، ونحوه أنساب السمعاني: ٣١٣/٢).

ويظهر أن نظام الخانقاهات انطلق من إيران ، فأقدم خانقاه عثرت عليها كانت في نيشابور ، أسسها الإمام السني ابن حبان ، في القرن الثالث والرابع ، وهذا يرد زعم أعداء الشيعة بأنهم أسسوا الخانقاهات بدل المساجد !

وقد شملت هذه الخانقاهات أنشطة المتصوفة من علماء وعامة ، رجالاً ونساء ، وأنشطة الشباب الرياضية والفروسية ، والأنشطة الفنية من شعر وأدب وغناء ، وبعض الخانقاهات لم تخل من الخمر والفساد .

وكان تأثيرها واسعاً في المجتمع ، وكان لها فروع في أنحاء البلاد الإسلامية وأوقاف ، وهي تُدار من قبل شيخ الطريقة وخلفائه في المناطق ، الأمر الذي جعله مركز نفوذ تحسب له الدولة حسابه .

أما سبب علاقة هذه الطرق والخانقاهات بالشيعة ، فهو أن شيوخ التصوف يبحثون عن شخصيات عارفة بالله تعالى ليتخذوها قدوة ، وطبيعي أن يجدوا في أهل البيت (عليه السلام) بغيتهم ، ولذلك نسبوا طرقهم الى أمير المؤمنين (عليه السلام) كمصدر

لأفكارهم في معرفة الله تعالى ، فدخل التشيع بمعنى حب أهل البيت عليهم السلام في ثقافتهم ، ودخل مديح أمير المؤمنين عليه السلام في أناشيدهم وأذكارهم وأورادهم .

وكان الشيخ صفي الدين الأردبيلي شيخ طريقة وصاحب خانقاه ، وله احترامه ونفوذه في شمال إيران ، وفي القبائل التركية في آذربيجان وديار بكر .

وكونه من ذرية الإمام الكاظم عليه السلام جعل له احتراماً خاصاً عند المسلمين ، وقد نسبوا له كرامات ، وألف بعضهم فيها كتاباً .

وكونه من ترك أردبيل الذين لهم تاريخ في الجهاد ضد الجورجيين ، ورد هجماتهم ، جعل قبائل الترك المنتشرة في تركيا والشام وما وراء النهر ، تشعر أنه منهم ، وأن طريقته طريقة قومهم وآبائهم .

وقد طلب الشيخ صفي الدين العلم والتصوف ، فسافر إلى شیراز ، ودرس فيها تفسير القرآن على رضي الدين المانقي . والتقى بالشيخ مصلح الدين سعدي وتعلم في التصوف على الشيخ الزاهد البيلاني في غيلان ، فأحبه ودرسه واعتمد عليه ، ولما أحس بدنو أجله استدعاه من أردبيل ، ونصبه خليفته .

وكان حكام عصره يزورونه طلباً للبركة والنصيحة ، أمثال محمود غازان خان بعد إسلامه ، والسلطان محمد خدابنده ، وابنه بو سعيد ، والأمير چوپان ، والأمير حسن حاكم تبريز ، وكان أوزبك خان ملك سهول القبجاق يحترمه . وخلفه ابنه الشيخ موسى وكثر أتباعه ونفوذه ، فكان الخانقاه الصفوي محط رحال آلاف الزوار الذين يقدمون إليه من أرجاء البلاد ، فكانوا ينبهونهم إلى

وقت الغداء والعشاء بالضرب على الطبول .

وبعد وفاة الشيخ موسى ، صار خليفته ابنه الشيخ الخواجه علي ، وكان الأمير المغولي تيمور لنك الهورباني يحترمه ، وفي عودته بعد احتلاله تركيا حل ضيفاً عنده في أردبيل ، فطلب منه إلغاء قراره بتهجير قبائل تركية في الأناضول قبيل منه ، واشترى تيمور قرى ومزارع وأوقفها على خانقاه الصفيين ، ونقل صورة الوقفية في مستدركات أعيان الشيعة: ٥١ / ٢ ، ووصف الراوي ورقها الرسمي وذكر نصها ، وهي وثيقة تاريخية مهمة .

وخلف الخواجه علي ابنه الشيخ ابراهيم ، وفي عهده زادت مكانة الخانقاه الصفوي ، وعندما توفي عام ٨٥١ خلفه ابنه الشيخ جنيد ، وكان أتباعه يسمونه السلطان ، فخشي الملك جهانشاه قراوينلو من تعاظم نفوذه ، فأخذ يبعث برجاله بالتلميح ثم بالتصريح ، بأن خروجه من مملكة جهانشاه سيعود عليه بالنفع والمصلحة ، فرحل الشيخ جنيد إلى ديار بكر بجماعة من خلفائه ودعائه ، وكان الأمير حسن الآق قويونلو آنذاك حاكماً على جزء من ديار بكر وممتنعاً عن طاعة جهانشاه ، فلما سمع بقدوم موكب الشيخ جنيد سارع إلى استقباله وأسكنه في قصره ، وأسكن مرافقيه في منازل مناسبة ، وكان يتردد عليه يومياً فزادت علاقتهما ، وزوج أخته خديجة بيبك من الشيخ جنيد ، وأمر الشيخ جميع أتباعه في ديار بكر بمساعدة الأمير حسن ، وعاد من ديار بكر إلى أردبيل فتخوف منه الملك جهانشاه ، لكن أعيان الدولة نصحوه أن لا يحاربه ويرسله إلى حدود بلاد الشركس للجهاد فيها ، وبذلك ينشغل الصوفيون بعمل يناسب رغبتهم ،

فتوجه الشيخ جنيد إلى جبال القفقا ز على رأس جماعة كبيرة من أتباعه ومريديه واستقروا هناك ، فحرك جهانشاه عليهم السلطان خليل ملك شيروان لقتالهم فهاجمهم بعدة آلاف أحاطوا بمعسكر الصوفيين ، ودارت بينهم معركة فانتصر عليهم خليل شاه ، وسقط الشيخ جنيد قتيلاً في سنة ٨٦٠ .

وبعدها كانت معركة بين جهانشاه حاكم تبريز ، والأمير حسن حاكم الأناضول رئيس قبائل آق قوينلو فانتصر الأمير حسن ، واستعاد الصفوية مكانتهم وكثر مؤيدوهم .

واستخلف السلطان جنيد ابنه السلطان حيدر وهو ابن أخت الأمير حسن ، وفي أيامه ازدهرت الخانقاه ، وجهر بالتشيع وأمر مريدي الخانقاه بارتداء القبعة الحمراء ذات الخطوط الإثني عشر وعليها أسماء الأئمة عليهم السلام .

وبعد وفاة الأمير حسن حكم ابنه السلطان خليل وبعده أخوه السلطان يعقوب فضعفت علاقتهم بالسلطان حيدر ، فذهب إلى مدينة دربند على رأس سبعة آلاف من الصوفيين ، وعزم على احتلال قلعة باب الأبواب ، وأوشك أن ينتصر عليها ، ففاجأته قوات السلطان يعقوب من خلفه ، وكانت بينهم معركة قتل فيها السلطان حيدر سنة ٨٩٣ ، فدفن أتباعه جثته ليلاً لئلا تقع بأيدي العدو . وبعد إحدى وعشرين سنة نقله ابنه إسماعيل إلى أردبيل ودفنه مع أجداده .

٤- الشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية

كان للسلطان حيدر الصفوي ، أربعة أبناء حبسهم الملك يعقوب في قلعة اصطخر ، ولما مات يعقوب سيطر رستم على الحكم ، فأخرجهم من السجن وجعل رئيسهم السلطان خواجه علي الصفوي قائد جيشه ، فجمع مريديه من ولايات تركيا والشام ، واشتهروا بإسم (قزلباش) وهو لفظ تركي بمعنى: الرؤوس الذهبية ، فقلز بالتركية: ذهب. وباش: رأس .

وقد حارب الخواجه علي مع رستم ملك شيروان وانتصر عليه ، لكن رستم خاف منه وقتله سنة ٩٠٠ ، وهرب إخوته ومنهم الشاه إسماعيل ، وخبأه مريدوه حتى ظهر عام ٩٠٦ ، في قوة عسكرية بلغت خمسة آلاف ، وانضمت اليهم بعض القبائل التركية كقبيلة شاملو ، وإسماعيل بيرام بيك القراماني ، بعد سقوط عاصمتهم قونية ، بيد بني عثمان جُوق .

وقصد الشاه إسماعيل عدوهم ملك شيروان بعشرين ألفاً ، فانتصر عليه وقتله ودخل مدينة شماخي عاصمة شيروان ومدينة پيلان ، وألبس زعماءها تيجان القزلباش ، وكانوا يسمونه تاج حيدر .

وقد راج هذا التاج بعد وفاة السيد حيدر عام ٨٩٤ ، وجعله الشاه إسماعيل لباس جيشه ، وكان تجار البندقية يأتون بالأقمشة الحمراء في قوافل عن طريق حلب ، ليبيعوها في إيران . (مستدركات أعيان الشيعة: ١٠٦/٧).

وفي أوائل عام ٩٠٧ دخل الشاه إسماعيل تبريز بدون مقاومة ، وجلس على

عرشها متوجاً نفسه ملكاً لإيران ، وأمر أن تكون الخطبة باسم الرسول ﷺ وأmir المؤمنين والأئمة الإثني عشر عليهم السلام ، وكان فيها شيعة وسنة ، وقد رفض بعض الخطباء الإنصياح لأوامر الشاه إسماعيل ف ضرب أعناقهم ، فانصاع الباقون لأمره ، وكان جنود الصفويين القزلباش يلزمون المساجد في أيام الجمعة لمراقبة الخطباء ، وفوض القاضي شمس الدين الهيلاني منصب الصدارة وهو يشتمل على رئاسة الأمور الدينية والقضائية .

ويعتبر اختراع السيد حيدر والد الشاه إسماعيل للقبعة الشيعية لجيشه ومريديه ، ابتكاراً ذكياً وتعبئة معنوية بأنهم يتمنون الى أهل البيت عليهم السلام ويقاتلون من أجل قضيتهم ، وقبول عامة الناس لهذا الزي يدل على أن التشيع كان واسعاً في إيران ، خاصة في قبائل الأتراك .

وكان الشاه إسماعيل يحكم مناطق عديدة من تركيا ، لعلاقة قبائلها القديمة مع الطريقة الصفوية ، ومنها ديار بكر ومدينة أورفا ، وكان حاكمها من القزلباش واسمه آجه وهو رئيس قاجار . ثم قام الشاه إسماعيل بضم العراق الى مملكته ، وكان يحكمه الأمير باريك بيك من التركمان الآق قويونلو المخالفين للشاه إسماعيل ، لكن كان له أنصار شيعة في العراق فحركهم على حاكمه ، وبلغ نفوذه أن وزراء حاكم بغداد حذروه من احتمال خروج حراسه عليه وتسليمهم إياه إلى قوات القزلباش ! فركب الحاكم زورقاً ليلاً وهرب إلى حلب !

فأخرج أهل بغداد السيد محمد كمونة المحبوس في بئر ونصبوه والياً على بغداد . ودخل الشاه إسماعيل بغداد عام ٩١٤ ، بدون مقاومة ، فذبح الناس الأبقار

والأغنام استقبالاً له ، ووزع أموالاً طائلة من الذهب والفضة على المحتاجين .

وفي اليوم التالي توجه الى كربلاء المقدسة وزار سيد الشهداء عليه السلام وأكرم الساكنين بجوار الروضة الحسينية بعطايا وهدايا، وخص القبر الشريف بالتحف الثمينة وأمر بإكسائه بطلاء من الذهب ، وتعليق اثني عشر قنديل من الذهب فوقه ، وفرش الحرم الشريف بسجاد من الحرير . وكان يشارك بنفسه في هذه الأعمال ليحسب من خدم الحسين عليه السلام ، وفي الليلة الأخيرة من إقامته اعتكف في الحرم الحسيني الى الصباح مستغلاً بالعبادة والدعاء .

ثم ارتحل إلى النجف عن طريق الحلة ، فلما رأى مشارف النجف ترجل ماشياً إلى المرقد المقدس وزار أمير المؤمنين عليه السلام ودعا تحت قبته، وأكرم جميع سكان مدينة النجف ، واعتكف ليلة في الحرم الشريف .

ثم عاد إلى الحلة ، فاشتكى إليه بعض أهلها من إزعاج بعض قبائل أعراب البادية لهم ولقوافلهم ، فهاجمهم وقتل جماعة منهم . ثم توجه إلى بغداد ومنها إلى سامراء والكاظمية فزار الأئمة عليهم السلام وأكرم سكان هاتين المدينتين ، ثم أمر خليفة الخلفاء خادم بيك بشق نهر من الفرات إلى النجف الأشرف ، والقيام بإعمار المدن المقدسة ، وعين السيد محمد كمونة سادناً لحرم أمير المؤمنين عليه السلام .

وبلغه أن السلطان العثماني يرسل رستم حاكم لرستان وكان شيعياً ، فأرسل له قوة من القزلباش فهرب ، ثم طلب الأمان فعفا عنه وجاء وأنشد الشاه شعراً باللغة اللرية في مدح أمير المؤمنين عليه السلام فأعجبه وأمر بتزيين لحيته بالجواهر واللاكي ، كما كان يفعله ملوك إيران القدماء ، وأعادته حاكماً على لرستان .

٥- الطعن القديم الجديد في الحكم الصفوي الشيعي

لا يمكن أن ننتقد الحركة الصفوية لأنها عملت لإنهاء حكم المغول وتشكيل دولة تحفظ مصالح الشعب الإيراني ، فمن حق كل شعب أن يقاوم تسلط الآخرين على بلده . كما أن من حق أهل كل مذهب أن يحموا أنفسهم من القتل والإبادة ، التي كانت وما زالت قائمة ضد الشيعة ! فهاهم أعداؤنا الى اليوم ينفذونها علناً أينما استطاعوا ، كما شاهدنا في العراق وأفغانستان وغيرهما !

وقد تحركت الشعوب الإسلامية بعد انهيار المغول لتشكيل دولها ، وكان لمصر وتركيا وإيران طموحٌ أن تشمل دولتها العالم الإسلامي ، فلماذا نعطي الحق في هذا الطموح للمماليك الشراكسة في مصر ، ولبنني عثمان جُوق المغول في تركيا ، ولا نعطيهم للسادة الصفويين في إيران ؟! فهل أولئك خير منهم ؟

أما إذا تكلمنا في العدل والظلم ، فالكل سواء ولا نعرف أيهم أظلم من أي! وأكثر أصحاب مشاريع الدولة إخوة في الظلم ، أشقاء لأب وأم ، ففيهم أسوأ من بعضهم ، وليس فيهم أحسن !

وإذا كان مقياسنا المذهب ، فلماذا نعذر من يجعل ولاية أبي بكر وعمر وعثمان ومعوية ديناً ويقتل عليه المسلمين ، ونفضله على الذي يجعل ولاية عليٍّ وأهل البيت عليهم السلام ديناً ، ويقال إنه قتل عليها بعض الناس !

ونلاحظ أن الخط الذي واجه السلطان محمد خدابنده والعلامة الحلي والمحقق الطوسي رحمهم الله ، واجه الحكم الصفوي بنفس المنطق !

فقرى ذم ابن تغري وابن تيمية والذهبي للسلطان خدابنده ، كذم النهر والى الهندي للشاه إسماعيل ! فمنطقهم واحد ، وتهمهم مكررة .

كما لا تجد فرقاً بين نقد الإفرنجيين المعاصرين للشاه إسماعيل ، ونقد القوميين العرب له ، ولا نقد الوهابيين ، فهم يزعمون أن إيران كانت سنية فشيعةها الشاه إسماعيل بالقوة ! وأن الصفويين ليسوا سادة من ذرية أهل البيت عليه السلام ، بل شعوبيون اخترعوا مذهب التشيع من أجل القومية الفارسية !

ثم زعموا أن الصفويين شنوا حرباً على دولة الخلافة الإسلامية العثمانية ، فشغلوها عن حربها مع البرتغاليين والغربيين !

وكلها تهمٌ ظالمةٌ وأكاذيب لتغطية جريمة السلاطين العثمانيين ، الذين دفعهم الغربيون لإيقاف تقدمهم في أوروبا ، مقابل مساعدتهم لشن حرب على إيران ! ورافق سفير ملك فرنسا سليماً العثماني في عدوانه على إيران !

ولم يكن سليم خليفة عندما هاجم إيران ! بل كان سلطان قسم من تركيا وما ضموه إليها من مناطق البلقان وأوروبا الشرقية فقط . وكان إسماعيل سلطان إيران وما وراء النهر والقوقاز والعراق وساحل الخليج ، وقد وقف معه السلطان العام للخلافة قانصوه الغوري ، وأرسل الى سليم ينهاء عن غزو إيران فلم يطعه ، فساعد الشاه إسماعيل في حربه معه ، حتى انتصر وأخرجه من تبريز .

فلماذا يفترضون أنه كان يجب على إسماعيل أن يطيع العثمانيين؟ ولا يفترضون في سليم أن يطيع السلطان الشرعي في مصر ، كما كان يفعل آباؤه وأجداده !

إننا بحاجة الى قراءة جديدة للتاريخ ، علمية ، لا كما يقرؤه الوهابيون والقوميون المتعصبون ! لنجد أن السلطان سليم والخلافة العثمانية ما هي إلا خطة فرنسية ، وأن سليماً نفذها بالكامل ، وأعطى فرنسا امتيازات في كل بلاده ، لم تكن تحلم بها أبداً ! ويكفي أن تقرأ كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية ، لمؤلفه محمد فريد ، وهو عثماني متعصب لهم ، وتقرأ فيه نصوص الإمتيازات التي أعطاه السلطان سليم للغربيين والفرنسيين خاصة ، وكيف ساعده لسحب جيش أبيه من أوروبا وشن حرب على إيران ، وعلى سلطان مصر وخلافتها !

إني أدعو شباب المسلمين الى قراءة تاريخ التشيع بعمق من مصادره ، وعدم الإغترار بالشعارات الخداعة التي تقسمه الى تشيع علوي و صفوي !

وقد اغتر بهذه الشعارات الدكتور علي شريعتي في كتابه: التشيع الصفوي والعلوي ! وفسر هذه الدعوى بأن التشيع العلوي هو الإسلام ، وهو ثورة دائماً والتشيع الصفوي تشيع دولة يدعو الى طاعتها !

لكن هل يعقل أن ينزل الله تعالى ديناً يقتصر فيه على الأمر بالثورة وهدم الباطل بدون الأمر ببناء البديل ؟!

لقد استعمل مع الأسف شعارات للتهويل بدل الكلام العلمي فقال:

التشيع العلوي تشيع تقية المناضل ، والتشيع الصفوي تشيع الخامل !

التشيع العلوي تشيع اجتهاد وانفتاح ، والصفوي تشيع جمود وانغلاق !

التشيع العلوي رجوع الى العالم المتخصص ، والصفوي طاعة عمياء !

التشييع العلوي تشييع الإنسانية ، أما التشييع الصفوي فتشييع القومية !

التشييع العلوي تشييع ثورة كربلاء ، والتشييع الصفوي تشييع مصيبة كربلاء !

التشييع العلوي تشييع الوحدة ، أما التشييع الصفوي فهو تشييع الفرقة !

التشييع العلوي تشييع التوحيد ، أما التشييع الصفوي فهو تشييع الشرك !

التشييع العلوي تشييع السنة ، أما التشييع الصفوي فهو تشييع البدعة !

التشييع العلوي يقارع الظالمين ، والتشييع الصفوي يخدم الظالمين .

التشييع العلوي تشييع الإنتظار الإيجابي ، والتشييع الصفوي الإنتظار السلبي .

الى آخر التعابير التي اخترعها المؤلف كقوله: التسنن الأموي والمحمدي !

وقد حمل السلفيون مقولة الدكتور علي شريعتي قميص عثمان ، وأوصلوها الى

مقولة: التشيع العلوي يتولى عمر بن الخطاب ويحبه ، والتشييع الصفوي يتبرأ من

عمر وأبي بكر ! وهي محاولة يائسة لتصنيف الشيعة الى أصناف وأقسام وهمية ،

لعلهم يجدون منهم إمعات تتبعهم أو تتأثر بهم !

٦- الفرق بين الحكم الشيعي وحكم الخلافة

الفرق بين الحكم الشيعي وحكم الخلافة في ثلاثة أمور: الحرية المذهبية ، وتبني سياسة الإعمار ، وسياسة تشجيع العلم والثقافة .

فقد كان مطلب الشيعة عبر التاريخ ومازال: نيل حريتهم في العقيدة والتعبير عنها وممارستها ، فهم يقاومون الإكراه والإجبار ، كما لا يجبرون أحداً على مذهبهم ، وقد وثقنا تطبيق الحكام المغول الشيعة لتوجيهات نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي ، في الحرية المذهبية والإعمار وتشجيع الثقافة .

لكن الشاه إسماعيل تأثر بمعاصره السلطان سليم ، وشكل سابقة في التاريخ الشيعي فأجبر في حالات نادرة بعض الناس على مذهب أهل البيت عليهم السلام !

ومهما قلنا في هذا التصرف فإن التعددية في الأمة ضرورة ونعمة حتى يظهر الإمام المهدي عليه السلام ، وقد حققت ذلك حركة الصفويين . بل إن التعددية داخل المذهب الواحد نعمة أيضاً ، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام «أنا أوقعت الاختلاف بينكم كي لا تعرفوا فتؤخذوا» . (جواهر الكلام: ٦٣ / ٧) .

قال السيد الأمين عليه السلام في أعيان الشيعة: ١١٤ / ٢: «والصفوي نسبة إلى الشيخ صفي الدين إسحق جدهم المذكور ، وظهرت دولتهم بعد وفاة حسن الطويل ملك تبريز ، وهم من أهل أردبيل وكانت مدة ملكهم ٢٣٣ سنة من سنة ٩٠٦ إلى سنة ١١٣٩ ، وعدة ملوكهم عشرة ، أولهم الشاه إسماعيل بن حيدر ، ولم يكن آباؤه من السلاطين ، لكنهم كانوا من مشايخ الصوفية والعرفاء ، فلقبوا بلقب بسطان لذلك ، وآخرهم الشاه طهماسب الثاني بن الشاه حسين .

وارتقت في عهدهم الدولة واتسعت المملكة ، وكانوا معظمين لأهل العلم والدين ، فكثرت في عهدهم العلماء ، وألفت الكتب ، ونسخت المخطوطات النفيسة من كتب الإسلام ، وانتقلت الدولة منهم إلى نادر شاه .



٣- نشوء الدولة العثمانية المغولية في تركيا ومحيطها

١- تركيا بلد لم يحكمه أهله أبداً !

أهل تركيا هم القبائل التركية ، ولكنهم لم يحكموا بلدهم من يوم غزاهم الروم فأسسوا في بلادهم بيزنطة الشرقية ، ثم احتلها المسلمون وحكمها السلاجقة قرونًا ، وهم من المغول وعرفت باسم : أرض الروم . ثم حكمها العثمانيون قرونًا ، وهم أبناء عثمان جُق بن أرطغرل المغولي ، حتى أسقط خلافتهم الغربيون والوهابيون !

قال ابن خلدون: ٥٥٨/٥: «هذه المملكة كانت لبني قليج أرسلان من ملوك السلجوقية ، وهم الذين أقاموا فيها دعوة الإسلام وانتزعوها من يد ملوك الروم أهل قسطنطينية ، واستضافوا إليها كثيراً من أعمال الأرض ومن ديار بكر ، فانفسحت أعمالهم وعظمت ممالكهم ، وكان كرسيمهم بقونية .

ومن أعمالها أقصر وأنطاكية والعلايا وطغرل ودمرلو وقرا حصار ومن ممالكهم آذربيجان ، ومن أعمالها أقشهر وكامخ وقلعة كعونية ، ومن ممالكهم قيسارية ، ومن أعمالها نكرة وعداقلية ومنال . ومن ممالكهم أيضاً سيواس وأعمالها ، ملكوها من يد الوانشمند ، كما مر في إخبارهم . ومن أعمالها نكسار وأفاسية وتوقات وقمنات وكنكرة كورية وسامسول وصفوى وكسحونية وطرخلوا وبرلوا ، ومما استضافوه من بلاد الأرمن خلاط وأرمينية الكبرى وأنى وسلطان وارجيس وأعمالها . ومن ديار بكر خرت برت وملطية وسميساط

ومسارة . فكانت لهم هذه الأعمال وما يتصل بها من الشمال إلى مدينة برصة ثم إلى خليج القسطنطينية ، واستفحل ملكهم فيها وعظمت دولتهم ، ثم طرقها الهرم والفشل كما يطرق الدول .

ولما استولى التتر على ممالك الإسلام وورثوا الدول في سائر النواحي واستقر التخت الأعظم لمنكوقان أخي هلاكو ، وجهز عساكر المغل سنة أربع وخمسين وست مائة إلى هذه البلاد ، وعليهم بيكو من أكابر أمرائهم ، وعلى بلاد الروم يومئذ غياث الدين كنجسرو بن علاء الدين كيقباد ، وهو الثاني عشر من ملوكهم من ولد قطلمش ، فنزلوا على أرزن الروم وبها سنان الدين ياقوت مولى علاء الدين فملكوها بعد حصار شهرين واستباحوها ، وتقدموا أمامهم ولقيهم غياث الدين بالصحراء على أقشهر وزنجان وانهمز غياث الدين واحتمل ذخيرته وعياله ولحق بقونية ، واستولى بيكو على مخلفه ثم سار إلى قيسارية فملكوها ، وهلك غياث الدين أثر ذلك ، وملك بعده بعهد ابنه علاء الدين كيقباد ، وأشرك معه أخويه في أمره وهما عز الدين كيكائوس وركن الدين قليج أرسلان .

وعاثت عساكر التتر في البلاد فساد علاء الدين كيقباد إلى منكوقان صاحب التخت ، واختلف أخواه من بعده وغلب عز الدين كيكائوس ، واعتقل أخاه ركن الدين بقونية ، وبعث في أثر أخيه علاء الدين من يستفسد له منكوقان ، فلم يحصل من ذلك على طائل ، وهلك علاء الدين في طريقه وكتب منكوقان بتشريك الملك بين عز الدين وركن الدين ، والبلاد بينهما مقسومة ، فعز الدين من سيواس إلى تخوم القسطنطينية ، ولركن الدين من سيواس إلى أرزن الروم

متصلاً من جهة الشرق ببلاد التتر ، وأفرج عز الدين عن ركن الدين واستقر في طاعة التتر... ولهما إسم الملك والحكم للشحنة بيكو .

ولما زحف هلاكو إلى بغداد سنة ست وخمسين استنفر بيكو وعساكره ، فامتنع واعتذر بمن في طريقه من طوائف الأكراد الفراسيلية والياروقية ، فبعث إليه هلاكو العساكر ومروا بأذربيجان ، وقد أجفل أهلها الأكراد ، فملكوها وساروا مع بيكو إلى هلاكو ، وحضروا معه فتح بغداد وما بعدها ، ولما نزل هلاكو حلب استدعى عز الدين وركن الدين فحضرتا معه فتحها ، وحضر معها وزيرهما معين الدين سليمان البروانة واستحسنه هلاكو ، وتقدم إلى ركن الدين بأن يكون السفير إليه عنه ، فلم يزل على ذلك....

وبقي أمراء المغل يتعاقبون في الشحنة ببلاد الروم.. ثم رأى السلطان أبو سعيد على بلاد الروم دمرdash بن جويان سنة ثلاث وعشرين ، واستفحل بها ملكه وجاهد الأرمن بسيس ، واستمد الناصر محمد بن قلاون صاحب مصر عليهم ، فأمدّه بالعساكر وافتتحوا آياس عنوة ورجعوا .

ثم نكّب السلطان أبو سعيد نائبه جويان بن بروان وقتله... وبلغ الخبر إلى دمرdash ابنه ببلاد الروم فاضطرب لذلك ، ولحق بمصر في عساكره وأمرائه.. وكان دمرdash لما هرب من بلاد الروم إلى مصر ترك من أمرائه أرتنا ، وكان يسمى النوير اسم أبناء الملوك ، فبعث إلى أبي سعيد بطاعته ، فولاه على البلاد فملكها ونزل سيواس واتخذها كرسي ملكه .

أقول: فالذين فتحوا تركيا حسب هذا النص هم السلاجقة الترك ، ثم احتلها المغول فخضع لهم السلاجقة ، وظلوا هم الحكام ، لكن من فوقهم الشحنات المغولية ، أي القواعد العسكرية .

٢- السلاجقة والعثمانيون مغول وليسوا أتراكاً !

قال المؤرخ المحيي في خلاصة الأثر/ ١٢: «عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه السلطان الأعظم ، أحد ملوك آل عثمان ، المطوق بعقد مفاخرهم جيد الزمان ، قد تقرر أن أصل بيتهم من التركمان النزالة الرحالة من طائفة التاتار» . انتهى.

وقال المؤرخ ابن العماد في شذرات الذهب: ٦٨/٣: «أول الملوك العثمانية خلد الله دولتهم ، وهو السلطان عثمان بن طغرىك بن سليمان شاه بن عثمان ، تولى صاحب الترجمة سنة تسع وتسعين وست مائة ، فأقام ستاً وعشرين سنة .

نقل القطبي أن أصله من التركمان الرحالة النزالة من طائفة التتار ، ويتصل نسبه إلى يافث بن نوح ! ونقل صاحب درر الأثبان في أصل منبع آل عثمان ، أن عثمان جدهم الأعلى من عرب الحجاز ! وأنه هاجر من الغلاء لبلاد قرمان واتصل بأتابع سلطاتها في سنة خمسين وست مائة وتزوج من قونيا فولد له سليمان فاشتهر أمره بعد عثمان ثم تسلطن ، وهو الذي فتح برصا في حدود ثلاثين وسبع مائة . ثم تسلطن بعد سليمان ولده عثمان حواي الأصغر ويقال هو الذي افتتح برسيا وأنه أول ملوك بني عثمان فإنه استقل بالملك . وأما أبواه فكانا تابعين للملوك السلجوقية » .

وقال العصامي المكي في سمط النجوم/١٣١٩، عن والد أرطغرل: «وكان لجدّه سليمان أربعة أولاد منهم اثنان توجهّا إلى بلاد العجم وهما سنقر وندار، وتوجه إلى بلاد الروم اثنان أرطغرل وكون قدما على السلطان علاء الدين السلجوقي وكان سلطان بلاد قرمان فأكرمهما وأذن لهما في الإقامة... وخلف أرطغرل أولاداً نجباء أقواهم جاشاً السلطان عثمان».

أقول: لاحظ أن العصامي يقول إن الأمير علاء الدين حاكم قونية، أذن لأرطغرل وأخيه بالإقامة في خدمته، وفي نفس الوقت يعبر عن ابن أرطغرل بالسلطان عثمان، وهو عثمان جُوق أي الصغير!

والصحيح أن أرطغرل وأخاه كانا جنديين عند الأمير علاء الدين السلجوقي، فولد أرطغرل عثمان الصغير وزوجه الأمير السلجوقي من أقاربه، فصار لعثمان شأن ما بعد وفاة الأمير، ثم سيطر أولاده على أمارّة علاء الدين، واستعملوا في ذلك الحرب والحيلة والتواطؤ مع آخرين.

قال ابن خلدون: ٥/٥٦٣: «ثم كان بين بنى عثمان جوق، وبين بنى قرمان (السلجقة) اتصال ومصاهرة، وكان ابن قرمان لهذا العهد صهر السلطان مراد بك على أخته، فغلبه السلطان مراد بك على ما بيده، ودخل ابن قرمون صاحب العلاء في طاعته، بل والتركمان كلهم».

وقد حبس بنو عثمان بني قرمان أي السلجقة من عائلة علاء الدين، حتى أطلقهم تيمور لئلا في حملته على تركيا. قال في النجوم الزاهرة: ١٢/٢٦٩: «ثم أفرج تيمور عن محمد وعن أولاد ابن قرمان من حبس أبي يزيد بن عثمان وخلع عليهما

ولاهما بلادهما، وألزم كل واحد منهما بإقامة الخطبة وضرب السكة باسمه .

وقد حاول المؤرخ العثماني محمد فريد ، أن يجعل أرطغرل جد العثمانيين من التركمان ، ويبعده عن أصلهم المغولي ، وأن يجعله زعيم قبيلة !

قال في كتابه: تاريخ الدولة العلية العثمانية/ ١١٥: «ومؤسس هذه الدولة هو أرطغرل بن سليمان شاه التركماني ، قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية إلى بلاد آسيا الصغرى ، وذلك أنه كان راجعاً إلى بلاد العجم بعد موت أبيه غرقاً عند اجتيازه أحد الأنهر ، إذ شاهد جيشين مشتبكين فوقف على مرتفع من الأرض ليمتع نظره بهذا المنظر المألوف لدى الرحل من القبائل الحربية ، ولما أنس الضعف من أحد الجيشين وتحقق انكساره وخذلانه إن لم يمد إليه يد المساعدة ، دبت فيه النخوة الحربية ونزل هو وفرسانه مسرعين لنجدة أضعف الجيشين ، وهاجم الجيش الثاني بقوة وشجاعة عظيمتين ، حتى وقع الرعب في قلوب الذين كادوا يفوزون بالنصر لولا هذا المدد الفجائي ، وأعمل فيهم السيف والرمح ضرباً ووخزاً حتى هزمهم شر هزيمة ، وكان ذلك في أواخر القرن السابع للهجرة !

وبعد تمام النصر علم أرطغرل بأن الله قد قيضه لنجدة الأمير علاء الدين سلطان قونية ، إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست عقب انحلال دولة آل سلجُوق بموت السلطان ملك شاه في سنة ٤٨٥ ، فكافأه علاء الدين على مساعدته له بإقطاعه عدة أقاليم ومدن ، وصار لا يعتمد في حروبه مع مجاوريه إلا عليه وعلى رجاله ، وكان عقب كل انتصار يقطعه أراضي جديدة ، ويمنحه أموالاً

جزيلة... ولكثرة إعجاب هذا الأمير بشجاعة عثمان تعلق به وصار من أخصائه ثم أسلم! وبقيت ذريته مشهورة في تاريخ الدولة باسم عائلة ميخائيل أوغلي! ولما توفي أرطغرل سنة ٦٨٧هـ. الموافقة سنة ١٢٨٨م. عين الملك علاء الدين أكبر أولاده مكانه، وهو عثمان مؤسس دولتنا العلية العثمانية...

ثم قال: وفي سنة ٦٩٩.. أغارت جموع التتار على بلاد آسيا الصغرى وفيها كانت وفاة علاء الدين آخر السلجوقيين بقونية، قيل قتله التتر وقيل قتله ولده غياث الدين طمعاً في الملك، ولما قتل التتار غياث الدين أيضاً انفتح المجال لعثمان فاستأثر بجميع الأراضي المقطعة له، ولقب نفسه باديشاه آل عثمان، وجعل مقر ملكه مدينة يكي شهر وأخذ في تحصينها وتحسينها، ثم أخذ في توسيع دائرة أملاكه أزمير ثم أزنك.. ثم دخل مدينة بورصة بعد أن فتح كافة ما حولها من القلاع والحصون وحاصرها نحو عشر سنوات من غير ما حرب ولا قتال.

أقول: إن مبالغته لا تخفى على القارئ ومحاولته التغطية على خيانة العثمانيين لولي نعمتهم الأمير السلجوقي، يخالف ما قاله المؤرخون عن أرطغرل وأولاده! فقد أجمعوا على أن بني أرخان بن عثمان جُبق صاهروا بني قرمان وسيطروا على إمارتهم. (صبح الأعشى: ٣٤٩/٥، و: ١٥/٨، والنجوم الزاهرة: ١٠/٢٥٠، وابن خلدون: ٥/٦٣٥).

وأما السلاجقة فهم مغول أيضاً وقد نص المؤرخون على ذلك: «وأصلهم من برّ بخارى، وهم من قوم لهم عدد وقوة وشوكة كانوا لا يدخلون تحت طاعة سلطان». (تاريخ الذهبي: ٣٠/٣٧٨).

«يسكنون فيها وراء النهر في موضع بينه وبين بخارى مسافة عشرين فرسخاً،

وهم أترك وكانوا عدداً يجل عن الحصر والإحصاء». (وفيات الأعيان: ٦٣/٥).

وقد نص المؤرخ العثماني محمد فريد على أنهم من مغول الصين ، فقال في تاريخ الدولة العلية العثمانية/ ٦١: «وفي ذي الحجة سنة ٢٢٢ هـ توفي القادر بالله.. وفي خلافته ابتدأت دولة آل سلجُوق ، وجدُّ هذه العائلة يسمى دقاق من رؤساء قبائل الترك التي كانت تأتي من بلاد كشغر الواقعة في غرب بلاد الصين » .

فهم من قبائل المغول ، ولا ينافيه تسميتهم بالترك ، لأن المسلمين توسعوا في وصف أمم القوقاز والروس والصين بأمم الترك والتركمان ، وقد تقدم أنهم وصفوا العثمانيين بالتركمان ، ونصوا على أنهم من التتار .

٣- هزيمة العثمانيين المذلة على يد تيمور لنك

في السلوك/ ١٨٠٥: «ولما جئ بابن عثمان إلى تمرلنك أوقفه وابنه ثم وكل به . وبعث من الغد في تتبع المنهزمين ، فأحضر إليه من الجرحى نحو الثلاثة آلاف . وتفرقت التمرية في بلاد الروم تعبت وتفسد وتنهب ، وتنوع العذاب على الناس وأحرقوا مدينة برصا !

وفي إنباء الغمر/ ٤٩٠: «سنة خمس وثمان مائة ، في أولها استولى اللنك على أبي يزيد بن عثمان وأسره وأسر ولده موسى ثم قتل أبو يزيد... وكان الأمن في بلاده فاشيا بحيث يمر الرجل بالحمل مطروحاً بالبضاعة فلا يتعرض له أحد ، وكان يشرط على كل من يخدمه أن لا يكذب ولا يخون ، ولكنه كان يصنع من الشهوات ما أراد ! قال: وكان الزنا واللواط وشرب الخمر والحشيش فاشياً في بلادهم

يتظاهرون به... وترك لما مات من الأولاد سليمان ومحمداً وموسى وعيسى فاستقل بالملك سليمان وسار على طريقة أبيه .

٤- كيف استطاع العثمانيون الغرباء أن يحكموا تركيا؟!

كان بنو عثمان جُوق غرباء عن المجتمع التركي فهم مغول لا عشيرة لهم في تركيا ولا قبائل تساندهم ، وجدهم جندي عند بني سلجُوق في قونية ، ثم كان عثمان وابنه أورخان وابنه مراد في بورصة ، ولم تكن حولهم قبائل تساندهم ، فقبائل السلاجقة الصغيرة توالي بني قرمان الذين دخلوا في صراع معهم ، أما القبائل التركية ذات الثقل كقبائل آق قوينلو، وقرق قوينلو ، وذو القدرية ، وشاملو ، وروملو ، واستاجلو...الخ، فمساكنها ديار بكر والأناضول وأذربيجان الشرقية والغربية في إيران ! وهي قبائل شيعية أو تتبع الطريقة البكتاشية وتميل الى الشيعة ، ولا تتقبل سلطة بني سلجُوق ، أو بني جُوق!

فكيف استطاع بنو عثمان جوق أن يحكموا تركيا ويتوسعوا ويبنوا دولتهم ؟ وكيف أخضعوا هذه القبائل الكبيرة ، التي هي تركيا ؟

الجواب: أن الطبيعة الجغرافية لتركيا سمحت لأوروبا أن تنشئ فيها ممالك في سواحلها وجبالها ، وكانت قبائل تركيا تعيش في مناطق السهول ، خاصة ديار بكر والأناضول .

وقد أجاد العثمانيون ثلاثة أمور حققت لهم النجاح ، وهي: تكوين قوة عسكرية من نوع خاص (الإنكشارية) ، والتقرب الديني الى محيطهم الشيعي

الصوفي ، ورفع شعار الغزو والجهاد في سبيل الله تعالى . فقد كانوا مقاتلين محترفين ، وأخذوا ببناء قوة لهم بشراء العبيد ، من مغول وشركس وصرب وأرمن وغيرهم ، ورَبَّوهم بطريقتهم الخاصة ليكونوا مثلهم مقاتلين أشداء .

قال المصامي في سمط النجوم/ ١٣١٩: «خلف أرطغرل أولاداً نجباء أقواهم جأشاً السلطان عثمان.. توفي سنة خمس وعشرين وسبع مائة ، ثم تولى السلطان أورخان وهو أول من اتخذ المماليك وسماهم ينشري يعني: العسكر الجديد» .

قال في تاريخ الدولة العثمانية/ ١٤٦: «جمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور الأعرج فتقابل الجيشان في سهل أنقره... ولكن ضعف جيشه بفرار فرق أيدين ومنتشا وصاروخان وكرميان وانضمامها إلى جيوش تيمور لوجود أولاد أمرائهم الأصليين في معسكر التتار ، ولم يبق مع السلطان إلا عشرة آلاف إنكشاري وعساكر الصرب ، فحارب معهم طول النهار حتى سقط أسيراً في أيدي المغول هو وابنه موسى ، وهرب أولاده سليمان ومحمد وعيسى ، ولم يوقف لابنه الخامس مصطفى على أثر». انتهى.

أقول: هذا يدل على أنهم مغول ، وقد وجد جيشهم أقاربهم وأسيادهم مع تيمور لنك ، وأنه لم يكن لقبائل تركيا وجود في جيشهم !

وبدلنا النص التالي على أن العثمانيين سبقوا عصرهم بترية أقسى جيش في العالم ، مقطوع عن المجتمع والأقارب ، لا يعرف إلا السلطان والقدر !

فهذا المؤرخ محمد فريد وهو مؤرخ تركي ، يمدح أورخان على تكوينه جيش الإنكشارية ، فيقول في كتابه تاريخ الدولة العثمانية/ ١٢٢:

«خشي من تحزب كل فريق من الجند إلى القبيلة التابع اليها ، وانفصام عرى الوحدة العثمانية التي كان كل سعيهم في إيجادها ، فأشار عليه أحدُ فُحول ذلك الوقت ، واسمه قره خليل وهو الذي صار فيما بعد وزيراً أولاً باسم خير الدين باشا ، بأخذ الشبان من أسرى الحرب ، وفصلهم عن كل ما يذكرهم بجنسهم وأصلهم ، وتربيتهم تربية (إسلامية) عثمانية بحيث لا يعرفون أباً إلا السلطان ، ولا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله ، ولعدم وجود أقارب لهم بين الأهالي ، لا يخشى من تحزبهم معهم ! فأعجَبَ السلطان أورخان هذا الرأي وأمر بإنفاذه .

ولما صار عنده منهم عدد ليس بقليل سار بهم إلى الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية بأماسية ليدعو لهم بخير ، فدعا لهم هذا الشيخ بالنصر على الأعداء وقال: فليكن إسمهم بني تشاري ، ويرسم بالتركية هكذا يكيجارى ، أي الجيش الجديد ، ثم حُرِّفَ في العربية فصار أنكشاري ، ثم ارتقى هذا الجيش في النظام وزاد عدده حتى صار لا يعول إلا عليه في الحروب ، وكان هو من أكبر وأهم عوامل امتداد سلطة الدولة العثمانية .

كما أنهم خرجوا فيما بعد عن حدودهم وتعدوا واستبدوا ، مما جعلهم سبباً في تأخر الدولة وتقهقرها ، وكان ضباطهم يلقبون بألقاب غريبة في بابها ولكنها تدل على أن أولئك الجنود كانوا عاشرين من إنعامات السلطان وأنهم كأولاده ! فمن ألقابهم شوريجي باشي وعثي باشي وسقّا أغاشي وأوده باشي ، إلى غير ذلك ، وهذه الألقاب كانت عندهم بمثابة العنوانات الخاصة بالرتب العسكرية ، ثم إنهم كانوا يعظمون ويجلون القدر التي كانت تقدم اليهم فيها المأكولات !

فكان الإنكشارية لا يفارقون تلك القدور حتى وقت الحرب ! وكانوا يدافعون عنها دفاع الجنود عن أعلامهم ! حتى كان يعتبر ضياعها في القتال أكبر إهانة تلحق بأصحابها العار والفضيحة ! وكانوا إذا أرادوا إظهار عدم الرضا من بعض أوامر رؤسائهم يقلبون القدور أمام منازلهم !

واستمرت هذه الفتنة عوناً للدولة على أعدائها ، حتى تغيرت أحوالها وازداد طغيانها ، وانقلبت فوائدها مضررات ، فأبطلها السلطان محمود الثاني بعد أن قتل أغلبهم في يوم ١٦ يونيو سنة ١٨٢٦ - ١٠ ذي القعدة سنة ١٢٤١ م. لمقاومتهم إجراءات السلاطين وعصيانهم عليهم ، وتعليقهم على حقوقهم المقدسة ! انتهى.

أقول: هذا النص الغني بالدلالات ، يعترف بأسلوبهم القاسي المضاد للإنسانية في تربية جيشهم ، والذي يعتبرونه ابتكاراً وإبداعاً ويسمونونه تربية إسلامية !

وقد رأيت أنهم يحاولون إلصاق الإنكشارية بالطريقة البكتاشية التي ينتمي إليها أغلب القبائل التركية ، وكان مركزها (أماسية) ، فزعموا أن جد آل عثمان أخذ جنوده وسار بهم أياماً من بلدهم بورصة إلى أماسية في الأناضول ، فتشرفوا بشيخ الطريقة البكتاشية ، فباركهم ودعا لهم ، وسماهم الإنكشارية ! وهذا يدل على تقرب أولاد عثمان إلى البكتاشية الشيعة وهم عمدة قبائل تركيا !

٥- القسوة والوحشية عند بني عثمان حَقاً !

قال مؤرخ الدولة العثمانية محمد فريد العثماني في كتابه: تاريخ الدولة العلية العثمانية/ ٢٧٧: «كانت عادة بعض ملوك بني عثمان وهي أن كل سلطان يتولى

يأمر بقتل إخوته أو يحجزهم في السراي ، كي لا يكون منهم منازع في الملك» ١

وقال في/ ٢٦٦: «وكان من ضمن حظياته جارية بندقية الأصل من عائلة شهيرة بها إسمها بافو، سبأها قراصين البحر وبيعت في السراي السلطانية وسميت صفية ، اصطفاها السلطان لنفسه وتدخلت كثيراً في السياسة الخارجية ، وساعدت بلادها الأصلية كثيراً ، وهي والدة السلطان محمد الثالث... ولد هذا السلطان في ٧ ذي القعدة سنة ٩٧٤ ، وتولى بعد موت أبيه مراد الثالث بن صفية الإيطالية الأصل. وكان له تسعة عشر أخاً غير الأخوات ، فأمر بخنقهم قبل دفن أبيه ، ودفنوا معاً» .

وفي إنباء الغمر/ ٣٣١: «وذلك أن مراد بن عثمان لما قتل في السنة الماضية عهد لابنه أبي يزيد بالمملكة ، وأمر بقتل ابنه الآخر صوجي» .

وفي السلوك للمقريزي/ ١٩٦١: «وقدم الخبر بأن جلبي بن أبي يزيد بن عثمان صاحب برصا قتل أخاه سلمان وأخذ جميع بلاده ، وهو عازم على المسير إلى أخيه كرشجي» .

وفي السلوك/ ٢٢٧٩: «ومن خبر ملوك الروم أن خوندكار بايزيد بن مراد بن عثمان ترك أربعة أولاد: سلمان وهو أكبرهم ومحمداً وعيسى وموسى فقام بالأمر سلمان وأقام ببر قسطنطينية في مدينة أدرنة وكالي بولي ، وقام أخوه عيسى بمدينة برصا وتحارباً فقتل عيسى واستبد سلمان بمملكة أبيه، فثار عليه أخوه موسى وحاربه فقتل سلمان وملك بعده موسى ببر أدرنة . وقام ببرصا أخوه محمد كرشجي وقاتله فقتل موسى واستبد بالمملكة» .

وفي السلوك/ ٢٤٠٦: «ومن خبره أن مراد بن كرشجي صاحب برصا وغيرها من بلاد الروم قبض على أخيه أرخن بك وكحلّه». أي كحلّه بمسمار نحى! وقال محمد فريد/ ١٦٠: «محمد الثاني الفاتح (فاتح القسطنطينية).. أمر بقتل أخ له رضيع، اسمه أحمد، وبإرجاع الأميرة مارا الصربية إلى والدها».

وقال محمد فريد/ ١٣٨: «السلطان الغازي بايزيد خان الأول... وكان له أخ أصغر منه بقليل، يدعى يعقوب متصفاً بالشجاعة والإقدام وعلو الهمة، فخيف على المملكة منه من أن يدعي الملك... ولذلك قتل باتفاق أمراء الدولة وقواد جيوشها! وادعى مؤرخو الإفرنج أن قتله كان بناء على فتوى شرعية أفتى بها علماء ذلك الزمان، منعاً لحصول الفتنة!»

وقال في/ ١٥١: «ظهر أخوه مصطفى الذي لم يوقف له على أثر بعد واقعة أنقره... وطالبه بالملك... وخطب في العساكر بإطاعته لأنه أحق بالملك من ابن أخيه فأطاعته الجيوش... فسار مصطفى بعد ذلك لمقابلة ابن أخيه مراد الثاني... فسلمه بعض أتباعه إلى ابن أخيه مراد الثاني، فأمر بشنقه».

وقال في/ ٢٤٥: «ولنذكر هنا حادثة شنيعة وهي قتل السلطان (سليمان) لولده الأكبر مصطفى، بناء على دسياسة إحدى زوجاته المسماة في كتب الإفرنج روكسلان، أما في كتب الترك فإسمها خورم أي الباسمة، حتى يتولى بعده ابنها سليم، ولما لها من الثقة بالصدر الأعظم رستم باشا، إذ كان تعيينه بمساعيها لدى السلطان بعد موت إياس باشا، وما زالت تساعد حتى زوجه السلطان ابنته منها فكاشفته بمرغوبها، وهو تمهيد الطريق لتولي ابنها سليم، فانتهاز هذا

الوزير فرصة انتشاب الحرب بين الدولة ومملكة العجم في سنة ١٥٥٣ ووجود مصطفى ضمن قواد الجيش ، وكتبت إلى أبيه بأن ولده يجرّض الإنكشارية على عزله وتنصيبه ، كما فعل السلطان سليم الأول مع أبيه السلطان بايزيد الثاني... ولما وصل إلى المعسكر استدعى ولده المسكين إلى سرادقه في يوم ١٢ شوال سنة ٩٦٠ وبمجرد وصوله إلى الداخل خنقه بعض الحجاب المنوطين بتنفيذ مثل هذه الأوامر... ولم تكتف هذه المرأة البربرية الطباع بقتل مصطفى سلطان ، بل أرسلت إلى مدينة بورصة من قتل ابنه الرضيع...

وكان للسلطان سليمان ابن آخر إسمه جهانكير حزن حزناً شديداً على قتل أخيه مصطفى حتى توفي شهيد المحبة الأخوية بعد موت أخيه بقليل! واختلف في موته أنه قتل نفسه أمام والده بعد أن بكى على قتل أخيه ، وقيل غير ذلك..

ولم تكن هذه الحادثة خاتمة الفظائع ، بل أعقبها بقتل ابنه الثاني بايزيد وأولاده الخمسة.. لكنه كاتب السلطان سليمان وابنه سليماً سراً على تسليم بايزيد وأولاده اليهما مع أنهم احتموا بحماه ، ولم يرع ذمتهم بل خانهم وسلمهم إلى رسل السلطان فقتلهم جميعاً وهم: بايزيد وأولاده الأربعة أورخان ومحمود وعبد الله وعثمان... وكان لبايزيد ابن صغير في بورصة فخنق أيضاً !

وقال في/ ٢٧٧: «السلطان مصطفى خان الأول... ولد هذا السلطان سنة ١٠٠١ هـ وقضى طول عمره داخل محلات الحرم ولم يتعاط إشغالاً مطلقاً ، بل ولم يعلم من أمور المملكة شيئاً ! كما كانت عادة بعض ملوك بني عثمان ، وهي أن كل سلطان يتولى يأمر بقتل إخوته أو يحجزهم في السراي كي لا يكون منهم منازع في الملك !

وهي عادة مستقبحة جداً لما فيها من قتل أقرب الناس بلا ذنب أو جرم إلا ما يخيله لهم الوهم من الخوف على الملك... وقبل الشروع في الحرب أمر بقتل أخيه محمد تبعاً للعادة المشروعة فقتل في ١٢ يناير سنة ١٦٢١ مأسوفاً عليه ، ثم أصدر أمراً بتقليل اختصاصات المفتي ، ونزع ما كان له من السلطة في تعيين وعزل الموظفين وجعل وظيفته قاصرة على الإفتاء ، حتى يأمن شر دسائسه التي ربما تكون سبباً في عزله كما كانت سبب عزل سلفه !

أقول: ما رأيك بقوم يقتل من يصل منهم الى السلطة أقاربه وأولادهم ، حتى الأطفال الرضع ، حتى لا يكبروا وينافسوه على الملك ! فأي خلافة عن النبي ﷺ هذه ، وأي عدالة هؤلاء الجبابرة !؟

٦- فتح العثمانيون القسطنطينية وتوغلوا في أوروبا

في القرون التي حكموا فيها تركيا وسَّع السلاجقة مناطق حكمهم وفتحوا مناطق من البلقان وأوروبا الشرقية ، وكانت أهمها على يد مراد بن أورخاي الذي فتح الإمارات المسيحية في البلقان ، حتى صارت القسطنطينية جزيرة محاصرة . وقد ساعدهم على ذلك حالة التمزق والصراعات بين دويلات أوروبا .

وقد سار العثمانيون في هذا الاتجاه ، وقرر السلطان محمد الفاتح أن يفتح القسطنطينية ، فبنى حصناً على البوسفور مقابل القسطنطينية حتى لا يأتي لها مدد من جهة أوروبا ، وحاصرها في إبريل سنة ١٤٥٣ من جهة البر بمئتين وخمسين ألف جندي ، ومن جهة البحر بمائة وثمانين سفينة ، وكان معه أربع عشرة بطارية

مدفعية لمدافع جسيمة صنعها صانع مجري شهير إسمه أوربان كانت تقذف كرات من الحجر زنة كل واحدة منها اثنا عشر قنطاراً إلى مسافة ميل، ثم تسلق مائة وخمسون ألف جندي الأسوار ودخلوا المدينة وأعملوا السيف فيمن عارضهم ، ودخلوا كنيسة القديسة صوفيا ، حيث كان يصلي فيها البطريق ومعه الأهالي . وسموا المدينة إسلامبول أي تحت الإسلام ، أو مدينة الإسلام .

ويعتقد الروم حتى الآن أن حائط الكنيسة انشق ودخل فيه البطرق والصور المقدسة ، وأن الحائط ينشق ثانية يوم يخرج الأتراك من القسطنطينية ، ويخرج البطريق منها ويتم صلاته التي قطعها !

ومات محمد الفاتح في ٤ ربيع الأول سنة ٨٨٦ الموافق ٣ مايو سنة ١٤٨١ ، وتولى بعده ابنه بايزيد الثاني ، وكانت سياسته كأبيه مواصلة التوغل في فتح أوروبا .

قال محمد فريد/ ١٣٠: «صارت الدولة العلية متاخمة لإمارات الصرب والبلغار وألبانيا المستقلة ، فاضطرب لذلك الملوك المسيحيون المجاورون للدولة العلية وطلبوا من البابا أوربانوس الخامس أن يتوسط لدى ملوك أوروبا الغربيين ليساعدوهم على محاربة المسلمين وإخراجهم من أوروبا ، خوفاً من امتداد فتوحاتهم إلى ما وراء جبال البلقان ، إذ لو اجتازوها بدون معارضة ومقاومة في مضايقتها، لم يَقَوْ أَحَدٌ بعد ذلك على إيقاف تيار فتوحاتهم ، ويُحْشَى بعدها على جميع ممالك أوروبا من العثمانيين ، فلبى البابا استغاثتهم وكتب لجميع الملوك بالتأهب لمحاربة المسلمين وحرصهم على محاربتهم محاربة دينية، حفظاً للدين المسيحي من الفتوحات الإسلامية ».

وقال في/١٣٨، إن بايزيد انتصر على الصرب وأجاز حاكمهم: «بأن يحكم بلاده على حسب قوانينهم بشرط دفع جزية معينة ، وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون إلى الجيوش الشاهانية » .

وذكر أن جيشه تقدم « لغزو بلاد الفلاخ فقهر أميرها المدعو دوك مانيس وأكرهه على التوقيع على معاهدة يعترف فيها بسيادة الدولة العلية العثمانية على بلاده ، وبتعهد لها بدفع جزية سنوية مع بقاء بلاده له يحكمها بمقتضى عوائد وقوانين أهلها ، وتم ذلك في سنة ١٣٩٣ م. » .

وذكر محمد فريد/ ١٤٠: توغل بايزيد في أوروبا فقال: « فلما علم سحسجون ملك المجر خبر ما حل ببلاد البلغار ، خشي على مملكته إذ صار متاخماً في عدة نقاط للدولة العلية ، فاستنجد بأوروبا وساعده البابا وأعلن الحرب الدينيه بين أقوام أوروبا الغربية ، فأجاب الدعوة دوك بورغونيا وأرسل ابنه الكونت دي نيفر ومعه ستة آلاف محارب ، أغلبهم من أشراف فرنسا ، وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا نفسه ، وانضم اليه حين مسيره إلى بلاد المجر أمراء بافاريا واستيريا وشواليه القديس حنا الأورشليمي وكثير من الألمانين، ثم اجتاز هذا الجيش نهر الدانوب وعسكر حول مدينة نيكوبلي لمحاصرتها ، فسار اليهم السلطان بايزيد ومعه مائتا ألف مقاتل بهم كثير من أهالي الصرب تحت قيادة أميرهم إسطفن بن لازار ، وغيرهم من الأمم المسيحية الخاضعة لسلطان العثمانيين ، وقتلهم قتالاً عنيفاً في يوم ٢٣ ذي القعدة سنة ٧٩٨-٢٧ سبتمبر سنة ١٣٩٦ ، كانت نتيجةها انتصار العثمانيين على الجيوش المتألبة عليهم ، وأثر كثير من أشراف فرانس

الفصل الثاني عشر: الغرب يدفع السلطان سليم الى فتح جبهة ضد الشيعة.....٢٦١

منهم الكونت دي نيفر نفسه ، وقتل أغلبهم ، وأطلق سراح الباقي ، والكونت دي نيفر ، بعد دفع فداء .

٧- كاد بايزيد أن يفتح أوروبا فتآمر عليه ابنه سليم !

في سنة ٩٠٠ هجرية قام شارل الثامن ملك فرنسا بحملة على إيطاليا ، بحجة منع التوغل التركي ، وأرسل دعائه إلى مقدونيا واليونان لتحريك المسيحيين ضد العثمانيين ، فخافت إيطاليا من فرنسا أكثر من خوفها من العثمانيين ، فأرسلوا إلى السلطان بايزيد يطلبون أن يرسل جيشه إلى إيطاليا !

وحاصر ملك فرنسا مدينة رومه وطلب من البابا أن يسلمه الأمير جم العثماني الأسير لديه ، وهو أخ بايزيد ، فسلمه اليه ، ويقال إنه دس له السم قبل تسليمه اليه ، فمات في ١٨ جمادى الأولى سنة ٩٠٠ .

وبعد انتصارات جيش بايزيد الكاسحة في أوروبا ، وضغطه على نابولي وميلانو وفلورنسا، ظهر ابنه سليم لإشغال أبيه عن التوغل في أوروبا !

قال محمد فريد/ ١٨٥: «ولولا عصيان أولاد السلطان عليه ببلاد الأناتول كما سيجيئ ، لفتحت باقي بلاد البنادقة ، لكن اضطرت أحوال المملكة الداخلية السلطان إلى إبرام الصلح مع محاربيه بأوروبا ، وهم المجر والبنادقة ، فتم الصلح بينه وبين الجمهورية سنة ١٥٠٢ ، وفي السنة التالية تم الصلح مع ملك المجر !

أقول: كانت انتصارات بايزيد نذيراً لفرنسا بأنه لو أخذ إيطاليا لصار وجهاً

لوجه أمام فرنسا ! فحركت ابنه سليم ضده ، وكان طلب من أبيه أن يجعله أميراً في أوروبا فلم يقبل ، فأعلن الحرب على أبيه ، واضطره الى إيقاف تقدمه في أوروبا ، وسحب جيشه لمواجهة ولده (النجيب) سليم !

وقد استجاب الأب ، لكن ابنه سليماً هاجم العاصمة واحتل قصر أبيه ، وأجبره على التنازل له ، ثم نفاه ، وبعد مدة قليلة قتله بالسم !

ثم قام السلطان سليم بتغيير سياسة الدولة العثمانية الى الضد والنقيض ، فتنازل عن انتصارات أبيه وسحب جيوشه من أوروبا ، وأبرم معاهدات صلح وصداقة مع الأوربيين وفرنسا خاصة ، وأعطاهم حق رعاية جميع السكان المسيحيين في الدولة العثمانية ، أي تنازل عن السيادة الوطنية ، فأرسلت فرنسا إرسالياتها الى بلاد المسلمين ، وكانت أضرم على المسلمين من جيش !

كان سليم يعلم أن فرنسا حاملة راية الحروب الصليبية ضد المسلمين ، وأنها قادت الأوربيين فاحتلوا أنطاكية سنة ٤٩١ ، والمرة وحمص والقدس سنة ٤٩٢ ، ونصبوا جوذفروا الفرنسي ملكاً عليها ، لكنه كان ذليلاً أمامهم ، أو متواطئاً !

ولم يكتف سليم بذلك بل فتح جبهة حرب داخلية ، فشن بمساعدة الفرنسيين حرب إبادة على الشيعة في تركيا وإيران والعالم ! وقد اعترف مجبوه بأنه قتل في تركيا ذات مرة أربعين ألفاً من الشيعة ، وشرّد الباقيين وحولهم الى علوين !

ثم هاجم إيران فاحتل عاصمتها تبريز ، واضطر الى الإنسحاب بعد أسبوع ! ثم هاجم سوريا ومصر ، واحتلها وجاء بالخليفة العباسي معه الى استانبول

فتنازل له عن الخلافة ، وأعلن نفسه خليفة .

ثم ما لبث أن مات تاركاً ابنه سليمان القانوني ، بعد أن قتل من أجله كل أقاربه ليبقى سليمان وحده ولي عهده ، فتولى سليمان وبادر الى قتل جميع أولاده حسب أمر زوجته اليهودية روكسلان ، ليكون ابنها سليم الثاني ولي عهده !

وواصل سليمان سياسة أبيه المذلة مع الغرب وبطشه بالمسلمين ، خاصة الشيعة في تركيا وإيران وغيرهما ! وقد اعترف محبوه بأن مستشار ملك فرنسا قد رافق الجيش التركي في غزوه لإيران !

ومن أدلة العبث العثماني في حروبهم مع إيران ، أنها استمرت قرناً من ١٥١٤م - ١٦١١م. وكانت نتيجتها في زمن السلطان أحمد: «تراسلت الدولتان على الصلح، وتم الأمر بينهما في سنة ١٦١٢ بمساعي نصوح باشا الذي تولى منصب الصدارة بعد موت قويوجي مراد باشا، على أن تترك الدولة العلية لمملكة العجم جميع الأقاليم والبلدان والقلاع والحصون التي فتحها العثمانيون من عهد السلطان الغازي سليمان الأول القانوني بما فيها مدينة بغداد ». (محمد فريد/ ٢٧١).

٨- كان العثمانيون على دين المغول ثم صاروا مسيحيين !

كان جدهم أرطغرل وأولاده كعامة المغول على دين جنكيز وشريعة الياسة . ويدل اعتراف المؤرخ العثماني محمد فريد بأن عائلة بني عثمان جُوق بن أرطغرل كانت معروفة باسم (عائلة ميخائيل أوغلي) على أنهم تنصروا عندما كانوا عند الأمير علاء الدين السلجوقي ، وبها هذا الأمير كان يخوض حروباً مع الغربيين

النصارى ، فإن تنصر غلمانهم الذين صاهرهم يشير الى تبني الأوربيين لهم في صراعهم مع أولاد علاء السلجوقي، وقد يلقي ضوءاً على تبني الغربيين للسلطان سليم فيما بعد ! راجع: السلوك/ ٢٠٩٣ ، وإنباء الغمر: ٨١/ ٢ ، وسير الذهبي: ١٣٩/ ٢٢ .

ويظهر أنهم أسلموا بعد ذلك ، وكانوا سنيين على المذهب الشافعي والطريقة البكتاشية ، التي كانت سائدة في محيطهم ، والطريقة البكتاشية أو البكتاشية أو البكتاشية ، منسوبة الى الشيخ الحاج بكتاش ولي الخراساني ، الذي ولد في نيسابور ونسبت اليه كرامات ، وقالوا إن نسبه يتصل بالإمام الكاظم عليه السلام وإنه تتلمذ في خراسان على الشيخ لقمان الصوفي الشهير ، وأحمد البوي الشهير .

ثم سكن في تركيا وكان له أتباع ، وتوفي سنة ٧٣٨ هـ في قرية قرشهر ، ودفن في محل سمي باسمه حاجي بكتاش ، ومازال مرقد مزاراً يؤمه الناس .

وذكروا من كرماته أن السلطان العثماني أورخان بن عثمان جق ، جاءه بفرقة من مجنديه ليدعو لهم ، فدعاهم وسماهم (بني جري) أي الجيش الجديد ، فعرفوا بالينشيرية أو الإنكشارية . (تاريخ الدولة العثمانية: ١/ ١٢٢) .

والطريقة البكتاشية أخت الطريقة الصفوية ، وكان بينهما علاقات حسنة ، الى زمن بايزيد الثاني ، حتى جاء ابنه سليم فقتل أباه وسحب جيشه من أوروبا ، وأبرم معاهدات مع الأوربيين ، وأعلن العداء للشيعة والحرب عليهم !

وقد جمع سليم العلماء النواصب من الشام وتركيا وجعلهم بطانته ، واستصدر فتوى بكفر الشيعة ووجوب إبادتهم ، وفتوى بكفر الشاه إسماعيل الصفوي ووجوب جهاده ، وبكفر السلطان الغوري أيضاً لأنه ناه عن حرب السلطان

إسماعيل ! فقد ذكر النهر والي مؤرخ السلطان سليم أن الغوري كان رافضياً ،
لأنه كان كأسلافه سلاطين مصر على علاقة حسنة مع السلاطين الشيعة .

وقد استمرت سياسة العثمانيين في التعصب ضد الشيعة واضطهادهم ، نحو أربعة قرون الى آخر خلافتهم !

ثم جاء المذهب الوهابي على نفس خطهم وأشد ، مع أنه قام على الخروج على الخلافة العثمانية ، ولكنه زايد عليها في عداة الشيعة ، وقلد في ذلك ابن تيمية ومجسمة الحنابلة الذين أسسهم المتوكل العباسي !

٩- كيف حوّل الإضطهاد قبائل شيعية الى عبّاد لعلی علیہ السلام!

قصة العلويين في تركيا أنهم كانوا شيعة أو متشعبة ، وصوفية أو متصوفة ، فحولتهم سيوف سليم المغولي ومجازره ، الى عُبَادِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ولكي نعرفهم ينبغي أن نقرأ عن البكتاشية في تركيا ، مثلاً في موقع:

%D^B°D¹^ΛΛ%D¹^Λ¹%D¹^ΛA%D^A¹/wiki/ar.wikipedia.org//http:

«كان الأتراك العثمانيون ينتمون الى هذه الطريقة ، وهي لا تزال منتشرة في ألبانيا ، كما أنها أقرب الى التصوف الشيعي ، وكان لهذه الطريقة أثر بارز في نشر الإسلام بين الأتراك والمغول » . انتهى.

وقد بثت فضائية العربية استطلاعاً بعنوان: ديانة العلويين في الأناضول في تركيا ، لمراسلها: دانيال عبد الفتاح ، بتاريخ: ١٦/١٢/٢٠٠٤. قال:

«العلويون في الأناضول: كيف وصلوا إلى هذه المنطقة؟ وكيف انتشروا فيها؟

كيف يعيشون الآن ، وما هي عقائدهم ، وكيف يبارسون هذه العقائد ؟

اتضح لنا أن المراجع والكتب التي ألفت وكتبت حول العلويين ، إن كانوا هم أنفسهم أو غيرهم ، لم تكن كافية . لذا قررنا فتح ملف العلويين ، ولكن في أماكن تواجد العلويين وحيث هم يعيشون ، وعلى هذا نبداً مهمتنا الخاصة بزيارة مراكز العلويين في الأناضول ، وهم ينتشرون على مساحات واسعة جداً في وسط الأناضول وفي جنوب شرقه وفي ... حتى في مناطق الشمال والشمال الشرقي من الأناضول التركي ، وهناك يعيش حوالي ١٢ مليون علوي حسب الإحصائيات الرسمية وحسب العلويين فهم حوالي ٢٠ مليوناً ، أي ثلث السكان في تركيا . انتهى . وهؤلاء العلويون هم بقية السيف من أهل تركيا وقبائلها !

١٠- ملاحظات على الدولة العثمانية (العلية) وسياستها

١- مازال أتباع الخلافة يحاولون تبرير حروب العثمانيين على إيران التي بدأها سليم بن بايزيد بحرب جالدران ، واستمرت قرناً من الزمان ، بأنها كانت دفاعية ! لكن مؤرخي العثمانيين اعترفوا بأنها كانت عدواناً من الشاه سليم على الشاه إسماعيل لأنه نجح في توحيد إيران ، وشملت دولته العراق ، وساحل الخليج إلى آخر خراسان ، وساحل بحر قزوين إلى أذربيجان وجورجيا .

٢- بيتاً أن سليماً ثار على أبيه بايزيد في أوج انتصاراته في أوروبا ، فاضطره أن يسحب جيشه وهو على وشك أن يأخذ إيطاليا ، وقال المؤرخ المحب لهم محمد

فريد إنه لولا حركة سليم لكان أبوه فتح إيطاليا وغيرها بسهولة !

وبعد أن أجبر سليم أباه على التنازل له عن السلطنة ، قتله بالسم ، ثم قتل إخوته وأطفالهم حتى الرُّضْع ! وكان أول عمل قام به أنه عقد اتفاقيات صلح وهدنة طويلة الأمد مع الغربيين أولها إيطاليا ، ثم استصدر من مشايخه الموظفين فتوى بكفر الشيعة ووجوب إبادتهم ، وأرسل مبعوثين يحصون له الشيعة الذين يميلون الى الشاه إسماعيل في العاصمة وبقية المدن . وأمدّه الأوروبيون بمدفعية لمهاجمة إيران ! وأرسل للشاه إسماعيل رسالة سبّ وشتم ، ومعها فتوى (علماء الإسلام) بكفره وكفر الشيعة ، ودعاه الى الدخول في طاعته وإلا فالحرب !

٣- قام بشن حملة إبادة على الشيعة في تركيا وقرب حدودها ، بحجة أنهم مؤيدون للشاه إسماعيل ، فهاجمهم في مدنها ومراكز قبائلهم وقراهم ، وقتل منهم عشرات الألوف ، وربما مئات الألوف ! وكانت هذه أول مجازر الإبادة للشيعة في تركيا ، حتى تشردوا الى الجبال والسهول البعيدة ، وانقطعوا عن مصادر مذهبهم ، ونشط بينهم الباطنية المغالون ، فصاروا علويين .

٤- قامت حركة شيعية واسعة في تركيا ، حتى في جيش السلطان سليم تدعو الجيش الى رفض طاعة الأوامر بإبادة الشيعة والهجوم على إيران ، فقتل السلطان سليم كبار الضبط والمفتي ، الذين كانوا قادة الحركة .

٥- أرسل سلطان مصر قانصوه الغوري الى سليم رسالة ينهيه عن حرب إسماعيل ، فأهان سليم مبعوثه ! فأرسل الغوري الى أمير مرعش أن يمنع وصول

الإمدادات التموينية الى جيش سليم المتوجه الى إيران ، فمنعها ، وأتلف الشاه إسماعيل المؤونة في تبريز وما حولها ، فوقعت المجاعة في جيش سليم ، واضطر الى الانسحاب من تبريز بعد احتلالها بأسبوع !

٦- كانت علاقة سليم مع الغربيين حميمة وخاصة مع الفرنسيين ، وقد عقد هو وابنه سليمان عدة معاهدات مع الفرنسيين ، أعطاهم بموجبها إمتيازات خيالية في بلاد الخلافة كلها ! وهذا يؤيد أن يكون وراء مجيئه للسلطة وحربه لإيران ومصر تدبير فرنسي ، وقد شارك مستشار ملك فرنسا شخصياً في حملة على إيران بعد سنوات ، وكانت قادها سليمان بن سليم !

قال السيد شرف الدين رحمته الله في الفصول المهمة في تأليف الأمة / ١٤٣ : الفصل التاسع فيمن أفتى بكفر الشيعة ، وتفصيل ما استدل به على ذلك والغرض استئصال بذور الشقاق بإيضاح خطئه واجتثاث أرومة الإفتراق ببيان اشتباهه ، حرصاً على أن لا يكال بصاعه ، واتقاء من تصديقه واتباعه ، وقد اقتصرنا من ذلك على ما وجدناه في باب الردة والتعزير من الفتاوى الحامدية وتنقيحها ، بإمضاء الشيخ نوح الحنفي ، لاشتهار هذين الكتابين ، ورجوع من بأيديهم منصب الفتوى في المملكة المحروسة إليهما !

قال في جواب من سألته عن السبب في وجوب مقاتلة الشيعة وجواز قتلهم : أعلم أسعدك الله أن هؤلاء الكفرة والبغاة الفجرة ، جمعوا بين أصناف الكفر والبغي والعناد ، وأنواع الفسق والزندقة والإلحاد ، ومن توقف في كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم ، فهو كافر مثلهم !

قال: وسبب وجوب قتالهم وجواز قتلهم البغي والكفر معاً ! أما البغي فإنهم خرجوا عن طاعة الإمام خلد الله تعالى ملكه إلى يوم القيامة وقد قال الله تعالى: **فَقَاتِلُوا الَّذِينَ تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ** . والأمر للوجوب فينبغي للمسلمين إذا دعاهم الإمام إلى قتال هؤلاء الباغين الملعونين على لسان سيد المرسلين ، أن لا يتأخروا عنه ، بل يجب عليهم أن يعينوه ويقاتلوهم معه .

قال: وأما الكفر فمن وجوه: منها أنهم يستخفون بالدين ويستهنئون بالشرع المبين . ومنها أنهم يمينون العلم والعلماء . ومنها أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات ومنها أنهم ينكرون خلافة الشيخين ويريدون أن يوقعوا في الدين الشَّين . ومنها أنهم يطولون ألسنتهم على عائشة الصديقة ويتكلمون في حقها ما لا يليق بشأنها (من أمر الإفك) من أن الله تعالى أنزل عدة آيات في براءتها . قال ، والله يعلم أنه كاذبٌ فيما قال: فهم كافرون بتكذيب القرآن العظيم وسأبؤون النبي ضمناً بنسبتهم إلى أهل بيته هذا الأمر العظيم . ومنها أنهم يسبون الشيخين سود الله وجوههم في الدارين... إلى أن قال: فيجب قتل هؤلاء الأشرار الكفار تابوا أو لم يتوبوا ، ثم حكم بإسترقاق نسائهم وذرائعهم !

ثم قال السيد شرف الدين **قُلِّبَتْ** : قلت: هذا الذي لا تَبْرُكُ الإبل على مثله ! هذا الذي لا تقوم السماء والأرض بحمله ! هذا الذي لا يتسنى للغيور أن يقيم في أرض ينشر فيه ! هذا الذي لا يستطيع الحي أن يستظل بسماء تشرق شمسها على معتقديه ! هذا الذي ما أنزل الله به من سلطان ، هذا الذي يأباه الله ورسوله وكل ذي وجدان ، هذا هو الاختلاف الذي ليس بعده ائتلاف ، هذا هو الإفتراق

الذي ليس بعده اتفاق ، هذا هو المحاربة التي ليس بعدها مصاحبة ! هذا والله الإفك والبهتان ! بجدك قل لي: هل درى صاحب الفتوى أي دماء من أهل الشهادتين سفكها ، وأي حرائر قانتات هتكها ، وأي حرمانات لله عز وجل انتهكها ، وأي صبية من بني الإسلام سلبها ، وأي أموال مزيكات نهبها ، وأي ديار معمورة بالصلاة وتلاوة القرآن خربها ، وأي كبد لرسول الله ﷺ بذلك فراها ، وأي عين لآل محمد ﷺ بفتواه أقذاها ، وأي فتنة بين المسلمين أججها ، وأي حرب بينهم أجمها وأسرجها ، وأي شوكة لهم بذلك كسرهما ، وأي دولة لأعدائهم أعزها ونصرها ، وأي مخالفة لحكم الله ارتكبتها ، وأي أوزار بتكفيره للمسلمين احتقبتها ؟!...

ظن الرجل أنه قضى على الشيعة بعداوته ، وزعم أنه أسقطهم بإفكه وبيتانه ، فطاش سهمه وظلت مطيته ، بل كان كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه... كان العزم على أن نربأ عن مناقشته ولا نلوث اليراع بمحاسبتها ، لوضوح افتراءه وظهور ظلمه واعتدائه ، لكن اقتدينا بالكتاب الكريم والذكر الحكيم ، إذ تصدى للرد على كل أفاك أثيم ، فقال جل وعلا: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدْعِيُ اللَّهُ مَغْلُوبَةً عُثِّلَتْ أَبْيَدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ... الخ.

٧- كانت الشام مركز النُصب والعداء لأهل البيت ﷺ وشيعتهم في زمن معاوية ، واستمرت عليه قرونًا ، وقد بقيت منه بقية الى يومنا هذا !

ثم تنقل مركز النصب تبعاً للسياسة ، فكان في بغداد في زمن المنصور والرشيد والمتوكل ، وصار له وجود شعبي في مجسمة الحنابلة .

ثم زال من بغداد بسقوط الدولة العباسية ، حيث اعتدل الحنابلة بعد ذلك ، أو اختفى من بقي منهم ناصبياً !

ثم تحول مركز النصب الى مصر على يد صلاح الدين الأيوبي ، عندما قضى على الخلافة الفاطمية وتبنى الخلافة العباسية ، وأجبر أهل مصر على التسنن وارتكب هو ونائبه قراقوش الفظائع والمجازر الجماعية لمن رفض ترك التشيع !

وبعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، وميل السلاطين المغول الى مذهب التشيع ، تبنى المماليك في مصر في مقابلهم الخلافة العباسية وجاؤوا بموظف عباسي سموه خليفة ليعطيهم الشرعية ، وتبنوا التعصب الأموي ضد الشيعة ! وكانت الشام كانت تحت حكم مصر فأحيا فيها المماليك الفكر الناصبي الأموي وفكر التجسيم الحنبلي ، واتخذوها قاعدة إعلامية ضد الشيعة والتشيع ، وتبنى الحاكم المملوكي للشام الشيخ عبد الحليم بن تيمية ، المعروف بعدائه المفرط للشيعة ، ونصبه شيخاً للإسلام لفترة في الشام .

وفي أواخر العهد المغولي بدأ مماليك مصر يتخلون عن تبني العداء للشيعة، وذلك بتأثير شعبهم المحب لأهل البيت عليه السلام وتأثير سياسة السلطان محمد خدابنده وابنه بو سعيد ، حيث أقاما مع سلاطين المماليك علاقات وطيدة ! وبذلك أخذ مركز النصب ينحسر من مصر .

١١- اضطهاد الدولة العثمانة للشيعة العرب

بعد حملته غير الموفقة على إيران ، هاجم السلطان سليم سوريا ومصر ونجح في احتلالها ، وطبّق فيها وفي غيرها سياسةً ضد الشيعة ، شبيهةً بسياسته ضدهم في تركيا وإيران ! فكانت حملات الإضطهاد المذهبي بأنواع الإهانة ، والظلم ، ومصادرة الأموال ، والقتل ، والتهجير ، والتشريد ، في كل البلاد التي يحكمها (الخليفة) العثماني ، خاصة في تركيا والعراق وسوريا ومصر ولبنان وفلسطين ، وقد استمرت هذه السياسة أكثر من أربعة قرون !

ولو أراد أهل كل بلد أو مدينة أن يكتبوا ما وقع عليهم من مظالم بني عثمان جُح لبلغت مجلدات من الصفحات السوداء والجرائم ، التي يقرأ منها رسول الله ﷺ الذي كان الخليفة وولاته وقضاته يحكمون باسمه الشريف واسم شريعته !

ويكفي في لبنان أن نؤرخ لأحمد باشا الجزائر وحملاته على شيعة بلاد الشام ولبنان خاصة ، وكان والي عكا سنة ١١٩٥ ، ثم طمع في فلسطين ومصر ، وأفرط في قتل المسلمين عامة والشيعة خاصة ، حتى عرف باسم (الجزار) وصار إسمه رسمياً له ! قال الجبرتي: ٢/ ٢٩٢: «سموه بهذا الإسم لكثرة قتله الأنفس ولا يفرق بين الأخبار والأشرار ، وقد جمع الطموش الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة» !

وفي مستدركات أعيان الشيعة: ٢/ ١٢٢: «كانت نكبة جبل عامل بأحمد باشا الجزائر من النكبات القاصمة... أطلق جنوده يعملون التخريب والتقتيل والسلب !

وكان من أفجع ما لقيه جبل عامل في تلك المحنة نهب مكتباته نهباً عاماً ، وحمل كتبها إلى عكا.. إلى أصحاب الأفران يوقدون بها أفرانهم !

في تلك المدة هاجر العديد من علماء جبل عامل وبلاد الشام الى إيران والهند هرباً من سيف بني أمية العثماني ، وكان أشهر المهاجرين المحقق الكركي قدس سره وهو معاصر للسلطان سليم وتوفي سنة ٩٤٠هـ ، وكان المرجع الديني لإيران في زمن الشاه إسماعيل والشاه طهماسب ، وله مؤلفات وأجوبة استفتاءات تعطينا أضواء مهمة عن حالة الشيعة في عصره في إيران ، وتحت حكم الدولة العثمانية .

ومنهم العبقري الشيخ محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني المعروف باسم الشيخ البهائي قدس سره ، المعاصر للشاه طهماسب والشاه عباس ، توفي ١٠٣١هـ ، كان نابغة في عدد من العلوم ، وله مؤلفات مهمة ، وآثار معمارية هندسية متميزة .

ومنهم الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي قدس سره (١٠٣٣-١١٠٤) وهو معاصر للمجلسي صاحب البحار قدس سره ، كان مرجعاً في إيران ، وأشهر كتبه الموسوعة الفقهية: وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة .



نشأت في وسط جبل عامل من جنوب لبنان ، وسمعتُ من كبار السن قصصاً عن الحكم العثماني ، ويسمونه الحكم العُصْلي ! وقصص غارات (الجُنْدِرْمَا) على قرانا ، وتعاملهم المغولي مع أهلها ، وفرضهم البقشيش بدون سبب !

ويبقى ذلك أهون من إجبارهم الناس على الجندية في الجيش العثماني، حيث

يُرسل الضابط الإنكشاري في صور في طلب مخاتير القرى ويُخضّرهم ، ويببلغهم أن يكتب كل مختار أسماء أهل قريته من سن ١٨ الى ٤٠ سنة ، ويحدد لهم يوماً لحضور المجندين في القشلة ، ثم يرسل عند المدة المضروبة لكل قرية عدداً من الجندرمه الخيالة ليقبضوا على من وجدوه بين سن ١٨-٤٠ ، ويجروه الى قشلة الدولة العَلِيَّة العثمانية ، ثم يسوقونه الى جبهة الحرب مع روسيا مثلاً ! وهي حرب أحرق فيها الخليفة أُلوفاً من المسلمين من أجل عيون فرنسا الجميلة !

وأسوأ منها حرب الخلافة العثمانية ضد أهل اليمن ، التي استمرت سنين طويلة ، وكلفت المسلمين عشرات الألوف !

كانت حروب الدولة العثمانية: الذاهب اليها مفقود والعائد منها مولود ! ومن هؤلاء المولودين جدي لأمي المرحوم الحاج نصرالله كَرِيم ، الذي كان يحدثنا عن حربهم مع روسيا التي اعتمدت على المدفعية والبنادق والمواجهة القريبة ، لأن مدى المدفعية كان قصيراً ، فكان يتقدم مئات المقاتلين أو أُلوفهم في أرض سهلة أو صعبة ، ويجرّون مدافعهم بواسطة الحيوانات أو الجنود ، ليضعوها في أماكن تفاجئ العدو وتقتل من جنوده أكبر عدد ممكن . وكثيراً ما تفاجؤهم مدافع العدو فتحصد منهم المئات دفعة واحدة ، ثم يهجم عليهم المشاة الروس بينادقهم فيشتبكون معهم .

قال عليه السلام : كانت جثث القتلى ترك مُجَدَّلَةً على وجه الأرض بلا صلاة ولا دفن ، لتأكلها الوحوش والطيور !

أما في اليمن فقالوا إن الدولة العثمانية أمرت بعد مدة بجمع عظام قتلاها ،

فكانوا يجمعونها أكواماً كبيرة في الوديان ، ويطمرونها بالتراب !

ثم سمعت في النجف الأشرف قصصاً أبلغ عن ظلم العثمانيين واضطهادهم للشعب العراقي . ومع ذلك أفتى مراجع الشيعة بوجوب جهاد الإنكليز الى جنب جيش الخلافة العثمانية ، واستنفر العلماء ورؤساء العشائر ، وأقاموا معسكرات في البصرة والشعيبة وغيرها ، وحاربوا جنباً الى جنب مع ظالمهم ومضطهدهم الأتراك ، واختلط الدم الشيعي بالدم التركي للدفاع عن الوطن الإسلامي . بينما اختلط دم النواصب بالدم الإنكليزي في الجهة الأخرى !

وسمعت القصص عن جنرالات الجيش التركي ، كيف كانوا يأتون الى معسكرات المجاهدين مؤدبين ، يُقَبِّلون أيدي كبار العلماء ويشكرونهم ، وكيف انهزم الجيش التركي قبل المجاهدين ، وكيف ضُمَّت سجون الإنكليز ومنفاهم الى الهند ضباط الأتراك وعلماء الشيعة معاً.. الى آخر قصص الثورة والهزيمة ، وفيها عبرٌ عن حالة جيش بني عثمان ، وعوامل انهيار دولتهم ، وشهادة بأصالة الشيعة واندفاعهم للجهاد ، مع أنهم لا يملكون مقوماته ، ولا ظروفه .

٤- التعصب المذهبي ودوره في صناعة التاريخ

١- سياسة إجبار الشيعة على ولاية أبي بكر وعمر !

يقول بعض المثقفين: من الخطأ تفسير التاريخ بعامل الصراع المذهبي ، وتصوير أن كل أحداثه كان يحركها الصراع السني الشيعي !

فالقضية انتهت من يومها ، بعد أن رضي علي عليه السلام وباع أبا بكر وعمر .

والقضية انتهت من يوم انتهت الدولة الدينية ، وجاءت الدولة العصرية .

والقضية انتهت ، من فكر الجيل المعاصر الذي يهتم بالقضايا المعاصرة ، ولا يهتم بالتسني والتشييع ولا بالخلاف الذي كان بين علي وأبي بكر وعمر .

والقضية انتهت ، حيث بدأ العالم في الغرب والشرق يتشكل في أوطان ومجموعات بشرية ، تعايش وتعاون وتتحدا على أساس الحقوق الإنسانية في الحرية والديمقراطية ، بعيداً عن الإلتواء القومي والديني والمذهبي !

يقول مثل هذا المثقف: إن تفسير تاريخنا وحاضرنا بالعامل المذهبي ، خطأ من ناحية علمية ، بل هو خطرٌ على المجتمع ، لأنه يثير حساسيات ماضية ويحيي أضغاثاً زائلة ، ويبث الفرقة بين الناس !

نقول لهؤلاء: شكراً لكم على هذا الكلام الجميل ، لكنه ينطبق فقط على أمثالكم من المنفتحين على مفاهيم العصر وحقوق الإنسان والتعايش مع من يخالفهم في الرأي والمذهب.. لكن كم يبلغ هؤلاء في الذين حولكم؟! !

إنهم نسبة قليلة أيها السادة ، أما عامة الناس وملايئنتهم الذين يعيشون في الرباط والقاهرة وبيروت والرياض وبغداد وطهران وكراتشي وجاوة ، فهذا عندهم كلامٌ نظري لا واقع له ، لأن الواقع عندهم ضده تماماً !

إنه كلامٌ فيما ينبغي ، ومشكلتنا فيما هو موجود اليوم الذي هو ابن الأُمس القريب ، وحفيد الماضي الذي هو ديكتاتورية الحكومات وأتباع المذاهب ، الذين يؤمنون بحكم تربيتهم بالجبر والقهر ، وبالتعتيم والعزل !

الجبر على أن تتولى أبا بكر وعمر وتعتقد فيهما ، في داخل عقلك وفي عمق قلبك ! وإلا فجزاؤك القمع والقهر والحرمان من كل الحقوق المدنية ، بل من حق الحياة ! فهم يُقْتَوْنَ بهدر دمك ووجوب قتلك ، وبأن أموالك غنائم شرعية حلالٌ زلالٌ لهم ، وعِزُّكَ أي زوجتك وأختك وأمك ، يَصِرْنَ إماءً مملوكات شرعاً لمن يستولي عليهن منهم !

يقول أصحاب الكلام الشاعري الجميل : هذا كلامٌ فيه مبالغة وتضخيم ! ونقول لهم : نعذرکم لأنکم لم تروا ملفات محاکم البلد الفلاني ، ومئات أحكام الإعدام التي أصدرها (القضاة) بتهمة المساس بأبي بكر وعمر ! ولا اطلعتم على فتاوى تكفير ملايين المسلمين ، وهدر دمائهم بسبب أنهم لا يعتقدون ما يعتقدہ أصحاب الفتاوى في أبي بكر وعمر !

ولا عرفتم أن ألوف الشيعة سفك دماءهم الطالبان في أفغانستان ، وسَبَّوْا بناتهم ونسائهم واشتَرَقَوْهن ، بسبب أبي بكر وعمر !

ولا عرفتم كيف طبق الزرقاوي والوهابية فتواهم ، وطبقها حلفاؤهم الجدد
جماعة صدام، فسفكوا الدماء الزكية لرجال ونساء وأطفال باسم أبي بكر وعمر!
يقولون لك: هذه مواقف المتعصين من الوهابيين السلفيين ، فلا يقاس عليها
الوضع في كافة بلاد المسلمين !

نقول: نشكركم لأنكم اعترفتم بأن للعامل المذهبي عامل فعال في صناعة
الأحداث عند هؤلاء الذين تسمونهم متعصين ، لكن ألا ترون أن أفكارهم
المتعصبة هي المسيطرة والمتبناة في عامة البلاد ؟!

نسألکم لو أن إمام مسجد صغير في مصر، وهي أليّن البلاد السنية وأكثرها
مرونةً ، قال أنا لا أعتقد بإمامة أبي بكر وعمر ، ورأيي فيهما سلبی ، فماذا سيكون
موقف الناس منه ثم موقف السلطة ؟!

سيفتحون عليه قضية في المحكمة بأنه عدو لصحابة النبي ﷺ ، وعدو لله تعالى
ودينه ! فهل هذا إلا الإكراه والقمع الفكري ؟!

أليس معناه أن حزب أبي بكر وعمر ، لهم الحق في أن يفرضوا مزاجهم على
عقلك وقلبك ، فهم يأمرونك أن تدخل في قلبك ولاية أبي بكر وعمر، وأنهما
إمامان بعد النبي ﷺ ، وإلا فيأويلك !

تسألهم: لماذا تصادرون حرية المسلم في أن يفكر ويعتقد ما اقتنع به ، فمن
أعطاكم هذا الحق والولاية على الناس ؟ فيقولون لك: الله أعطانا ذلك !

تقول لهم: إن القناعة والحب ليس أمراً اختيارياً ، فكيف تطلبون مني غير

المقدور! فيقولون: لا، نحن نأمرك أن تقنع نفسك وقلبك!

أليس معناه أنهم حزبٌ: من لم يكن معنا فهو علينا، وحكمه القتل!

أليس هو نفس منطق الذين هاجموا بيت علي وفاطمة عليهما السلام، يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وقالوا لهم: من لم يبايع أبا بكر فحكمه أن نحرق عليه بيته!

أليس معناه: أن الله تعالى قَوَّض أبا بكر وعمر ما لم يفوضه لنبي ولا لصحابة نبي طوال التاريخ! فأعطاهما الحق في أن يفرضا على هذه الأمة رأيهما، ويجرّما عليها الرأي الآخر، تحت طائلة العقوبة بالقتل، ولهذا استحق أهل البيت والسبعون صحابياً الذين امتنعوا عن بيعتهما القتل أو الحرق!

ومعناه: أنه لا يجوز لأحد من الأمة أن يطرح الرأي الآخر حتى لو كان حديثاً نبوياً عن وصية النبي صلى الله عليه وآله بإمامة أهل بيته عليهم السلام!

ومعناه: أنه لا يجوز لأحد أن يتكلم بما يعتبر عند حزب أبي بكر وعمر إساءةً لهما حتى لو كان كلامه آيةً قرآنيةً أو حديثاً نبوياً!

ومعناه: أنك لتكون مسلماً يجب أن تقبل بمصادرة عقلك وحريتك، وتدخل في دولة الرأي الواحد، والحزب الواحد، وديكتاتوريتها!

هذا هو واقع تاريخنا البعيد والقريب والحاضر! وهو واقعنا وليس الكلام الجميل الذي يقوله المنادون بالإنسان وحقه في الرأي والتعبير! فهل اقتنعت أن خطة فرض إمامة أبي بكر وعمر كانت وما زالت عاملاً في صناعة الأحداث؟!!

٢- الوحدة الإسلامية من وجهة نظر أهل البيت عليه السلام

من أساليب أتباع الخلافة لإجبار مخالفينهم على تولي أبي بكر وعمر وبني أمية ، أنهم يرفعون شعار: الوحدة الإسلامية ! يقولون لك: ألا تعتقد أن وحدة الأمة فريضة على جميع المسلمين؟ فتقول: بلى ؟ فيقولون: إذن حَكَمْتَ على نفسك ! فلا تطالب بالحرية التي تضر بالوحدة ، ويجب عليك أن تتولى أبا بكر وعمر ولا تنتقدهما ، لأن انتقادهما يثير أولياءهما ، ويضر بالوحدة ! ثم يقولون لك إن من يتولونها هم الأكثرية ، وعلى الأقلية أن تطيع الأكثرية !

وهو كلام ظاهره حق وباطنه باطل ، لأنه يعني مصادرة قناعتك ومصيرك ! تسألهم: ألا يوجد حل آخر لا يضر بالوحدة ، ولا يسلبني حرية التفكير والتعبير والاعتقاد والعبادة ؟ فيقولون: لا !

إن نقطة التحريف في منطقهم أنهم يحصرون مشاريع الوحدة في الإجبار على مذهب الحاكم ! وهي الوحدة التي طبقها أبو بكر وعمر وعثمان وبنو أمية وبنو العباس ، والأدارسة في المغرب ، والأمويون في الأندلس ، والماليك في مصر ، ودولة أبناء عثمان جُوق في تركيا ! وهي الوحدة التي يتبناها الوهابيون وكل الإسلاميين أصحاب مشاريع الحكم الإسلامي في عصرنا ، حتى الشيعة منهم ! فكلها تقوم على القهر وفرض البيعة بلا شورى ، وتسلب الحق حتى في الحياد ! إنهم يريدون إعادة نظام السقيفة القرشي الذي قمعت به قريش الأنصار وأهل البيت عليه السلام ، وسَلَطَتْ على الأمة زعماء قريش ثم الماليك والأتراك المغول !

الفصل الثاني عشر: الغرب يدفع السلطان سليم الى فتح جبهة ضد الشيعة..... ٢٨١

أما مذهب أهل البيت عليه السلام فمشروعه وحدة المسلمين بدون قهر ولا غلبة ،
وحدة تحترم حرية الإنسان المسلم في التفكير والإعتقاد والتعبير والممارسة .

فهذه هي وحدة (لا إكراه في الدين) التي دعا إليها النبي ﷺ وأهل البيت عليه السلام ،
وهي الوحدة العصرية التي يتبناها الفكر الحديث ، فلا يجبر أحداً على عقيدة !

٣- مثل تاريخي لجهاد الشيعة لإحياء سنة النبي ﷺ

كافح الشيعة عصوراً طويلاً ، وما زالوا يكافحون ، من أجل حريتهم المذهبية .
ومن مفردات مطالبيهم التي سجلها التاريخ ، فقرة: حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ ، في
الأذان ، التي صارت علامة للإمامية والزيدية والإسماعيلية ، وشعاراً يرفعه
الشوار على الحكومات !

فقد كانت هذه الفقرة فصلاً من الأذان في عهد النبي ﷺ ، وعهد أبي بكر ،
وقسم من عهد عمر ، ثم حذفها عمر بحجة أن الناس قد يتصورون أن الصلاة
خير من الجهاد ، ويتركون فتح البلاد ! واعترض عليه أهل البيت عليه السلام وبعض
الصحابه والتابعين ، وكان ابنه عبد الله بن عمر يؤذن بها !

وقد ألف العلماء أكثر من خمسين بحثاً ورسالة في إثبات كونها جزءاً من الأذان ،
الذي أوحاه الله تعالى الى نبيه ﷺ ، وعلمه إياه جبرئيل عليه السلام .

قال في الإيضاح / ٢٠١ : « ورويت عن أبي يوسف القاضي ، رواه محمد بن الحسن
وأصحابه ، عن أبي حنيفة قالوا: كان الأذان على عهد رسول الله ، وعلى عهد أبي
بكر ، وصدر من خلافة عمر ، ينادى فيه: حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ ، فقال عمر بن

الخطاب: إني أخاف أن يتكل الناس على الصلاة إذا قيل: حي على خير العمل
وَيَدْعُوا الْجِهَادَ ! فأمر أن يطرح من الأذان حيَّ على خير العمل !

وقال القاضي المغربي في دعائم الإسلام: ١/ ١٤٢: «وروي عن أبي جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه قال: كان الأذان يحيي على خير العمل على عهد رسول الله وبه أمروا في أيام أبي بكر وصدر من أيام عمر، ثم أمر عمر بقطعه وحذفه من الأذان والإقامة، ف قيل له في ذلك فقال: إذا سمع الناس أن الصلاة خير العمل تهاونوا بالجهاد وتحلفوا عنه ! والعامّة تروي مثل هذا، وهم بأجمعهم إلى اليوم مصرون على اتّباع عمر في هذا وترك اتّباع رسول الله ﷺ واحتجوا بقول عمر هذا !

وظاهر هذا القول يغني عن الإحتجاج على قائله، وإنما أمر الله عز وجل بالأخذ عن رسوله ﷺ فقال: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. وقال: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وقال: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا. وقال رسول الله ﷺ: إتبعوا ولا تبتدعوا، فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ! أفكان عمر عند هؤلاء الرعا ع أعلم بمصالح الدين والمسلمين، أم الله ورسوله ﷺ؟ وقد أنزل الله عز وجل في كتابه من الرغائب والحض على الصلاة وعلى الجهاد، وعلى كثير من أعمال البر، ما أنزله وافترض فرائضه ! فهل لأحد أن يسقط من كتاب الله عز وجل شيئاً مما حض به على فريضة من فرائضه؟ أو هل وسع لأحد في ترك فريضة لأنه حض ورغب في غيرها أكثر مما حض ورغب فيها؟! هذا ما لا يقوله

عالم ولا جاهل ، ولا بلغنا عن أحد من الناس أنه توهمه .

«أورد القوشجي قول عمر: ثلاث كنَّ على عهد رسول الله وأنا أحرمنَّ وأعاقبُ عليهنَّ: متعة النساء ومتعة الحج وحيٌّ على خير العمل ! ثم قال: إن ذلك ليس مما يوجب قدحاً فيه، فإن مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الإجتهدية ليس ببدع ! وهو كلام عجيب حقاً فهل تحريم الرسول الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيُّ يوحى ، كان رأياً واجتهاداً منه ﷺ حتى يعارضه القوشجي باجتهد آخرين؟! وهل يصح اجتهد عمر في مقابل النص القرآني والتشريع النبوي؟! وإذا كان عمر قد اجتهد في هذا الأمر ولنفرض أن الرسول ﷺ قد اجتهد فيه أيضاً نعوذ بالله من خطل القول ، فأيهما أحق أن يتبع؟ وأيهما قال الله في حقه: ما آتاكم الرسول فخذوه؟ وماذا على من ترك اجتهد عمر لعمر وأخذ بالنص القرآني والتشريع الإلهي الوارد على لسان النبي الأمي؟!»

وماذا يصنع القوشجي بقول الرازي: إن ذلك يوجب تكفير الصحابة ، لأن من علم أن النبي ﷺ حكم بإباحة المتعة ثم قال: إنها محرمةٌ محظورةٌ من غير نسخ لها ، فهو كافر بالله؟! ومن الواضح أن القوشجي وصاحب المنار والرازي وغيرهم لم يستطيعوا أن يدركوا وجه العذر لعمر في إقدامه على تحريم المتعة وغيرها فتشبثوا بالطحلب، بل صدر منهم ما فيه أيضاً نيل من كرامة الرسول الأعظم ﷺ وتصغير لشأنه من حيث يعلمون أو من حيث لا يعلمون! (شرح التجريد للقوشجي/ ٤٨٤ ، وكنز العرفان/ ١٥٨ ، عن الطبري في المستتير ، والصراط المستقيم: ٣/ ٢٧٧ ، والغدير: ٦/ ٢١٣ ، وجواهر الأخبار والآثار المستخرجة: ٢/ ١٩٢ ، عن

التفتازاني في حاشيته على شرح العضدي ، والنص والاجتهاد/ ١٩٩ ، وعدّ في شرح النهج: ٣/ ٣٦٣ ، تحريم عمر للمتعة من اجتهاده ، وزواج المتعة: ٨/ ٣ ، للسيد جعفر مرتضى .

أقول: ومن يوم حرّم عمر ما فرضه النبي ﷺ تحركت شرطة الخلافة لقمع كل مسلم يطيع النبي ﷺ ولا يطيع عمر ! وما زالت شرطتهم تطارد الشيعة باسم الدين الى يومنا هذا ! وقد كان مطلب الشيعة منهم وما زال أن يتركوهم يؤذون في مساجدهم ومناطقهم كما يعتقدون ، ولم تفرض أي حكومة شيعية على أحد الأذان بحيّ على خير العمل ! فالقهر والإجبار دين الخلافة القرشية !

وهذا شريط تاريخي يوضح إصرار الشيعة على سنة النبي ﷺ ، وإصرار أتباع الخلافة على منعهم منها ، وفرض سنة عمر بدلها !

١- في سير الذهبي: ١٥/ ١٦٤ : « قلت: ظهر هذا الوقت الرفض وأبدى صفحته وشمخ بأنفه في مصر والشام والحجاز والغرب بالدولة العبيدية ، وبالعراق والجزيرة والعجم بيني بويه ، وكان الخليفة المطيع ضعيف الدست والرتبة مع بني بويه ، ثم ضعف بدنه وأصابه فالج وخرس ، فعزلوه وأقاموا ابنه الطائع له ، وله السكة والخطبة وقليل من الأمور ، فكانت مملكة هذا المعز أعظم وأمكن.. وأعلن الأذان بالشام ومصر بحبي على خير العمل . فله الأمر كله . »

٢- في تاريخ أبي الفداء/ ٥٠٧ : « وفي هذه السنة (٤٤٤) كانت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة ، وأعادت الشيعة الأذان بحبي على خير العمل ، وكتبوا في مساجدهم: محمد وعلي خير البشر . »

٣- في النهاية: ٩٦/١٢: «وأعاد الروافض الأذان بحج على خير العمل ، وأذن به في سائر نواحي بغداد (في مساجدهم) في الجمعات والجماعات ، وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العبيدي على منابرها وغيرها ، وضربت له السكة على الذهب والفضة ، وحوصرت دار الخلافة » .

٤ - في النجوم الزاهرة: ٥/ ٢٨١: «وهي سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة ، فيها أزال السلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب دمشق من حلب الأذان بحج على خير العمل وسب الصحابة بها ، وقال: من عاد إليه قتلته ، فلم يعد أحد » .

أقول: لم يكن الشيعة يسبون الصحابة ، نعم كانوا وما زالوا يلعنون ظالمي أهل البيت عليه السلام ، وهو مبدأ متفق عليه ، فقد لعن رسول الله ﷺ ظالمي أهل بيته بأحاديث صحيحة عند الجميع ، بل لعنهم الله في صريح قرآنه بقوله: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ! أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ . وقد استدل أحمد بن حنبل بهذه الآية على لعن يزيد .

لكن بمجرد أن يقول الشيعي لعن الله ظالمي آل محمد ، يقولون إنك تلعن وتسب الصحابة وتقصد أبا بكر وعمر! ويصورون الشيعة كأن شغلهم الشاغل في ليلهم ونهارهم شتم الصحابة ! وغرضهم بذلك التهريج ، ومنع لعن ظالمي أهل بيت النبي ﷺ ومضطهديهم وقتليهم !

٥- وصف أبو الفرج في مقاتل الطالبيين/ ٢٩٧ ، حركةً للعلويين في المدينة فقال: «فاجتمعوا ستة وعشرين رجلاً من ولد علي عليه السلام وعشرة من الحاج ، ونفروا من

الموالي ، فلما أذن المؤذن للصبح دخلوا المسجد ثم نادوا: أحدٌ ، أحدٌ ، وصعد عبد الله بن الحسن الأقطس المنارة التي عند رأس النبي ﷺ عند موضع الجنائز فقال للمؤذن: أذنٌ بحَيٍّ على خير العمل، فلما نظر إلى السيف في يده أذن بها ، وسمعه العمري (حاكم المدينة من قبل المنصور العباسي) فأحس بالشر، ودهش وصاح: أغلقوا البغلة (يقصد الباب) وأطعموني حبتي ماء ! قال علي بن إبراهيم في حديثه: فولده إلى الآن بالمدينة يُعرفون ببني حبتي ماء !!

٦- قال ابن الجوزي في المنتظم: ٢٨/٥: «وفي أول يوم من شوال حضر الموكب النقباء والأشراف والقضاة والشهود ، فنهض بعض المتفقهة وأورد أخباراً في مدح الصحابة وقال: ما بال الجنائز تمنع من ذكر الصحابة عليها بمقابر قريش وربيع الكرخ ، والسنة ظاهرة ، ويد أمير المؤمنين قاهرة؟! »

فطولع بما قال ، فخرج التوقيع بما معناه: أنهي ما ارتكب بمقابر قريش من إخال ذكر صاحبي رسول الله (ص) وتورطهم في هذه الجهالة ، واستمرارهم على هذه الضلالة ، التي استوجبوا بها النكال ، واستحقوا عظيم الخزي والوبال ، وإنما يتوجه العتب في ذلك نحو نقيب الطالبين ، ولولا ما تدرَّع به من جلباب الحكم ، وأسباب يتوخاها ، لتقدم في فرضه ما يرتدع به الجهال ، فليؤمر بإظهار شغل السنة في مقابر باب التبن ، وربيع الكرخ ، من ذكر الصحابة على الجنائز ، وحثهم على الجمعة والجماعة والتشويب بالصلاة خير من النوم ، وذكر الصحابة على مساجدهم ومحاريبهم أسوة بمساجد السنة ، والتقدم بمكاتبة ابن مزيد (الشيبي حاكم الحلة) ليجري على هذه السيرة في بلاده ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ

أمره أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

أقول: أنظر الى أسلوب الخلافة العدواني ! فحيثية المرسوم هو: إخال ذكر الصحابة ، ومعناه أن الشيعة في مساجدهم ومناطقهم يذكرون أهل البيت عليه السلام ولا شغل لهم بغيرهم ، وذلك إخالٌ لذكر أبي بكر وعمر وعثمان ، الذي يجب على الشيعة إحياؤه ! فحيثية المرسوم أن ذكر الشيخين واجب (والسنة ظاهرة ويد أمير المؤمنين قاهرة) ! أي قادرة على إجبار الشيعة على مذهب الحكومة ! وكلما أمكن إجبارهم وجب ! وإن لم يستطيعوا إجبارهم صاحوا وبكوا من ظلم الشيعة ! وهذا حالهم الى يومنا هذا !

٧- قال ابن الجوزي في المنتظم: ٦/ ٢١٧: «ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمس مائة.. وظهر في هذه الأيام من الروافض أمر عظيم ، من ذكر الصحابة وسبهم ، وكانوا في الكرخ إذا رأوا مكحول العين ضربه » ! (ومثله الذهبي في تاريخه: ٣٩/ ٥)

أقول: يقصد أن الشيعة في مجالس عزائهم على الإمام الحسين عليه السلام يلعنون ظالمي آل محمد عليه السلام وقاتليهم ! ولم يذكر لماذا كان بعض الشيعة يضربون مكحول العين إذا دخل الى محلاتهم في الكرخ أو غيرها ! وهو بذلك يغطي على المجرم ويظهره مظلوماً ! والقضية أن الشيعة يتخذون أيام عاشوراء أيام حزن ويلبسون السواد ، ويعقدون مجالس النوح والرناء وذكر فضائل أهل البيت عليه السلام ، فكان أتباع الخلافة يعملون لتعطيل تلك المراسم ، ويظهرون الفرح ويلبسون الثياب الجديدة ، ويتخذون تلك الأيام عيداً ! وكانوا في بغداد والشام يلبسون الثياب الجديدة ويكتحلون ، ويذهبون الى محلات الشيعة ليغيضوهم ! فيواجه شباب الشيعة النواصب المكحّلين والمكحّلات

الذين يَتَحَدَّوْنَهُمْ ! ومن العجيب أن الدولة العباسية (الهاشمية) لم تمنع الشماتة والفرح بقتل الإمام الحسين عليه السلام الذي ثارت باسمه ، بل كانت تشجع النواصب على إظهار الفرح لإغاضة الشيعة ، ثم تدافع عن النواصب وتدعي أنهم مظلومون !

قال إمامهم البكري في إعانة الطالبين: ٣٠١/٢: «يكره الكحل يوم عاشوراء لأن يزيداً وابن زياد اكتحلا بدم الحسين هذا اليوم ! وقيل بالإثم ، لتقرَّ عينهما بفعله ! قال العلامة الأجهوري: ولقد سألت بعض أئمة الحديث والفقه عن الكحل وطبخ الحبوب ولبس الجديد وإظهار السرور ، فقال: لم يرد فيه حديث صحيح عن النبي (ص) ولا عن أحد من الصحابة ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين».

وهذا يدل على أن بغضهم لأهل البيت عليهم السلام جعلهم يكذبون على النبي صلى الله عليه وآله لتبرير عمل يزيد وشيعته ، وجعل الفرح بعاشوراء شرعياً !

٨- في تاريخ أبي الفداء ٥٠٣: «وفيها (سنة ٤٤١) وقعت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة ، وعظم الأمر حتى بطلت الأسواق وشرع أهل الكرخ في بناء سور عليهم محيطاً بالكرخ ، وشرع السنية من القلايين ومن يجري مجراهم في بناء سور على سوق القلايين ، وكان الأذان بأماكن الشيعة بحي على خير العمل».

٩- في كامل ابن الأثير: ٥٧٦/٩ ، في أحداث سنة ٤٤٣: «وكان سبب هذه الفتنة أن أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين وأهل القلايين في عمل ما بقي من باب مسعود ، ففرغ أهل الكرخ وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب محمد وعلي خير البشر ، وأنكر السنية ذلك وادعوا أن المكتوب محمد وعلي خير البشر ، فمن

رضي فقد شكر ، ومن أبى فقد كفر ! وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا: ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا ، فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العباسيين ونقيب العلويين وهو عدنان بن الرضا ، لكشف الحال وإنهائه ، فكتبنا بتصديق قول الكرخيين ، فأمر حينئذ الخليفة ونواب الملك الرحيم (آخر السلاطين البويهيين) بكف القتال فلم يقبلوا !

وانتدب ابن المذهب القاضي والزهيري وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصمد أن يحمل العامة على الإغراق في الفتنة ، فأمسك نواب الملك الرحيم عن كفهم غيظاً من رئيس الرؤساء لميله إلى الحنابلة، ومنع هؤلاء السنية من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ... وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة فمحووا خير البشر وكتبوا:عليهما السلام ، فقالت السنية لانرضى إلا أن يقلع الآجر الذي عليه محمد وعلي وأن لا يؤذَنَ بحَيٍّ على خير العمل! وامتنع الشيعة من ذلك ودام القتال إلى ثالث ربيع الأول!

١٠- وفي تاريخ الذهبي: ٩/٣٠: «سنة ثلاث وأربعين وأربع مائة.. فلما كان في ربيع الآخر خطب (وزير الخليفة) بجامع براثا مأوى الشيعة ، وأسقط من الأذان حي على خير العمل ، ودق الخطيب المنبر بالسيف ، وذكر في خطبته العباس». انتهى.

أقول: لاحظ فعل الخطيب بحضور وزير الخليفة ، متحدياً الشيعة في مسجدهم الكبير في العاصمة: ودق الخطيب المنبر بالسيف ! وتلك أخلاق خلافة قريش في الإجبار واضطهاد من خالفهم في الرأي ، حتى في مسجده وعبادته ووضوئه وصلاته !

١١- في النجوم الزاهرة: ٥٩/٥: «وهي سنة ثمان وأربعين وأربع مائة . فيها عمّ الوباء والقحط بغداد والشام ومصر والدنيا . وفيها أقيم الأذان في مشهد موسى بن جعفر ومساجد الكرخ بالصلاة خير من النوم على رغم أنف الشيعة ! وأزيل ما كانوا يقولونه في الأذان من حي على خير العمل» .

١٢- في المواعظ للمقريزي/ ١٦٧٧: «وفي إمارة هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، أنكر رجل من أهل مصر أن يكون أحد خيراً من أهل البيت ، فوثبت إليه العامة (عوام الحكومة وغوغاؤها) فضرب بالسياط يوم الجمعة في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين ومائتين ! ومازال أمر الشيعة يقوى بمصر إلى أن دخلت سنة خمسين وثلاث مائة ، ففي يوم عاشوراء كانت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند قبر كلثوم العلوية بسبب ذكر السلف والنوح ، قتل فيها جماعة من الفريقين ، وتعصب السودان (علمان الحكومة) على الرعية (المصريين) فكانوا إذا لقوا أحداً قالوا له: من خالك؟ فإن لم يقل معاوية بطشوا به وسَلَّحُوهُ ! ثم كثر القول معاوية خال علي ! وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة يناديان في كل يوم جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام: معاوية خالي وخال المؤمنين وكتب الوحي ، ورديف رسول الله ! وكان هذا أحسن ما يقولونه، وإلا فقد كانوا يقولون معاوية خال علي من هاهنا ، ويشيرون إلى أصل الأذن...!

وفي شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة ، أخذ رجل يعرف بابن أبي

الليث الملطي ينسب إلى التشيع ، فضرب مائتي سوط ودرة ، ثم ضرب في شوال خمسمائة سوط ودرة ، وجعل في عنقه غُلٌّ وحُجَس ، وكان يُتفقد في كل يوم لثلا يخفف عنه ، ويبصق في وجهه ، فمات في محبسه ! فحمل ليلاً ودفن فمضت جماعة إلى قبره لينبشوه ، وبلغوا إلى القبر ، فمنعهم جماعة من الإخشيدية والكافورية فأبوا !

أقول: أنظر الى سياستهم الوحشية مع هذا المؤمن الملطي الذي كان مسيحياً فأسلم ، وملطية مدينة رومية في تركية على إسم جزيرة مالطة الأوربية. (معجم البلدان: ٥/ ١٩٣).

١٣- في المواعظ للمقرئزي/ ١٥٤٦ ، وسلك الدرر للمرادي/ ٨٨٧: « ولم يزل الأذان بحلب يزداد فيه حي على خير العمل ومحمد وعلى خير البشر ، إلى أيام نور الدين محمود ، فلما فتح المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاوية ، استدعى أبا الحسن علي بن الحسن بن محمد البلخي الحنفي إليها ، فجاء ومعه جماعة من الفقهاء وألقى بها الدروس ، فلما سمع الأذان أمر الفقهاء فصعدوا المنارة وقت الأذان وقال لهم: مُرّوهم يؤذنوا الأذان المشروع ، ومن امتنع كُتِبَ على رأسه ! فصعدوا وفعلوا ما أمرهم به ، واستمر الأمر على ذلك !

وأما مصر فلم يزل الأذان بها على مذهب القوم ، إلى أن استبدَّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة ديار مصر ، وأزال الدولة الفاطمية ، في سنة سبع وستين وخمس مائة ، وكان يتحلل مذهب الإمام الشافعي وعقيدة الشيخ أبي الحسن الأشعري ، فأبطل من الأذان قول حي على خير العمل .»

١٤- وفي نهاية ابن كثير: ٣٥٥/١٢: «ثم سار إلى حلب فتزل على جبل جوشن، ثم نودي في أهل حلب بالحضور في ميدان باب العراق، فاجتمعوا فأشرف عليهم ابن الملك نور الدين فتودد إليهم وتباكى لديهم، وحضَّهم على قتال صلاح الدين، وذلك عن إشارة الأمراء المقدمين، فأجابه أهل البلد بوجوب طاعته على كل أحد، وشرط عليه الروافض منهم أن يعاد الأذان بحمي على خير العمل وأن يذكَّر في الأسواق بذكر فضائل أهل البيت، وأن يكون لهم في الجامع الجانب الشرقي، وأن يُذكر أسماء الأئمة الإثني عشر بين يدي الجنائز، وأن يكبروا على الجنائز خمساً، وأن تكون عقود أنكحتهم إلى الشريف أبي طاهر بن أبي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني، فأجيبوا إلى ذلك كله! فأذن بالجامع وسائر البلد بحمي على خير العمل».

١٥- في النجوم الزاهرة: ١٢٠/٥: «وكان بدر الجمالي أرمني الجنس فاتكاً جباراً، قتل خلقاً كثيراً من العلماء وغيرهم، وأقام الأذان بحمي على خير العمل، وكبر على الجنائز خمساً، وكتب سب الصحابة على الحيطان! قلت: وبالجملية إنه كان من مساوئ الدنيا جزاءه الله، وغالب من كان بمصر في تلك الأيام كان رافضياً خبيثاً، بسبب ولاية مصر بني عبيد، إلا من ثبته الله تعالى على السنة». انتهى.

أقول: شهد التاريخ لقائد الجيش المصري الفاطمي الملك الأفضل الجمالي، بالعدل والنزاهة والشجاعة، فقد قاتل الصليبيين في مصر والشام وفلسطين، وحقق انتصارات للمسلمين، ثم جاء بعده صلاح الدين فقاتلهم قليلاً وصالحهم، وأعطاهم إمتيازات

ومناطق لم يحلموا بها زمن القائد الشيعي بدر الجهمي رحمته الله ! ولا مجال للتفصيل .

١٦- في رحلة ابن جبير/ ٥١: «وللحرم أربعة أئمة سنية وإمام خامس لفرقة تسمى الزيدية . وأشرف أهل هذه البلدة على مذهبهم ، وهم يزيدون في الأذان: حي على خير العمل ، إثر قول المؤذن حي على الفلاح ، وهم روافض سبابون والله من وراء حسابهم وجزائهم ، ولا يُجْمَعُونَ مع الناس ، إنما يصلون ظهراً أربعاً ، ويصلون المغرب بعد فراغ الأئمة من صلاتها » .

١٧- في نهاية ابن كثير: ١٢/ ٣٢٣: «ثم دخلت سنة خمس وستين وخمس مائة ، في صفر منها حاصرت الفرنج مدينة دمياط من بلاد مصر خمسين يوماً ، بحيث ضيقوا على أهلها وقتلوا أئمة كثيرة... وفيها قطع صلاح الدين الأذان بحي على خير العمل من ديار مصر كلها ، وشرع في تمهيد الخطبة لبني العباس على المنابر» .
لاحظ أن التشدد الداخلي ضد الشيعة ، يرافقه ضعف خارجي في مقاومة الغزاة !

١٨- في تاريخ الذهبي: ٤٢/ ١٢٧: «صالح بن عيسى بن عبد الملك الفقيه الصالح .. لما زالت دولة العبيدين ، كان يخرج إلى البلاد المصرية ويخطب بها ، وينسخ ما كان بها من الأذان بحي على خير العمل ، ثم ينتقل إلى بلد آخر احتساباً » .

ولابد أن هذا الشيخ كان معه شرطة تفرض على قرى مصر أذان الدولة !

١٩- في النجوم الزاهرة: ٦/ ١٠٣: «وفيها دخل سيف الإسلام أخو صلاح الدين إلى مكة ، ومنع من الأذان في الحرم بن حي على خير العمل » .

٢٠- في النجوم العوالي للعصامي/١٤٣٦: «واستولى الزيدية على غالب حضر موت ثم في سنة سبعين استولى على حضر موت كلها ، وأمرهم أن يزيدوا في الأذان حي على خير العمل ، وترك الترضي عن الشيخين .»

٢١- في كامل ابن الأثير: ٩/٥٩٢: «وأعاد الشيعة الأذان بحي على خير العمل ، وكتبوا على مساجدهم محمد وعلي خير البشر وجرى القتال بينهم وعظم الشر».

٢٢- في سير الذهبي: ١٥/١٥٩: «المعز لدين الله ، أبو تميم معد بن المنصور إسماعيل بن القائم ، العبيدي المهدوي المغربي ، الذي بنيت القاهرة المعزية له ، كان صاحب المغرب وكان ولي عهد أبيه . ولي سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة ، وسار في نواحي إفريقية يمهد ملكه فذلّل الخارجين عليه... وساروا في أول سنة ثمان وخمسين في أهبة عظيمة وكانت مصر في القحط فأخذها جوهر ، وأخذ الشام والحجاز . ونفذ يعرف مولاة (المعز) بانتظام الأمر ، وضربت السكة على الدينار بمصر وهي: لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي خير الوصيين . والوجه الآخر اسم المعز والتاريخ . وأعلن الأذان بحيّ على خير العمل ، ونودي: من مات عن بنت وأخ أو أخت فالمال كله للبنت . فهذا رأي هؤلاء».

٢٣- في أعيان الشيعة: ٩/٩١: «جاء البساسيري بجيش عظيم من مصر إلى بغداد وقبض على الخليفة وسجنه في الحديثة ، وفي بغداد جعل الخطبة والسكة مدة عامين باسم المستنصر الذي كان خليفة الإسماعيلية في مصر ، وفي النهاية علم طغرل بك بذلك ، فأسرع من خراسان وقصد البساسيري في جيش جرار ،

وقبض عليه وقتله ، وأخرج الخليفة من السجن وأعادته إلى بغداد ، وأجلسه على عرش الخلافة .

وقال ابن كثير في النهاية: ٩٦/١٢ ، عن هاتين السنتين: «وأعادت الروافض الأذان بحى على خير العمل ، وأذن به في سائر نواحي بغداد في الجمعات والجماعات ، وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العبيدي على منابرها وغيرها ، وضربت له السكة على الذهب والفضة ، وحوصرت دار الخلافة » .

ومعناه أن شعبية الفاطميين في بغداد ، كانت أكثر من شعبية العباسيين .

٢٤- في النجوم الزاهرة: ٨٩/٥: «السنة السابعة والثلاثون من ولاية المستنصر معد على مصر ، وهي سنة أربع وستين وأربع مائة . فيها بعث الخليفة القائم بأمر الله الشريف أبا طالب الحسن بن محمد أخا طراد الزينبي ، إلي أبي هاشم محمد أمير مكة بهال وخلع وقال له: غير الأذان وأبطل حيي على خير العمل ، فناظره أبو هاشم المذكور مناظرة طويلة ، وقال له: هذا أذان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال له أخو الشريف: ما صح عنه ، وإنما عبد الله بن عمر بن الخطاب روي عنه أنه أذن به في بعض أسفاره ، وما أنت وابن عمر ؟! فأسقطه من الأذان » !

٢٥- في الدرر الكامنة: ٨/٢: «ثم تزوج بنت بيسرس فتضاعفت حرمة ، ولما كانت وقعة شقحب انهزم هزيمة قبيحة ، فغضب منه السلطان ثم عفا عنه بشفاعة الأمراء ، فأمره على الحج سنة ٧٠٢ ، فأبطل الأذان بحى على خير العمل ، وجمع الزيدية ومنعهم من الإمامة بالمسجد الحرام » .

٢٦- في صبح الأعشى: ١٧١/٤: «ثم تغلب عليها أوتسز بن أرتق الخوارزمي ، أحد أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي في سنة ثمان وستين وأربع مائة ، وقطع الخطبة بها للمستنصر الفاطمي وخطب للمقتدي العباسي ، ومنع من الأذان بحي على خير العمل ، ولم يخطب بعد ذلك بالشام لأحد من الفاطميين » .

٢٧- في نهاية ابن كثير: ١٣٧/١٢: «الأقيس هذا... أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين وأزال الأذان منها بحي على خير العمل ، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام مائة وست سنين ، كان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضي الله عنهم (يقصد لعنة ظالمي آل محمد!) فأمر هذا السلطان المؤذنين والخطباء أن يترضوا عن الصحابة أجمعين ، ونشر العدل وأظهر السنة ! انتهى» .

أقول: لاحظ أن مطلب الشيعة كان دائماً حريتهم في مساجدهم ، وأن يكتبوا في محلاتهم محمد وعلي خير البشر ، وأن يقولوا في مجالسهم: لعن الله ظالمي آل محمد . فكل مطلبهم حرية عقيدتهم في مناطقهم ، لا فرضها على أحد ! بينما مطلب مخالفيتهم أن يفرضوا عليهم في حذف حي على خير العمل ، ويجبروهم على الترضي على أبي بكر وعمر وعثمان ، ومدحهم !

وقد وصف ابن كثير سيطرة السلاجقة على بغداد وفرضهم مذهبهم بالقوة ، والغائهم الحرية التي كانت زمن الدولة البويهية الشيعية ! فقال في النهاية: ٨٦/١٢:

«وفيها أُلزِمَ الروافض بترك الأذان بحي على خير العمل ، وأمروا أن ينادي

مؤذنه في أذان الصبح بعد حي على الفلاح: الصلاة خير من النوم مرتين، وأزيل ما كان على أبواب مساجدهم من كتابة: محمد وعلي خير البشر، ودخل المنشدون من باب البصرة إلى باب الكرخ ينشدون بالقصائد التي فيها مدح الصحابة! وذلك أن نوء الرافضة اضمحل لأن بني بويه كانوا حكاماً وكانوا يقوونهم وينصرونهم، فزالوا وبادوا وذهبت دولتهم، وجاء بعدهم قوم آخرون من الأتراك السلجوقية، الذين يحبون أهل السنة ويوالونهم ويرفعون قدرهم، والله المحمود أبداً على طول المدى. وأمر رئيس الرؤساء الوالي بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ الروافض، لما كان تظاهره من الرفض والغلو فيه، فقتل على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره.

أقول: هكذا يحمدون الله على توفيقهم لمصادرة حريات الناس وإكراههم على العبادة على مذهبهم، ويفتخرون بقتل أحد علماء الشيعة أمام دكانه، ويتأسفون لأنهم لم يقتلوا مرجع الشيعة حيث هرب من بغداد إلى النجف! فعوضوا بنهب داره ومكتبته! وفي مقابل هذا القمع السني، لم يسجل الرواة أن الشيعة أجبروا أحداً على أذانهم ومذهبهم، أو قتلوا أحداً من علماء السنة من أي مذهب طوال دولة السلاطين البويهيين، ودولة الخليفة الناصر العباسي الشيعي، ودولة السلاطين المغول الشيعة، بل كان علماء المذاهب محترمين مقربين من الحكام وعلماء الشيعة.

وبهذا صح قول ابن الصفي رحمته الله: وكل إناء بالذي فيه ينضح!

(تم الكتاب، والحمد لله رب العالمين).

فهرس الموضوعات

٣	مقدمة الطبعة الثانية
---	----------------------

الفصل الأول: خلاصة عن المغول

٧	١ - المغول قبائل من (منغوليا) شمال الصين
٩	٢ - دولة منغوليا أم المغول
١١	٣ - جنكيز خان طاغية المغول ونبيهم !
١٤	٤ - رفض المغول التحالف مع الصليبيين
١٧	٥ - (التياسة) شريعة جنكيز خان للمغول

الفصل الثاني: غزو المغول لبغداد قبل سقوطها بنصف قرن !

٢١	١ - أخبر أمير المؤمنين بالله عن فتنة المغول !
٢٣	٢ - حملة المغول الأولى على بلاد المسلمين
٢٦	٣ - احتل المغول روسيا وشرق أوروبا
٢٩	٤ - نماذج من قسوة المغول ووحشيتهم !
٣٤	٥ - بركة خان المغولي الذي ضخمه !

الفصل الثالث: سقوط بغداد بيد المغول

- ١- انشغل المغول عن بغداد أكثر من ثلاثين سنة ! ٤١
- ٢- حملة المغول الثانية بقيادة هولاكو ٤٢
- ٣- سلّموا بلاد المسلمين الى المغول واتهموا الشيعة ! ٤٥
- ٤- اختاروا خليفةً ضعيف الشخصية ليكون بيدهم ! ٤٦
- ٥- قام الخليفة وبطانته بعمل أحق فحلوا جيش الخلافة ! ٤٨
- ٦- حاول ابن العلقمي أن يعيد بناء الجيش فاتهموه ! ٥٠
- ٧- آخر محاولات ابن العلقمي عندما وصل المغول ٥٢
- ٨- بكى الخليفة الحنّاء وقال: قتلوا راقصتي فكثّفوا الستائر ! ٥٤
- ٩- كان سلاطين الخلافة كلهم سكارى مثل الخليفة ! ٥٦
- ١٠- واخترعوا للخليفة السكران كرامات ومعجزات ! ٥٨
- ١١- صنعوا من الدويدار الجبان بطلاً، لأنه عدو للشيعة ! ٥٩
- ١٢- من رواياتهم المعقولة في استسلام بغداد ٦٠
- ١٣- أخفوا أدوار بطانة الخليفة شركاء قائد الجيش ! ٦٦

الفصل الرابع: منصفون سنة دافعوا عن الشيعة

- ١- وهابي منصف دافع عن ابن العلقمي والشيعة ٦٧
- ٢- لماذا لم يتهموا شخصيات سنية كانت مع المغول؟! ٧١

الفصل الخامس: سياسة علماء السنة والشيعة مع المغول

- ١- الحاكم الكافر العادل خيرٌ من المسلم الجائر ٧٥

فهرس الموضوعات..... ٣٠١

٢- حكم إستعانة المسلمين بالكفار لحرب المسلم الجائر ٨٠

٣- علماء الحلة يجنبون منطقتهم بطش المغول ٨١

الفصل السادس، المرحع الشيعي المبقرى يغير معادلة الغزو المغولي

١- نصير الدين الطوسي رحمه الله من نوادر العباقرة ٨٣

٢- نشأة نصير الدين الطوسي رحمه الله ٩٥

٣- من أخلاق نصير الدين الطوسي وإيمانه رحمه الله ٩٨

٤- شباهة نصير الدين الطوسي بالسفير الحسين بن روح رحمه الله ١٠٠

٥- مدحوا نصير الدين وشذَّ ابن تيمية فأتهمه بالتآمر ! ١٠١

٦- نصير الدين الطوسي رحمه الله يلين الطاغية هولاكو وأولاده ١٠٨

الفصل السابع، خطة نصير الدين رحمه الله لرد غزو المغول

١- العلم والعمران وحرية المذاهب ورعاية الكوادر ١١١

٢- خادمه النابغة عبد الرزاق الفُوطي ، شيخُ الذهبي ١١٥

٣- شيوخ الصوفية سعد الدين بن حموية وأولاده ١١٩

٤- الدولة العصرية التي أقامها نصير الدين الطوسي رحمه الله ١٢٦

٥- الجوينيون طبقوا الفكر الشيعي في الحرية والإعمار ١٢٨

٦- الحرية المذهبية جزء لا يتجزأ من مذهب التشيع ١٣١

٧- شهادات باحثين لحكام العراق الجوينين ١٤٠

٨- سبب احترام الشيعة للطرف الآخر ١٤٥

٩- كان التشيع دائماً طاقةً لتجديد حياة الأمة ١٤٨

١٠- الغزو المغولي سيع لكنه فتح الباب للطاقات الجديدة ١٥٢

الفصل الثامن: العلامة الحلي يواصل جهود المحقق الطوسي +

١- شخصية العلامة الحلي رحمته الله ١٥٥

٢- دراسة العلامة عند المحقق الطوسي رحمته الله ١٥٧

٣- العلامة الحلي رحمته الله خليفة المحقق الطوسي رحمته الله ١٥٩

٤- السلطان المغولي يتشيع ويدعو للمذهب الشيعي ١٦٠

٥- لماذا تشيع السلطان محمد خدابنده؟ ١٦٤

٦- الوجه الشرعي لتعظيم العلامة للسلطان المغولي ١٧١

٧- مضمون مرسوم السلطان محمد خدابنده وأبعاده ١٧٢

٨- أضاء على حذف ذكر الشيخين من خطبة الجمعة ١٧٤

٩- لماذا اخترع المنصور الترضي على الشيخين في خطبة الجمعة ١٧٧

١٠- وصارت بدعة المنصور ديناً عند أتباع بني أمية ! ١٧٩

١١- الآثار الإيجابية لمرسوم السلطان المغولي بتبني التشيع ١٨١

١٢- النواصب لتشويه شخصية السلطان محمد خدابنده ١٨٣

١٣- زاد ابن تيمية على الجميع في التجني ١٩٠

١٤- أخفوا كل منجزات السلطان محمد خدابنده ! ١٩١

١٥- حاولتهم قتل السلطان محمد خدابنده ! ١٩٣

الفصل التاسع: السلطان المغولي بو سعيد بن محمد خدابنده

١- آخر سلاطين المغول السلطان الشاب بو سعيد ١٩٥

٣٠٣	فهرس الموضوعات
٢٠٣	٢- السلطان بو سعيد مغولي أكثر منه شيعياً
٢٠٧	٣- هروب الدمرداش بن جويان الى مصر
٢٠٩	٤- أذنَ الله بزوال المغول فأعقَمَ سلطانهم بو سعيد !
٢١٢	٥- موجة تيمور لنك المجنونة الفاشلة !

الفصل العاشر: خلاصة الأحداث الكبرى بعد انهيار المارد المغولي

١- انضواء على أهم الأحداث في قرنين بعد حكم المغول

٢١٥	(١) بدأ انهيار المغول بموت السلطان بو سعيد
٢١٦	(٢) وبدأت تتشكل الدول المحلية
٢١٦	(٣) المد الشيعي الذي أحدثه نصير الدين قلاتي
٢١٧	(٤) لعدل الجوينيين تمسك العراقيون بالإيلخانيين
٢١٨	(٥) نجت مصر من موجات المغول
٢١٩	(٦) رفع راية الصحابة مقابل أهل البيت عليه السلام
٢١٩	(٧) أين كان العرب في عهد موجات المغول

٢- نشوء الدولة الشيعية الفارسية في إيران ومحيطها

٢٢٢	١- كانت إيران سنية وكان فيها بؤر شيعية
٢٢٥	٢- أول حركة ضد المغول حركة شيعية
٢٣٠	٣- صفى الدين الأردبيلي جد الملوك الصفويين
٢٣٤	٤- الشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية

٣٠٤ كيف رد الشيعة غزو المغول

٢٣٧ ٥- الطعن القديم الجديد في الحكم الصفوي الشيعي

٢٤١ ٦- الفرق بين الحكم الشيعي وحكم الخلافة

٣- نشوء الدولة العثمانية المغولية في تركيا ومحيطها

٢٤٣ ١- تركيا بلد لم يحكمه أهله أبداً !

٢٤٦ ٢- السلاجقة والعثمانيون مغول وليسوا أتراكاً !

٢٥٠ ٣- هزيمة العثمانيين المذلة على يد تيمور لنك

٢٥١ ٤- كيف استطاع العثمانيون الغرباء أن يحكموا تركيا؟!

٢٥٥ ٥- القسوة والوحشية عند بني عثمان جُت !

٢٥٨ ٦- فتح العثمانيون القسطنطينية وتوغلوا في أوروبا

٢٦١ ٧- كاد با يزيد أن يفتح أوروبا فتأمر عليه ابنه سليم !

٢٦٤ ٨- كان العثمانيون على دين المغول ثم صاروا مسيحيين !

٢٦٦ ٩- كيف حوّل الإضطهاد قبائل شيعية الى عبّاد لعلّي عليه السلام !

٢٦٧ ١٠- ملاحظات على الدولة العثمانية (العلية) وسياستها

٢٧٣ ١١- اضطهاد الدولة العثمانة للشيعة العرب

٤- التعصب المذهبي ودوره في صناعة التاريخ

٢٧٧ ١- سياسة إجبار الشيعة على ولاية أبي بكر وعمر !

٢٨١ ٢- الوحدة الإسلامية من وجهة نظر أهل البيت عليه السلام

٢٨٢ ٣- مثل تاريخي لجهاد الشيعة لإحياء سنة النبي صلى الله عليه وآله

هذا الكتاب..

دراسة تُثبت أن فساد جهاز الخلافة ورجال الدولة ، كان السبب في طمع المغول وحملتهم الوحشية على بلاد المسلمين ، وتخريبها وإسقاط نظامها ، فهيأ الله للأمة مرجعين عبقرين هما نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي قدس الله روحيهما ، فاستطاعا أن يروّضاً الطغاة شاربي الدماء ، هولاء وأولاده ، ويجعلاً منهم مسلمين وبعضهم حسن إسلامه ، ويجعلاً من حكم سلاطينهم نموذجاً في الحرية المذهبية ، والإعمار ، وتطوير العلوم .

وقد شمل الكتاب دراسة التطورات بعد انهيار حكم المغول وامتداد الموجة التي أحدثها نصير الدين والعلامة ، وتأثيراتها على الدولة الصفوية ، وتشكّل الدولة العثمانية في مقابلها .

